شرح العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

لفضيلة الأستاذ الدكتور:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

تفريغ: مجموعة الأخوات التطوعية.

تنبيه : التفريغ لم يراجع من قبل الشيخ حفظه الله

نجتمع في هذا المجلس لشرح كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عزّ وجلّ وسائر علماء المسلمين.

وعندنا هنا مؤلِّف، ومؤلَّف، أمّا المؤلِّف فهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عزّ وجلّ وهو أشهر عند طلاب العلم من أن يُعرَّف به، وهو معروف اسمه حتى عند عامّة المسلمين، وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المشهور بابن تيمية.

وابن تيمية لقب جده الخامس فعرفت أسرته بهذا وصار يقال لهم آل تيمية، وملقّبٌ بتقي الدين فهو تقي الدين بن شهاب الدين بن مجد الدين، وهذه الألقاب تدل على علو منزلة هذه الأسرة في العلم والتدين والشرف.

فشيخ الإسلام ملقب بتقي الدين، وأبوه ملقب بشهاب الدين، وجده ملقب بمجد الدين أبي البركات. كذلك يعرف بشيخ الإسلام ومن قرأ في سيرة هذا الإمام يجد عجبًا عجابا، فقد نشأ من صغره على العفاف، والتصوّن والبعد عمّا يغضب الله سبحانه وتعالى، وكان لهذا أثر عظيم في البركة في حياته، والخير والنفع الذي حصَّله وحصل منه رحمه الله رحمةً واسعة.

كان رحمه الله شديد الحفظ قوي الحفظ فكان سريع الحفظ وكان قوي الحفظ؛ حتى قيل فيه: إنه ما حفظ شيئا فنسيه، وكان رحمه الله حافظًا متقنًا للقرآن، وكان ذا عناية كبرى بالتفسير، وكان له درس مشهور مشهود في التفسير، وكان من أشهر دروسه وقد برع رحمه الله عزّ وجلّ في هذا العلم براعة فائقة، وكان يلقي في دروسه علمًا متينًا ولاسيما ما يتعلق بالمأثور عن الصحابة والتابعين في التفسير.

ذُكِر أنه رحمه الله كان إذا جلس للدرس أغمض عينيه، وأملى على الناس العلم الغزير، فيما يملأ كرّاسين أو أكثر حتى إذا فرغ من درسه فتح عينيه، وأقبل على الناس يكلمهم ويسمع أسئلتهم ويجيبهم.

كما كان رحمه الله عزّ وجلّ على معرفة فائقة بالسنة رواية ودراية، فكان حافظًا عارفًا حتى قال عنه الحافظ الذهبي رحمه الله وهو من كبار حفاظ الحديث قال عن شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: (يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث لكن الإحاطة لله عزّ وجلّ)، وهذا يدل على سعة حفظ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعة معرفته بها .

كذلك كان شديد الحفظ للآثار عن الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم، ويدلك على ذلك أنه ربما كتب رسالة في مئة وثمانين صفحة ملأها بالاستدلال بالقرآن، وبأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفاظها، وبآثار الصحابة والتابعين بألفاظهم، وبالعزو إلى الأئمة والعلماء، ثم يذكر في آخر هذه الرسالة أنه كتبها وصاحبها مستوفز عجلان.

لو قرأت هذا وهذا موجود في رسالة في مجموع الفتاوى رسالة في حوالي مئة وثمانين صفحة لو قرأت ما كتب لظننت أن شيخ الإسلام أخذ أياما طوالًا يحرر هذه الرسالة ويراجع، ولكنه كتبها في قعدة واحدة وصاحبها الذي يريدها مستوفزٌ عجلان، كتب هذا كله من حفظه وإذا راجعت وجدت أنه نقل ما نقل بالألفاظ، ولا يكاد يخطئ في لفظ رحمه الله رحمة واسعة.

وكان شديد الحفظ للكتب حتى ذكر العلماء أنه إذا قرأ كتابا لا يحتاج أن يرجع إليه مرة أخرى وقال بعض أهل العلم: (رأس ابن تيمية قبّة مُلئت كتباً)، ما قالوا ملئت علما لاشك أنّها ملئت علما، لكن لحفظه للكتب واستحضاره لها قالوا ملئت كتبا، وكان رحمه الله عزّ وجل يعرف حتى كتب مخالفيه، وكان أعرف بكتب مخالفيه منهم رحمه الله رحمة واسعة.

وقد فتح الله عليه في التدريس والتأليف فألف كتبا كثيرة جدًا، لا تكاد تُحصر من كثرتها، وقد أحصى بعضهم في ما استطاع ألفي كتاب ورسالة، ولكن كتب شيخ الإسلام رحمه الله تزيد عن هذا بكثير، وقد كانت له عناية بالتأليف في العقيدة، ولم تكن له عناية بالتأليف في الفقه، ولما ذكر له هذا قال: أمر الفروع سهل، فإذا قلد المسلم إماما من أئمة المسلمين فإنّه على خير مالم يتيقن خطأه فإنّه ينتقل عن قوله، لكن الأصول والعقيدة قد كتب فيها المخالفون كثيرًا، وأدخلوا فيها ما لا يجوز أن يُعتقد، وليس فيها سعة بل الأمر فيها واحد قد أجمع عليه السلف، ولذا كانت عنايته رحمه الله بالتأليف في العقيدة نصحًا للمسلمين، وتنقية لها وإعادة للمسلمين في عقيدتهم إلى ما أجمع عليه أهل القرون المفضلة الثلاث الأُول إلى عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم، فكان رحمه الله مكثرا من التأليف في أصول الدين، أو الأصول والعقيدة.

أما المؤلَّف فاسمه العقيدة الواسطية ولو شئت أن تطلق عليه عقيدة الفرقة الناجية، أو اعتقاد الفرقة الناجية، أو أن تطلق عليه عقيدة القرون المفضلة، أو العقيدة السلفية، أو العقيدة السُّنية، أو العقيدة

المحمدية، أو عقيدة أهل السنة والجماعة، أو العقيدة الوسطية، لكنت محقًا فهذا الكتاب جدير بكل هذه الأسماء، وفيه إشارة إليها فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذا هو اعتقاد الفرقة الناجية، وأهل السنة والجماعة، وعقيدة محمد صلى الله عليه وسلم، وبنى هذه العقيدة على الوسطية.

لكن الاسم الذي اشتهر به الكتاب هو العقيدة الواسطية، وهذا الاسم ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لهذا الكتاب في وصف مناظرة مشهورة له، حيث أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما كان يدعو الناس إلى عقيدة السلف وإلى السنة وإلى ترك ما أحدثه المحدثون في العقيدة، أصبح يُكْذَبُ عليه، وينسب إليه في العقيدة ما لم يقله، كعادة المناوئين لعلماء أهل السنة في كل زمان ومكان، فإن المخالفين لعلماء أهل السنة لما أعجزهم أن يقابلوا حجة أهل السنة بالحجة والبرهان، لجأوا إلى حيلة الشيطان بالكذب عليهم والبهتان، ونسبة أمور إليهم تنفر العامة عنهم؛ وهكذا في كل وقت كما نراه في زماننا هذا فإنك تجد أن المخالفين لعلماء أهل السنة والجماعة يلقبونهم بالألقاب المنفرة، وينسبون إليهم ما هم برءآؤا منه من الأقوال والأفعال بل ويصلون إلى النيات والمقاصد.

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كذب عليه ونسب إليه في العقيدة ما هو بريء منه فعقدت مناظرة في مجلس الأمير لمناقشة شيخ الإسلام في عقيدته فلما انعقد المجلس وطلب منه أن يملي عقيدته قال رحمه الله: إني لو أمليت من حفظي لخشيت أن أتهم أني كتمت بعض عقيدتي من أجل هذه المناظرة، لكن هناك رسالة كتبتها قبل نحو سبع سنين نحضرها وتُقرأ، فقال رحمه الله: فأرسلت من أحضرها ومعها كراريس بخطي من المنزل فحضرت العقيدة الواسطية، ولما أحضر الكتاب أمر الأمير قارئا أن يقرأها فقرئت في ذلك المجلس.

وهذا الاسم مكون من كلمتين العقيدة، والواسطية. أما العقيدة في اللغة فهي من العقد وهو الربط والشد بقوة، ويدل معناها في اللغة: على الإلتزام والتأكيد والإحكام يدل معنى العقيدة في اللغة على الإلتزام أنها ملتزمة، وعلى التأكيد فهي متيقنة مؤكدة، وعلى الإحكام. وأما العقيدة بمعناها العام يقال عقيدة الإنسان أو أعتقد كذا فالعقيدة بمعناها العام: هي الحكم الجازم الذي لا يقبل الشك. فإذا علم الإنسان حكمًا علمًا جازمًا لا يقبل الشك ولا الريب فإنه يقال اعتقد وهذه عقيدة، والعقيدة الإسلامية هي ما يجب أن يعقد المؤمن قلبه عليه بيقين وهي الإيمان بأركان الإيمان وما يتعلق بها وتوابع ذلك مما يميز أهل

السنة والجماعة العقيدة الإسلامية إذا أطلقت فإنه يراد بها عقيدة السلف، عقيدة أهل السنة و الجماعة العقيدة المأخوذة من القرآن و من سنة سيد ولد عدنان صلى الله عليه و سلم، فهي الحقيقة والجديرة بأن تسمى بالعقيدة الإسلامية، وهي كما قلنا: الإيمان بأركان الإيمان، وما يتعلق بها من أصول، وما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم.

هذه مباحث العقيدة لا تخرج عن هذا أركان الإيمان الستة وما يتعلق بها من أصول عند السلف، وما يميز أهل السنة عن غيرهم من الفرق أدخله العلماء في العقيدة و جعله من العقيدة، ولو كان مسألة فقهية مثل مسألة لبس الخف، والمسح على الخفين هذه المسألة يذكرها العلماء في العقيدة، لأنها تميز أهل السنة عن غيرهم و كذلك الأخلاق الحقيقية الصادقة التي تبذل لله عزّ وجلّ فإن التخلق بالأخلاق الحسنة حقا وصدقا الذي يبدل لله عزّ وجلّ فيعطى لمستحقه يميز أهل السنة عن غيرهم، فإن أهل السنة و الجماعة قد يتظاهرون بالأخلاق لكنه ليس لله عزّ وجلّ و إنما لما يخدم هواهم ولذلك تجدهم أسوء الناس خلقا مع أهل السنة بل ومع علماء أهل السنة، بينما يتظاهرون بحسن الخلق مع العوام و المخالفين في العقيدة وغير ذلك، ولذلك لا تعجب من ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للأخلاق في آخر هذا الكتاب لأن هذا مما يميز أهل السنة و الجماعة على الوجه الذي ذكرناه فهذه هي العقيدة.

والواسطية نسبة إلى واسط من العراق, وسبب تأليف هذا الكتاب بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بنفسه في المناظرة التي أشرنا إليها حيث قال: قلت لهم هذه أي الرسالة كان سبب كتابتها أنّه قدم علينا من أرض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال له رضي الدين الواسطي من أصحاب الشافعي فهذا الرجل فقيه شافعي وشيخ وقاض ذهب إلى الحج فقدم على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال قدم علينا حاجا و كان من أهل الخير و الدين وشكى ما الناس فيه في تلك البلاد أي واسط وما حولها و في دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم، معلوم أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان في وقت وجود التتر, حتى أنه انتقل من حرّان إلى دمشق مع أهله وهو صغير فرار من التتر ومن بغيهم وظلمهم وجهلهم, فهذا الشيخ الواسطي صاحب الديانة كان يؤلمه ما يراه من بلده من جهل وظلم وخرافات وقلة ديانة وقلة علم فشكى ذلك كعادة أهل الخير والدين شكى ذلك إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته، وهكذا الأخيار أهم أمورهم العقيدة أن

تسلم لهم العقيدة وأن تصح لهم العقيدة قال: فاستعفيت من ذلك, طلبت منه أن يعفيني من ذلك واعتذر له قال, وقلت قد كتب الناس عقائد متعددة فخذ بعض عقائد أئمة السنة، خذ كتاب من كتب العقائد التي ألفها أئمة السنة وكلها واحدة عقيدة أهل السنة لا تختلف ولا تضطرب وإنما يختلف المؤلفون في ألفاظهم أما العقيدة واحدة لأنها عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم, قال رحمه الله فألح علي في السؤال, يعني كما نقول في تعبيراتنا اليوم لزم أن أكتب له, وقال ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت ما أحب أن أقتني كتابا إلا كتابا في العقيدة تكتبه أنت فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر، هذه العقيدة المحكمة المتقنة كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية في جلسه بعد العصر ونحن نحتاج في فهمها وشرحها إلى مجالس كثيرة وساعات طويلة ولن نحيط بمقاصد شيخ الإسلام ابن تيمية منها وفيها فذاك العلم وأولئك العلماء.

وهذا الكتاب له مزايا على غيره تجعل طالب العلم يتعلق به، والموفق من حفظه من تلك المزايا أنه قليل المبنى عظيم المعنى فهو صفحات قليلة لكنه كثير الفائدة، عظيم العائدة فقد حوى أصول أهل السنة في العقيدة لاسيما في أمور التي وقع فيها نزاع عند المتأخرين وخالفوا فيها ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم, وهذه سمة كلام السلف فإن كلام السلف قليل الألفاظ كثير الخيرات والبركات فالعبارة من العالم السلفي قليلة ولكن إذا تأملت فيها وجدت أنها حوت خيراً كثيراً و علمًا غزيرا، بخلاف طريقة المتأخرين فإنهم يكثرون الكلام مع قله الفائدة إلا من رحم ربي.

الميزة الثانية: أنه رحمه الله عز وجل لم يذكر في هذا الكتاب إلا آية محكمة بينة أو حديثا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أصلا سلفيا قد أجمع عليه السلف ولم يذكر من الكلام إلا القليل لم يذكر من الكلام ما يزيد على ما ذكرنا إلا القليل مما يزيد الفائدة, وقد قال رحمه الله تحرَّيت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة، وذكر في موطن آخر أنه لم يذكر إلا ما أجمع عليه السلف، وفعلاً الشيخ رحمه الله تحرى ما في الكتاب والسنة حتي في الألفاظ ولذلك سيمر بنا أنه عدل عن لفظ التأويل في الصفات إلى لفظ التحريف تحرياً لما في الكتاب والسنة، وما أجمع عليه السلف، وهذه ميزةٌ عظيمةٌ للكتاب، وقوةٌ عظمى له فما فيه ما يمكن أن يدافع ولا ينازع إلا أن يظلم القلب والعياذ بالله كلام الله المحكم البين كيف ينازع ويدافع ويرد بالأقوال والعقول المتفاوتة المضطربة المختلفة، صحيح حديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم كيف يرده المؤمن ويقول عقلي لا يقبل هذا والعقول متفاوتة مضطربة ما أجمع عليه أهل القرون المفضلة كيف يرد؟! لاشك أن ما في هذا الكتاب قويٌ جداً وحجةٌ ظاهره قاطعة قاصمة لحجج أهل الكلام.

الميزة الثالثة: أنه رحمه الله لم يذكر في الكتاب إلا ما أجمع عليه السلف، ما أجمع عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة التي هي خير الأمه وفيها خير الأمة، خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم القرون الثلاثة المفضلة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" وهذه القرون المفضلة فيها خير الأمة فيها صلاح الأمة فيها، عزة الأمة ولا خير لمن بعدهم إلا بالرجوع إلى ما كانوا عليه فهي عقيدة السلف أجمعين ما في هذا الكتاب عقيدة السلف أجمعين لا يخالف واحد منهم في حرفٍ منها عباراتهم المعروفة عنهم تدل على ذلك وعجز المخالفين عن أن يأتوا بشيء عنهم يخالف ذلك برهانٌ قطعي على أن هذه العقيدة عقيدة السلف أجمعين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في المناظرة المشار إليها ما جمعت إلا عقيدة السلف الصّالحين جميعهم .....إلى قوله: (قلت مراتٍ قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإن جاء فيها بحرفٍ واحدٍ عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك)، أمهل مخالفيه ثلاث سنين للبحث في كلام السلف الصالحين قال فمن جاءني بحرف واحد عن السلف يخالف ما كتبته فأنا ارجع عن ذلك ولَم يستطع أحد ولن يستطيع إلا أن يكذب على السلف أن يأتي بحرف واحد يخالف ما في الكتاب.

الميزة الرابعة: أنه رحمه الله عز وجل بين في الكتاب وبنى الكتاب على سمات أهل السنة والجماعة بين فالكتاب سمات أهل السنة والجماعة وبنى الكتاب على سمات أهل السنه والجماعة وهي اليقين الجازم فسمة أهل السنه والجماعة في عقيدتهم اليقين الجازم لا حيرة ولا اضطراب ولا تردد ولا ارتياب دل عليها القرآن دلالة بينة, والسنة دلالة محكمة وأجمع عليها السلف و وافقته الفطرة، فمن سمات أهل السنه اليقين الجازم وهذا بيِّن في هذا الكتاب وبني عليه الكتاب.

والسمة الثانية: الاجتماع وعدم الافتراق فأهل السنه والجماعة مجتمعون في عقيدتهم، مجمعون عليها لم يفترقوا فيها وهذا بين مبين في هذا الكتاب.

والسمة الثالثة: الاتصال وعدم الانقطاع وهذه سمه لعقيدة اهل السنه والجماعة أنها متصلة لم تنقطع يوماً من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أقول إلى يومنا هذا فعقيدة أهل السنة والجماعة مسندة بالإسناد الصحيح متصلة يرثها الخلف عن السلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخلو منها زمن من أزمنة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف غيرها فإنه لا يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل ينقطع بل ولا يصل إلى القرون الثلاث المفضلة، كل ما خالف ما عليه السلف لا يصل إلى القرون الثلاث المفضلة ولا يصل إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم نقول لا يصل إلى القرون الثلاثة المفضلة، أما القرن الأول

فجملة وأفرادا وَأَمَّا القرن الثاني والثالث فجملة كل ما خالف ما عليه السلف في جميع أمورهم ينقطع دون هذه القرون.

وَأَمَّا السمة الأخرى: فهي الوسطية فأهل السنة والجماعة هم أهل الوسط في عقيدتهم ومنهجهم، الوسطية وعدم التطرّف سمة أهل السنة والجماعة، وغيرهم لابد أن يكون متطرفاً إمّا في ذات اليمين أو ذات الشمال وهذا في كل زمان وفي كل مكان.

والسمة التالية لأهل السنة والجماعة: النجاة والظهور والنصرة، النجاة في الدنيا من الزلل وفي الآخرة من العذاب، والظهور فعقيدة أهل السنة والجماعة ظاهره باقية، والنصرة فالله ناصرها وناصر أهلها، لأن هذا من حفظ الدين بل حفظ أصل الدين والله عز وجل قد تكفل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بحفظ دينها.

الميزة الخامسة: أنه رحمه الله عز وجل جمع في الكتاب المسائل العظمى في العقيدة والتي وقعت فيها مخالفات من المتأخرين لما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فقد ذكر في الكتاب العقيدة مجملة ثم ذكر أصول الاعتقاد في الأسماء والصفات، وعقيدة السلف في الأسماء والصفات, وهذا أكثر ما ورد في الرسالة لعظيم الحاجة إليه وشدة الاختلاف فيه في زمنه رحمه الله وبعد ذلك لاشك أنه بقي ولا زلنا نحتاج إلى تلك الأصول، وذكر وسطية أهل السنة والجماعة بين

الفرق، وذكر الإيمان باليوم الآخر، وذكر الإيمان بالقدر، وذكر أصولاً عظيمة من أصول أهل السنة والجماعة.

تتعلق بثلاثة أمور عظيمة: بحقيقة الإيمان، وبالصحابة، وبأولياء الله، ذكر أصولاً عظيمة لأهل السنة تتعلق بهذه الأمور الثلاثة.

وذكر معالم طريقة أهل السنة والجماعة ثم ختم بموعظة لأهل السنة والجماعة وبميزات لأهل السنة والجماعة، حيث ختم بالأخلاق التي يتميز أهل السنة والجماعة بالتخلق بها لله وبذلها لأهلها المستحقين لها.

فمن قرأ هذا الكتاب أو حفظ هذا الكتاب فقد جمع أصول العقيدة وضبط ما يحتاج إلى ضبط في معرفة عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

هذه أمور رأيت أن أقدمها بين يدي كلامنا وشرحنا لهذا الكتاب، وهي أمور نافعة ويحتاجها طالب العلم، وتحفز النفس على العناية بهذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين

ابتدأ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الرسالة بالبسملة وذلك لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: امتثال أمر الله في قوله سبحانه وتعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق ١] فأمر أن يُقرأ باسمه والكتاب مؤلَّف ليُقرأ فالقارئ يبتدأ القراءة بسم الله ولذلك ابتداء الشيخ الكتابة ببسم الله الرحمن الرحيم.

الوجه الثاني: اقتداءً بخير كتاب بكتاب الله سبحانه وتعالى؛ لأن كتاب الله مبدوء بالبسملة، أول ما في المصحف بسم الله الرحمن الرحيم سواء قلنا إن البسملة آية من الفاتحة، أو قلنا إنها آية منفصلة عن السور وهو الراجح، سواء هذا أو هذا فالمصحف مبدوء بالبسملة.

والوجه الثالث: الاقتداء بكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العلماء قد استقرأوا كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ،وإلى الأنحاء فوجدوها مبدوءة ببسم الله الرحمن الرحيم فكانت هذه الوجوه داعية العلماء إلى أن يستقر الأمر عندهم على البداءة في الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله: معناها بالنسبة للكاتب بسم الله أكتب، وبالنسبة للقارئ بسم الله أقرأ، وهذا التقدير أحسن من قول بعض أهل العلم: أقرأ بسم الله، أكتب بسم الله, لأن تقديم الاسم أولًا عندما نقول بسم الله أكتب هذا يدل على الحصر.

وثانيًا: التبرك بالبداءة بسم الله سبحانه وتعالى، وأيضاً التقدير بما يناسب الحال أحسن من قول بعض أهل العلم ابتدئ, لأن ابتدئ لفظ عام، والخاص أولى من العام.

بسم الله أكتب، والله: اسم من أسماء الله عز وجل، والله هو المعبود المألوه، المستحق للعبادة سبحانه وتعالى.

والرحمن: اسم من أسماء الله عز وجل فهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة التي وسعت رحمته كل شيء، وهذه السعه في الدنيا فالله عز وجل وسعت رحمته كل شيءٍ وسعت المؤمن والكافر، والطائع والعاصي, وكل من في الدنيا وما في الدنيا وسعته رحمة الله عز وجل.

والرحيم: اسم من أسماء الله عز وجل فهو سبحانه ذو الرحمة الواصلة للمؤمنين به في الدنيا والآخرة، فالمؤمنون الموحدون مرحومون في الدنيا برحمة الله الواسعة التي تعمهم وغيرهم وبرحمة الله الواصلة لهم دون غيرهم، ومختصون يوم القيامة برحمة الله سبحانه وتعالى فلا يرحم الله يوم القيامة إلا موحداً، وأما أهل الشرك فهم أهل الغضب وأهل العذاب المقيم لا رحمة لهم ولا مغفرة.

إذًا كما قال بعض أهل العلم: " الرحمن" ذو الرحمة الواسعة, " والرحيم" ذو الرحمة الواصلة، فهي رحمة خاصه واصلة للمؤمنين.

وما توفيقي إلا بالله الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

هذا ثناء على الله سبحانه وتعالى بهذه النعمة العظمى، والمنة الكبرى فقوله رحمه الله الحمد: الحمد هو الثناء على الله عز وجل مع كمال محبته وتعظيمه. فإن كُرر مرة ثانية كان ثناء، فإن زيد على ذلك كان تمجيدًا، كما في الحديث: "أن العبد إذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله: حمدني عبدي وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال الله: مجدني عبدي" رواه مسلم.

وعندما نقول الحمد لله فمعنى هذا أن الحمد على وجه التمام لله عز وجل وأن الحمد على كل شيء لله عز وجل, فالله ربنا محمود على كل شيء وعلى كل حال، محمود على وجه التمام على كماله سبحانه وتعالى وعلى أفعاله، وعلى شرعه وعلى قضائه وقدره سبحانه وتعالى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أن يقولوا" الحمد لله على كل حال" فالحمد على وجه التمام إنما هو لله عز وجل, ومن حمد من المخلوقين على جميل الاختيار هذا ليس على وجه التمام والحمد على كل حال وعلى كل شيء إنما هو لله سبحانه وتعالى فهو المحمود على كل حال.

قال: الحمد لله الذي أرسل رسوله, أثنى شيخ الإسلام على الله عز وجل بهذه النعمة العظمى والمنة الكبرى وهو مأخوذ من قول الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح ٢٨] فهذا مقتبس من الآية بلفظ الآية، أي أنه سبحانه أنعم على أهل الأرض إلى قيام الساعة بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى الذي هو البيان الواضح والعلم النافع الذي ينير الطريق، ويشرح الصدر ويهدي من الضلالة ويميز الخير عن الشر هذا معنى الهدى أنه بيان واضح لا لَبس فيه وعلم نافع لا ضُر فيه ينير الطريق ويشرح الصدر ويهدي من الضلالة ويميز الخير من الشر، ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ الذي هو الإسلام ولا يقبل الله دينا سواه، أرسل الله نبيه صلى الله عليه وسلم داعياً الجن والإنس إليه، إلى دينه سبحانه وتعالى وهذا مناسب أن تفتتح به الرسالة فإنما فيها مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فما فيها من الهدى ودين الحق وما خالفها ضلالة ما خالف ما جاء بها من عقائد ضلالة وباطل. وهل هذه دعوى؟! لا, والله بل هي الحق المبين وكل ما فيها كما قلنا قول الله عز وجل المحكم البين وصحيح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه السلف إذن ورب الكعبة هو الهدى في العقيدة وهو دين الحق ومادام ذلك كذلك فإنما خالفها ضلالة وانحراف عن

دين الحق وفي هذا خطاب للقلب يامن صدقت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأحببت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بهذه العقيدة فإنها عقيده محمد صلى الله عليه وسلم ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾أي: ليظهره على كل دين وقد أظهره الله على كل دين، واللام هنا قال بعض أهل العلم للتعليل فالله عز وجل أرسل رسوله بالهدى ودين الحق من أجل أن يظهره على الدين كله، وقال بعض أهل العلم: اللام للعاقبة أي أن العاقبة لهذا الدين وأن الله سيظهره وينصر أهله وقد أظهره الله عز وجل على الدين كله علمًا وحُكمًا ونصرا.

أما في الحكم فإن الله عز وجل رفع به الأديان ولا يقبل من أحد دينا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من يسمع بمحمد صلى الله عليه وسلم يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن به إلا دخل النار إلا كان كافراً من أهل النار فحكم الله عز وجل لهذا الدين بالظهور على كل دين.

وأما علما فإن الله أظهر دينه بالحجة والبيان والدليل والبرهان فهذا الدين ظاهر على كل دين بما فيه من الحجة والبيان والأدلة والبراهين.

وأما نصرا فقد أظهر الله هذا الدين على الأديان بالسيف والسنان فكان منصورا ونُصِرَ أهله على أهل الأديان عندما جاهد المسلمون لإعلاء كلمة الله لا لقتل الناس ولا لجمع الدنيا، وإنما كان قتالهم قتال طلب لإزالة من يمنع وصول الحق إلى الناس ولذلك كان المشروع قبل قتال الطلب أن يدعى الناس إلى الدين فإن استجابوا كف عنهم فقتال الطلب لم يكن المقصود منه أن يُقتل غير المسلمين ولا أن تُجمع الدنيا, وإنما كان المقصود منه أن يوصل الحق الى الناس بإزالة الطغاة الذين يمنعون وصول الحق إلى الناس، وكانوا يجاهدون جهاد الدفع لحفظ ديار المسلمين ودين المسلمين، فنصرهم الله وأظهرهم الله، وملأ قلوب أعدائهم رعبا وخوفا ومهانةً. فأظهر الله دينه حُكما وعِلما ونصرا. وهذا أيضًا مناسب لهذه الرسالة, لأن ما في هذه الرسالة كما قلنا من دين الله فإذا كنت من أهل هذه العقيدة فاطمئن قلبا فإنها مظهرةٌ يظهرها الله عز وجل منصورة، ومن يناوئها مخذول ولو كانت له جولة فعليه الدولة.

ولن تكون له نُصرة مستقرة مستمرة، قد يبتلي الله أهل السنة بظهور أعدائهم ومخالفيهم، لكن هذا البلاء لا يطول ولا يستقرّ ولا يدوم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾: كفى بالله شهيدا على رسوله وعلى ما جاء به وعلى من أُرسل إليهم

رسوله صلى الله عليه وسلم, فالله شهيد على رسوله أنه قد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة وجاهد حق الجهاد، وما مات وفي الدين شيء باقٍ لم يبينه صلى الله عليه وسلم، وشهيد على ما جاء به أنه الحق والدين الحق المبين والدين المتين الذي لا يجوز العُدول عنه, وعلى من أرسل إليهم رسوله من المصدقين أو من المكذبين فهو شهيد سبحانه على المصدّقين ومجازيهم بالإحسان، وشهيد على المكذّبين ومجازيهم بما يستحقون، وهذا أيضًا مناسب للرسالة لهذا الكتاب فإن ما فيها حق، واتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، فمن اعتقد ما فيها فالله شهيد عليه بالتصديق وحسن الاتباع ومجازيه بالإحسان في الدنيا والآخرة، وبهذا ترى براعة استهلال الشيخ رحمه الله عز وجل بما هو مناسب لهذا الكتاب.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا.

أشهد معناها أُقِرُّ بلقبي يقينا، وأنطق بلساني عالمًا بالمعنى قابلا له ومنقادا له

كل هذه المعاني تشملها كلمة أشهد، أُقِرُّ بلقبي يقينا، وأنطق بلساني عالما بالمعنى قابلا له ومنقادًا له وعُبّر عن هذه المعاني بكلمة أشهد للدلالة على قوة اليقين. كأن المقر بهذا كالمشاهد للمحسوس فكأن المُقَرُ به مشاهد له محسوس يشهد عليه كما يرى الشمس في رابعة النهار.

أشهد أن لا اله إلا الله: أي أشهد أنه لا معبود بحق إلا الله، وحده: توكيد لإفراد الله بالعبادة الذي جاء بقوله لا إله إلا الله، فلا يستحق العبادة إلا الله، وكل عبادة لمن دونه ظلم لا حق فيها، ولا استحقاق للمعبودين في العبادة، لا شريك له: توكيد للنفي الوارد في قولك لا إله إلا الله إقرارًا به, هذا من معاني الشهادة من معاني قولك أشهد أقر، وتوحيدا: هذا أيضا من معاني الشهادة فقوله إقرارا به وتوحيدا هو معنى لا إله إلا الله، فقوله إقرارا وتوحيدا بيان للمعنى وتوكيد، فجاء باللفظ الذي هو مفتاح الإسلام ومفتاح الجنة أشهد أن لا إله إلا الله ثم جاء بأربع مؤكدات للمعنى: وحده، لا شريك له، إقرارا به وتوحيدا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أشهد: كذلك معناها أقر بقلبي يقينا، وأنطق بلساني عالما بالمعنى قابلا له ومنقادا له, أن محمدا عبده ورسوله: وهذا أفضل ما يوصف به النبي صلى الله عليه وسلم أنه عبد الله ورسوله، فكونه عبد الله يعني أنه أكمل من عبد الله والذل لله غاية العز، فمحمد صلى الله عليه وسلم أكمل وأعظم وأصدق وأحق من ذل لله وعبد الله وهذا في غاية المدح له صلى الله عليه وسلم وهو رسول الله عبد شرَّفه الله بالرسالة، فهو عبد لا يعبد و رسول لا يكذب صلى الله عليه وسلم وفي هذا امتثال لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله" .رواه البخاري في الصحيح.

والشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة تعني تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، واتباعه صلى الله عليه وسلم والاقرار بأنه خاتم الانبياء والمرسلين فلا نبي بعده صلى الله عليه وسلم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

صلى الله عليه الصلاة من الله على العبد الثناء عليه في الملأ الأعلى وليست هذه خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم بل يثني الله على عباده في الملأ الأعلى ولذلك من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه بها عشرا فيثني الله عليه بهذه الصلاة في الملأ الأعلى عشرا و كلما زاد, زاد الله ثناءً عليه بهذه الصلاة، ويثني الله مثلا على المرابطين في المساجد ينتظرون الصلاة بعد الصلاة في الملأ الأعلى ويباهي بهم.

وعلى آله: الآل تطلق على التابعين له صلى الله عليه وسلم كل من صدق به و تبعه فهو من آله وتطلق على أهل بيته ولا مانع من إرادة الأمرين هنا ولكن إذا قلنا الآل بمعنى التابعين فيكون ذكر الصحب بعدهم من باب ذكر الخاص بعد العام, لأن الآل عام و الصحب من التابعين للنبي صلى الله عليه وسلم وإذا قلنا إن الآل هم أهل بيته فإنه يكون من باب ذكر العام بعد الخاص آل بيته المقصودين بالترضي ابتداء هم من كان من صحابته من أهل بيته فهم بعض الصحابة. وصحبه: الصاحب: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم و مات على ذلك ولو لم تطل صحبته مادام انه لقي النبي صلى الله عليه وسلم و كان حال لقياه مؤمنا به ومات على ذلك فهو على ذلك فهو صحابي. أما من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مشركا ثم آمن به بعد ذلك فإنه ليس صحابيا، فالصحابي: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم

مؤمنًا به ومات على ذلك، يقول العلماء: ولو تخللت ذلك ردة فإن هذا لا يخرجه عن حد الصحبة مادام أنه مات على الإسلام ولو كانت الصحبة قليلة لم تطل فهو صحابي.

وسلم تسليما مزيدا: سلم: السلام هو السلامة من الآفات في الدنيا والاخرة،

مزيدا قال بعض أهل العلم: أي زائدا على الصلاة يعني الصلاة ويزاد عليها السلام وقال بعض أهل العلم مزيدا يعني كثيرا متتابعا، من الزيادة يتزايد يعني كثيرا متتابعًا، وهذه الجملة صلى الله عليه وسلم خبرية بمعنى الطلب، صلى الله عليه يعني صلي عليه, اللهم صلِّ عليه وسلم يعني اللهم سلمه تسليما مزيدا او سلم عليه تسليما مزيدا.

يقول الإمام العَلَمُ الهُمَامْ، شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام رحمة الله عليه في كتابه النفيس العقيدة الواسطية:

أما بعد: اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

يقول الشيخ: (أما بعد)، هذه يؤتى بها للدخول في المقصود، ومعنى أما: مهما يكن من شيء. فيكون معنى الكلام، مهما يكن من شيء بعد ما قدمته، فهذا: الفاء هنا رابطة لجواب الشرط ولابد منها فهي لازمة, لأن جواب الشرط هنا جملة اسمية، وإذا كان جواب الشرط جملة اسمية فلازم أن تدخل عليه الفاء. ولذلك ما يفعله بعض الخطباء، وبعض المتكلمين من قولهم: أما بعد هذا كذا، أوأما بعد إخواني، هذا من حيث اللغة لا يستقيم، وكذلك مثلا قول العوام: مثلا عندما يقول الرجل لامرأته إن ذهبتِ إلى بيت فلانة أنت طالق، هذا من حيث اللغة لا يستقيم، لابد أن يقول: إن ذهبت إلى بيت فلانة فأنتِ طالق، ولذلك بعض الفقهاء قالوا: إذا قال الرجل: لمرأته إن ذهبتِ مثلًا إلى بيت فلانة أنتِ طالق تطلق فورًا، قالوا: لأن ما ذكره لا يصلح أن يكون جوابا لشرط فيكون كلاما جديدا، لكن الراجح أن العامة يُعَامَلون بكلامهم لا بقواعد اللغة العربية، لكن مقصودي من هذا أن يرسخ في أذهانكم أن دخول الفاء هنا لازم ولابد منه.

أما بعد، فهذا.

معلوم أن هذا اسم إشارة لا يكون إلا لموجود, تقول: هذا زيد، لكن إذا كان زيد غائبًا فإنه لا يصح أن تقول هذا زيد هذا إشارة إلى موجود، طيب مادام أن هذا إشارة إلى موجود فكيف قال شيخ الإسلام رحمه الله هنا فهذا اعتقاد؟!

والاعتقاد لم يذكره حتى الآن ليس موجودًا قال بعض أهل العلم: لعله كتب المقدمة بعد أن كتب الاعتقاد، أي: بدأ بالمقصود فلما فرغ منه رجع فكتب المقدمة؛ فساغ أن يقول هذا, وقال بعض أهل العلم قال هذا باعتبار أن هذا الاعتقاد موجود في قلبه.

فاستصحب وجوده مكتوبا، يعني يقولون هذا الاعتقاد مستقر في قلب شيخ الإسلام ابن تيمية فهو موجود من حيث الاعتقاد، فاستصحب وجوده كتابة. وقال بعض أهل العلم: إنما استعمل هذا إشارة إلى أن هذا الاعتقاد موجود ظاهر بين المسلمين؛ لأنه اعتقاد الفرقة الناجية، واعتقاد الفرقة الناجية لم ينقطع عن الأمة قط منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، فقاله باعتبار وجوده واقعا في الأمة، وأنه موجود في زمنه عندما تكلم موجود عند الفرقة الناجية، وهذا عندي أظهر والله أعلم, لأن فيه مزيد فائدة وهو أن هذا الاعتقاد الذي سأكتبه لك موجود بين المؤمنين، ظاهر منصور، فهذا أقرب ما وُجِهَ به هذا.

فهذا اعتقاد.

اعتقاد: افتعال من العقد، وقد سبق في المجلس الماضي أن بينت معنى العقيدة: افتعال من العقد، والعقد هو: الربط، والشد بقوة، والإحكام.

وقلنا إن العقيدة بمعناها العام، أو الاعتقاد بمعناها العام: الحكم الجازم الذي لا يقبل الشك. نعم قد يكون صحيحا، وقد يكون غير صحيح. اعتقادنا أن محمدا رسول الله اعتقاد صحيح، نحن نجزم جزما لا يقبل الشك أن محمدا رسول الله، وهذا اعتقاد صحيح لأنه مطابق للواقع، واعتقاد الكفار أجمعين أن محمدا ليس رسول الله هذا اعتقاد فاسد غير صحيح باطل.

الاعتقاد في الشرع ما يجب عقد القلب عليه وهو الإيمان بأركان الإسلام، وما يتعلق بها، وما يتبع ذلك مما يميز أهل السنة والجماعة.

ماذا يذكر في كتب الاعتقاد؟

الإيمان بأركان الإيمان، وما يتعلق، بها أي: يعني التفصيل والتفريع عن هذا، وما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم من الفرق.

فهذا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

أي: أن هذا الاعتقاد المذكور في هذه الرسالة هو الاعتقاد الذي أجمع عليه أهل القرون المفضلة وأجمع عليه أهل السنة، فلا يعلم فيه نزاع عنهم، فلا يحل لأحد أن يعتقد غير هذا الاعتقاد، وكل اعتقاد خالفه فهو بدعة مذمومة، ومن خالف هذا الاعتقاد من المسلمين فهو مخطئ يقينًا، فإن كان قد اتقى الله، وسلك الطريق المشروع غير أنه أخطأ في شيء منه فهو مجتهد مخطئ يُرجى أن يغفر الله عزّ وجلّ له، وقد يقوم به من الأعذار ما يغفر الله له بها .

انتبهوا يا إخوة ! نقول كل من خالف هذا الاعتقاد فهو مخطئ، لا يُتردد في تخطئته هو مخطئ، أما الحكم عليه فإن كان قد اتقى الله ما استطاع، وسلك الطريق المشروع لكنه أخطأ في بعض هذا الاعتقاد، فهذا مجتهد يرجى أن يغفر الله له خطأه، وقد يقوم بمُخَالِف هذا الاعتقاد في بعضه أعذار يغفر الله عز وجل له بها، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مناظرته لما ذكر أن هذا اعتقاد الفرقة الناجية، قال له خصومه: هذا يعني أن كل من لم يعتقد هذا الاعتقاد فهو هالك، من أهل النار.

قال رحمه الله: ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا. هو لاشك أنه مخطئ لكن ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا فإن المنَازِع يعني المخالف لشيء في هذا الاعتقاد قد يكون مجتهدًا، أي اتقى الله ما استطاع، وسلك الطريق المشروع، ونظر النظر الشرعي غير أن الله لم يهده للصواب، فأخطأ في شيء من الاعتقاد هذا معنى قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، قد يكون جاهلًا حقيقة، ما بلغه من العلم ما تقوم عليه به الحجة، إلى قوله: بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا وقد لا يكون ناجيا، إذن مقصود الكلام بيان أن من اعتقد هذا الاعتقاد فهو ناجٍ لا شك في ذلك، أما من لم يعتقد فهو مخطئ يقينا لاشك في ذلك،

لكن هل يكون هالكا؟ هل نجزم له أنه من أهل النار؟ الجواب: لا، قد يكون هالكا، وقد لا يكون هالكًا بحسب الاعتبار.

فالمقصود أن هذا مقام بيان الاعتقاد الصحيح الذي يجب على المسلم أن يعتقده، وتحرم مخالفته، وليس مقام الحكم على من اعتقد خلاف هذا، فإن لهذا شأنًا آخر ومقاما آخر.

أقول هذا لأن بعض الناس يأتي فيقرأ في كلام العلماء فيجد أنهم يحكمون على الفعل فيقولون هذا شرك أكبر مخرج من الملة، هذا كفر، فيقول هؤلاء العلماء تكفريون يكفرون الأمة، وهذا جهل بالشرع وبحال العلماء فإن الحكم على الفعل لا يستلزم الحكم على الفاعل، بل الحكم على الفاعل له شأن آخر. وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الاعتقاد وصفا صادقا بأوصاف توجب اعتقاده وتجعل المسلم يلزمه (فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة): وهذا تعدد أوصاف لموصوف واحد، فهم الفرقة الناجية، وهم هم الطائفة المنصورة، وهم هم أهل السنة والجماعة، هذا تعدد أوصاف والموصوف واحد.

(فهذا اعتقاد الفرقة): الفرقة هنا بمعنى الطائفة والمجموعة من الناس, إذن هي ليست من الافتراق ليست فرقة من الافتراق؛ وإنما الفرقة بمعنى الطائفة والمجموعة من الناس، وقد تكون فرقة من الافتراق، وهي فرقة من أجل القسمة، وإلا فهي الجماعة، يعني من أجل القسمة لأن الأمة افترقت على فِرق فهذه قسمة؛ فسميت فرقة من أجل القسمة وإلا فهي الجماعة ليست فُرقة أو تسمى فِرقة؛ لأنها تميزت عن غيرها ففِرقة بمعنى مُفارِقة لأهل البدع تميزت عن أهل البدع, إذن فرقة إما أنها بمعنى طائفة فهي ليست من الفرقة والافتراق وإما أنها من الافتراق وسميت فرقة للقسمة مع غيرها وإلا فهي الجماعة كما جاء في النص وإما أنها فِرقة من الفُرقة، بمعنى أنها مفارقة لأهل البدع، متميزة عن أهل البدع، فهذا اعتقاد الفرقة الناجية، الفرقة الناجية في الدنيا والأخرة، أما في الدنيا فهي ناجية من الضلال ناجية من الانحراف في عقيدتها فهي على الهدى المبين لأن هذه العقيدة هي عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم، وأما في الآخرة فهي ناجية من النار، فهي في الجنة كما ورد صريحا في الحديث.

وقد دلت الأدلة النقلية والوقوعية يعني دلَّ النقل والوقوع على أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تفترق فدل النقل على أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تفترق فدلَّ النقل على أن الافتراق سيقع في أمة محمد

صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: افترق اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، وهذا الحديث مشهور في السنن والمسانيد، وله ألفاظ وقد رواه أبو داود بهذا اللفظ وسكت عنه ومعنى ذلك أنه صالح عنده، وصححه الألباني، ورواه الإمام ابن ماجة بلفظ: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار و واحدة في الجنة، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار"، قيل يا رسول الله: من هم؟ قال : "الجماعة"، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق، اليهود افترقت، النصارى افترقت، أمة محمد صلى الله عليه وسلم, قال النبي صلى الله عليه وسلم "تفترق" وهنا فائدة: وهي أن جماعة الأمة هي ما كانت على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لأنهم كانوا على الجماعة، تفترق: فعل مضارع في المستقبل ، أخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار.

ورواه الإمام أحمد بلفظ: "إن بني اسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخَلُصت فرقة واحدة، وإن أمتي ستفترق اثنين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعون وتخلص واحدة" قالوا يا رسول الله: من تلك الفرقة -يعني التي تخلص وتنجو-؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "الجماعة, الجماعة". قال الأرناؤوط صحيح بشواهده.

وأنا ذكرت لكم الألفاظ؛ لأن فيها الدلالات زائدة في كل لفظ، وفيها إشارة إلى الفرقة الناجية، والحديث بجملته حسنه الحافظ بن الحجر، وصححه الشاطبي، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية حديث صحيح مشهور وجَوَّد أسانيده الحافظ العراقي، وقال الشيخ الألباني كلاما نفيسا في التعليق على الحديث فقال: تبين بوضوح أن الحديث ثابت لا شك فيه، ولذلك تتابع العلماء خَلَفًا عن سلف على الاحتجاج به, حتى قال الحاكم في أول كتابه المستدرك إنه حديث كبير في الأصول، وقال أيضا الإمام الألباني رحمه الله: حديث تلقاه كبار الأئمة والعلماء من مختلف الطبقات بالقبول، وهذا كلام عظيم من إمام محقق في الحديث رحمه الله رحمة واسعة وهو كما قال، وقال الشيخ ابن باز: عن الحديث ثابت، وقال محدث اليمن وريحانتها الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: عن الحديث إنه حسن ،إذن الحديث ثابت عند أهل

العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه دلالة بينة على أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ستفترق وهذه الفرق تخالف الحق إلا واحدة، هي الثابتة على الحق وهي التي تَخلُص، وهي الناجية، وهي التي في الجنة ابتداءً ولا يعني هذا أن غيرها كافرٌ مخلدٌ في النار، لا، وإنما متوعد بدخول النار، فهذا وعيد بدخول النار، كما يدل على تفرق الأمة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والدارمي وابن أبي عاصم وغيرهم من أصحاب الدواوين، وسكت عنه أبو داوود، وصححه ابن حبان, وقال ابن عبد البر: ثابت صحيح، وصححه ابن تيمية وابن الملقن والعراقي وابن باز والألباني، وقال الوادعي: له طرق يرتقي بها الى الصحة، فهذا الحديث دل على أن الأمة ستفترق وسيكون هناك اختلاف كبير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من سيكون على السنة ومنها من سيكون على البدعة، لقوله في آخر الحديث "فعليكم بسنتي وإياكم ومحدثات الأمور" وفيه إشارة إلى أن افتراق الأمة سيكون قريبا من زمن النبي صلى الله عليه وسلم, لأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب من؟ يخاطب الصحابة يقول للصحابة: "فإنه من يعش منكم بعدي" ومعنى (يعش): من يطول عمره من الصحابة، فسيرى هذا الصحابي سيرى اختلافا كثيرًا، وقد وقع فظهرت القدرية في أواخر زمن الصحابة، وظهر أوائل الرافضة في أواخر زمن الصحابة، فوقع هذا الإختلاف والوقوع دليل على هذا فقد خرجت في الأمة فرقة الخوارج وفرقة القدرية وفرقة الرافضة وفرقة الجهمية وغيرهم كثير، وهذا لا يمكن دفعه ولذلك تعجب ممن يدفع الافتراق هذا، ويدفع أن هناك فرقة ناجية ويهزئ ويقول أصحاب الفرقة الناجية وهذا من جهله وقلة عقله، ولاشك أن الفرقة الناجية من هذه الفرق واحدة بدلالة الحديث فإن الحق واحد وهو في العقيدة متعين نعلمه يقينا وهو ما أجمع عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعهم بإحسان.

قلت لكم قد دلت الأحاديث على أن الفرقة التي تنجو وتخلص من أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي واحدة وقد روى ابن وضاح والمرْوزي عن أمير المؤمنين حبيب قلوبهم كسائر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه أنه قال: إن هذه الأمة تفترق على ثلاثة وسبعين

فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة ناجية. وقد تتابع العلماء الأثبات على وصف هذه الفرقة بأنها ناجية، ورد هذا في كلام العلماء كثيرا، إذن الفرقة الناجية هي المتمسكة بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا الوصف الأول.

(المنصورة إلى قيام الساعة) فهذا اعتقاد الطائفة المنصورة، القائمة بالحق وهذا يستدعي من المسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد ليكون من المنصورين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :"لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس" وفي رواية: "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" متفق عليه واللفظ في الروايتين لمسلم، رواه البخاري بأخصر من هذا، لكن الحديث متفق عليه من جهة المعنى، واللفظ في الروايتين المذكورتين لمسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: "لاتزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة" وهذا الحديث رواه الترمذي وابن ماجه وسعيد ابن منصور وكذلك رواه الامام أحمد وقال: الترمذي حسن صحيح وصححه الألباني والأرناؤوط .

إذن النبي صلى الله عليه وسلم وصف طائفة من أمته بأنها ظاهرة، بارزة بالحق منصورة وبأنها منصورة فهذه الطائفة المنصورة موجودة يقينا، وإن لم تكن الطائفة المنصورة المتمسكة هي المتمسكة بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فمن تكون؟ ولذلك تتابع العلماء على أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث والسنة ولا شك في هذا الأمر.

الشيخ هنا قال: (الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة) عرفنا أن الشيخ أخذ هذا من الحديث الثاني في قوله صلى الله عليه وسلم: "حتى تقوم الساعة" وفي رواية الصحيحين: "حتى يأتي أمر الله"، فإن قال قائل: دلَّ الحديث على أن الساعة لا تقوم إلا على شِرار الخلق، نقول المعنى: إلى قرب قيام الساعة، وما قارب الشيء أخذ حكمه، معنى "إلى قيام الساعة": إلى قرب قيام الساعة، فإنه من المعلوم أن أرواح المؤمنين تقبض قبل قيام الساعة فلا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق.

أو يكون المقصود أنه إذا فُقِدَ أهل الإيمان من الأرض فلا قيمة لما بقي فكأن الساعة قد قامت! لا قيمة للأرض إلا بوجود أهل الإيمان فإذا قُبِضت أرواح المؤمنين كأنه لا قيمة فكأن الساعة قد قامت.

(أهل السنة والجماعة): أهل السنة لأنهم المعظمون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم الآخذون بها حيث صَحت سواءً كانت متواترة أو آحاد في عقيدتهم وأحكامهم, ولأن عقيدتهم عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم فعقيدتهم هي السنة, ولذلك سمى بعض السلف كتابه في العقيدة بماذا؟ بالسنة ما وجه ذلك؟ أن هذه عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم فهي السنة، وهم الجماعة، لماذا؟ لأنهم مجتمعون على الحق الذي اجتمع عليه صدر الأمة، فحيثُ ما وُجِدوا فهم الجماعة، وغيرهم فُرقة؛ ولأن في عقيدتهم حفظ جماعة المسلمين فلا يُحافظ على جماعة المسلمين حقيقةً إلا أهل السنة، الجماعة الشرعية القائمة في بلد من بلدان المسلمين لا يُحافظ عليها ولا يُقويها ولا يُثبتها إلا أهل السنة.

أما أهل البدع فمتقلبون أهل فُرقة، ولذلك ما إن يخرج خارج على جماعة المسلمين في بلد من البلدان إلا وتجد أهل البدع في صفه، والفتن من فوائدها أنها تميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم، فتجد أن أهل السنة والجماعة مع الجماعة الشرعية, مع الإمام مع ولي أمر المسلمين، وتجد أن أهل الفِرَق يتقلبون فإذا حدثت الفتنة وجدتهم مع أهل الفتنة، وكلما قَوِيَت الفتنة كلّما انضمَّ أهل البدع إلى الفتنة, ولذلك إذا أردت أن تعرف أهل السنة في زماننا في بعض البلدان، فانظر إلى الفتنة التي وقعت في ذلك البلد، ستجد أنّ أهل البدع حتّى الذين يتقنّعُون في زمن من الأزمان بالسنة، ستجِد أنهم مع الفتنة؛ لأنّ البدعة والفرقة تجذُبُهم.

أمّا أهل السنة والجماعة فهم يُحافظون على الجماعة الشرعية، فهم محافظون ولُزوم طريقهم يَحْفَظ الجماعة الشرعية ويُثَبِّتها ويُقوِّيها, ولذلك سُمُّوا بأهل السنة والجماعة وقد دلّت الأحاديث التي تقدّمت على وصفهم بهذا، فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "هم الجماعة, هم الجماعة" وقال في رواية: "من هم على ما أنا عليه وأصحابي" إذن هم أهل السنة, وهم أهل الجماعة.

فإذا علِم المسلم أنّ هذا الاعتقاد قد أجمع عليه السلف، واعتقدته الفرقة الناجية في كل زمان، والطائفة المنصورة وأهل السنة والجماعة، فكيف يترك هذا الاعتقاد، أو يترك شيئا منه.

ولذلك يا مَن أكرَمَكَ الله باعتقاد أهل السنة والجماعة، فاثبُت، واصبر، ولا تخف من قلة المُعين في زمنك، ومن قلة السائرين معك، فإنّك من الفرقة الناجية، ومن الفرقة المنصورة ولابد، ومن أهل السنة والجماعة ومن كان من هذا فهو إمام ولو كان وحده، وهو الجماعة ولو كان واحِدا.

وإذا ثبت أهل السنة ودعوا الناس بالحكمة، وعاملوا الناس بالأخلاق فإنهم سيزيدون ولا بد.

في كل ، سيزداد الناس في البلد، الذين يتمسكون بعقيدة أهل السنة والجماعة وهذا أمر ظاهر بلد إذا ثبت أهل السنة وصبروا، ودعوا الناس بالحكمة وعاملوا الناس بأخلاق أهل السنة معلوم.

قال رحمة الله عليه: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

بدأ الشيخ رحمه الله بذِكر عقيدة أهل السنة والجماعة على وجه الإجمال وهذا شامل لِكُلِّ العقيدة، يشمل العقيدة كلها، فإنّ كل العقيدة ترجِع إلى أركان الإيمان، إمّا هي أركان الإيمان، أو ما يتعلق بأركان الإيمان.

وهذا الاعتقاد أو هذه الأُصول التي ذكرها الشيخ لا يكون أحد مؤمنًا أصلا إلا إذا اعتقدها، على وجه الإجمال، لابد من اعتقادها، قال الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة ١٧٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء ١٣٦]. وفي حديث جبريل المشهور أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "ما الإيمان؟" فقال صلى الله عليه و سلم: "أن تؤمن بالله وملائكته و كتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث" متفق عليه، و عند مسلم: "بلفظ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره و شره".

إذن هذه الأصول الستة، التي لا يكون الإنسان مؤمنا إلا إذا آمن بها، فمن لم يؤمن بالله فليس بمؤمن، ومن لم يؤمن بالملائكة فليس بمؤمن، وإن قال أنا مؤمن بالله، ومن لم يؤمن بالرسل فليس بمؤمن، ومن لم يؤمن بالكتب فليس بمؤمن، ومن لم يؤمن باليوم الآخر فليس بمؤمن، ومن لم يؤمن بالقدر فليس بمؤمن.

والإيمان بالله إجمالا معناه: أن تؤمن بوجود الله، وأنه سبحانه موجود وأن تؤمن بربوبيته فتوحد الله عز وجل في أفعاله، وتؤمن بألوهيته وأنه المستحق للعبادة، فتوحد الله بأفعالك، وأن تؤمن بأن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العُلا.

فمن آمن بهذا فقد آمن بالله، ثم يزداد الإيمان بالله، بما سيأتي بيانه إن شاء الله، يزداد إيمان المؤمن بالله إذا عرف الأدلة على وجود الله، إذا عرف تفاصيل توحيد الربوبية، إذا عرف تفاصيل توحيد الألوهية، إذا عرف تفاصيل الأسماء و الصفات، فإن إيمانه يزداد. وسيأتي إن شاء الله في كلام الشيخ بيان بعض ما يتعلق بالإيمان بالله عز وجل.

والإيمان بالملائكة إجمالا أن تؤمن بأنهم خَلق من نور، وأنهم موجودون حقيقة، وأنهم لايعصون الله ما أمرهم، وأن لهم أعمالا خاصة، وأن أعدادهم كثيرة جدا، وأن تؤمن بأسماء من ثبت النص بأسمائهم، وأن تؤمن بما ثبت من أوصافهم وأعمالهم، هذا الإيمان بالملائكة, أن تؤمن بأنهم خلق من نور، وأنهم موجودون ليس خيالا ولا وهمًا ولا كذا ولا كذا، بل تؤمن بأنهم خلق من نور موجودون حقيقة وأن أعدادهم كثيرة وأن لهم أعمالًا خاصة وأنهم أهل طاعة مطلقة لايعصون الله ما أمرهم، تؤمن بأسماء من ثبت النص بأسمائهم، وتؤمن بما ثبت من صفاتهم، وأعمالهم.

وأما الإيمان بالكتب إجمالا فمعناه أن تؤمن بأن الله أنزل كتبا على رسله، وتؤمن بأسماء الكتب التي ثبتت بها النصوص، فتؤمن أن الله أنزل كتبا على رسله، وتؤمن بأسماء الكتب التي ثبتت النصوص بأسمائها.

وأما الإيمان بالرسل فمعناه أن تؤمن أن الله أرسل من البشر رسلا يُبلغون رسالاته، وأنهم مبشرون ومنذرون، وأن عددهم كبير، وتؤمن بأسماء من عُينت أسمائهم منهم، وتؤمن ببقيتهم إجمالا، وتؤمن بأنهم صادقون، وأن خاتَمهم محمد ﷺ، فمعنى الإيمان بالرسل كما قلنا إجمالا أن تؤمن، وتجزم، أن الله أرسل من البشر رسلا يبلغون رسالاته، وأنهم مبشرون ومنذرون، وأن عددهم كبير، وتؤمن بأسماء من عينت أسمائهم منهم، وتؤمن ببقيتهم إجمالا، وتَجزم وتؤمن أنهم صادقون عليهم السلام وأن خاتمهم محمد ﷺ.

والإيمان بالبعث بعد الموت أن تؤمن بكل ما جاء في القرآن، وصح في سنة النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، إلى دخول الجنة أو النار، وما فيهما، أن تؤمن بكل ما تبث في القرآن، وما صح عن النبي ﷺ، مما يكون بعد الموت، فمن مات قامت قيامته إلى دخول الجنة أو النار، وما فيهما، ما في الجنة وما في النار، فتؤمن بذلك إجمالا.

والإيمان بالقدر، طيب هنا تلحظون أن الشيخ قال والبعث بعد الموت، ما قال واليوم الآخر، لماذا لم يقل الشيخ كما هو الشائع المشهور في ألسنة العلماء، واليوم الآخر؟ يظهر لي والله أعلم, أن الشيخ قال والبعث بعد الموت, لأن هذا الذي ورد في الصحيحين، اتفق عليه الشيخان، البعث الآخر أو البعث، أما لفظ اليوم الآخر فقد ورد عند الإمام مسلم، والكل حقّ والكل ثابت، والمدلول واحد لكن الايمان بالبعث ورد في حديث جبريل عند الشيخين عند البخاري ومسلم. وقد ذكرت لكم في المجلس الماضي أن الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة بالذّات يتغيّ الألفاظ الواردة في النصوص فقدم ما ثبت في الصحيحين هذا الذي يظهر لي والله اعلم.

وأما الإيمان بالقدر خيره وشرّه فمعناه أن تؤمن بأن الله قدّر الأمور حسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته، فالقدر عن علمٍ كان وبحكمة كان، وأن تؤمن بأن الله علم كل شيء فعلمه قديمٌ محيطٌ ثابتٌ، عَلِمَ في الأزل كل شيء سبحانه وتعالى، وأحاط بكل شيء علما فلم يخرج عن علمه حركة ولا سكون سبحانه وتعالى، وعلمُه ثابت لا يتغيّر؛ فلا يمكن أن يكون في الواقع خلاف علم الله سبحانه وتعالى, وأن تؤمن بأن الله عز وجل كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى قيام الساعة. وأن تؤمن بمشيئة الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يقع في خلق الله ولا من خلق الله إلا ما شاء الله سبحانه وتعالى. وأن تؤمن بأن الله خالق كل شيء. إذن علمٌ، فكتابة، ومشيئة، وخلق, تؤمن بهذه الأربعة. وأن تؤمن أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك. إذن الايمان بالقدر إجمالا أن تؤمن بأن الله عز وجل قدّر كل شيء بحسب علمه السابق وحكمته ما اقتضته حكمته.

وتؤمن بمراتب القدر، أن الله أحاط بكلّ شيء علمًا وأمر القلم فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وأنه سبحانه شاء فلا يكون في الكون إلا ما شاءه سبحانه وتعالى وأنه خلق كل شيء وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك أبدًا و أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك

وتؤمن أيضا بأن الخير من قدر الله لحكمة وأن الشر من قدر الله لحكمة، ولما كان لحكمة فإن الشر لا ينسب إليه سبحانه وتعالى، وإن كان مُقَدِرًا له خالقا له، لكنه لما كان لحكمة لم يكن الشر لينسب إلى الله عز وجل بل هو مقتضى الحكمة التامة.

فإذا آمن الإنسان بهذه الأصول الستة على هذا الوجه المجمل فهو مؤمن، وإن غاب عنه بعض التفصيل، فهذه هي العقيدة إجمالاً وإذا ضبطت هذا فقد ضبطت عقيدة السلف ثم تزداد علما فيها بحسب ما تقرأ من كتب أهل السنة، ولذلك ينبغي علينا يا أخوة أن نهتم بتعليم الناس هذه الأصول الستة ونبدأ بالإجمال نعلم الناس هذه الأصول الستة على وجه الإجمال، ثم بعد ذلك نفصل لهم بحسب مقتضيات الأحوال ليزداد المؤمنون إيماناً، وهذه الطريقة الشرعية التي جاءت في الكتاب والسنة وسار عليها علماء الأمة وسار عليها شيخ الإسلام هنا فإنه بدأ بالعقيدة إجمالاً ثم فصلا ما يُحتاج إلى تفصيله بزمنه فذكر العقيدة تفصيلا وسنبدأ إن شاء الله من الأسبوع القادم في تفصيل أمور من العقيدة والإيمان يحتاجها الناس حاجة شديدة لاسيما بعدما وقعت الفرقة في الأمة ونحن بحاجة أن نَعلمها وأن نُعلِمها ما أحوج الأمة اليوم إلى أن تُعَلَّمَ التوحيد، وأن تُعَلَّمَ العقيدة الأمة أنّت واشتكت من البدع وأهلها، ومهانة البدع، وما جرته البدع على الأمة من شر في جميع أمورها الإجتماعية ومن قبل ذلك الدينية والسياسية فما جَرَّت البدع وأهلها على الأمة إلا شراً فالأمة بقادتها وعامتها بحاجة إلى أن تُعَلم التوحيد والعقيدة الصحيحة بالحجة والبرهان وطَيب الكلام وطلاقة اللسان لعل الله عز وجل أن ينقذ من اعتقد خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن يكفي الأمة شرور البدع وأهلها، وأن يعيد الأمة إلى عزها.

يقول هذا السائل: من جعل التوحيد على هذه الأقسام، توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال، هل يعد هذا التقسيم صحيحا؟

الجواب: يا إخوة ! الخير أن نسير على ما سار عليه العلماء، حتى لو كان صحيحا، مع أنه ليس صحيحا على هذا الاطلاق المذكور، فإن التوحيد إنما يكون متعلقا بالربوبية وبالألوهية وبالأسماء والصفات، والربوبية متعلقة بأفعال الله سبحانه وتعالى، والألوهية متعلقة بأفعال العباد من جهة إفراد الله عز وجل بها، والأسماء والصفات متعلقة بأسماء الله وصفاته، فهذا التقسيم بهذه الألفاظ فيه خلل من جهة أوله إلا أن يُؤول الأول، ولا حاجة إلى أن نستعمل التأويل، لكن أقول مهما يكن من أمر فالأحسن والأجدر بطالب العلم أن يسير على طريقة العلماء وأن يترك الناس على ما استقر في أذهانهم أخذا عن علماء أهل السنة وينطلق من هذا المنطلق.

السؤال: هل يصح التفريق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة؟ وهناك من يضعف حديث الفرقة الناجية، فهل لهذا الكلام وجه؟

الجواب: أما الكلام الأخير فقد أجبت عنه في الدرس، وقد أطلت في تقرير الحديث؛ لأبين ضعف تضعيف هذا الحديث، وأنه مهما يكن من أمر فإن طالب العلم الذي ينظر في روايات الحديث يجزم أن الحديث ثابت بطرقه، وأن علماء الأمة الكبار قد تلقوه بالقَبول فلا يلتفت إلى غيرهم.

وأما التفريق بين الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، فالذي يظهر من دلالات النصوص وكلام أئمة أهل السنة أنه لا فرق بينهما من جهة الموصوف، وإنما الفرق من جهة الوصف. فالموصوفون هم لكن وُصِفوا بالنجاة، والنجاة معناها السلامة من الضلال في الدنيا من جهة عقيدتهم، والسلامة من النار في الآخرة.

ووُصِفوا بأنهم منصورون أي ظاهرون على غيرهم بالحجة والبرهان، ولهم الدولة في المآل.

أهل البدع يتذبذبون يرتفعون ويسقطون وأهل السنة بالحق دائما منصورون. قد تكون لأهل الباطل جولة ولكن لا تكون لهم دولة. وبعض العلماء فرق فرقا له وجه على كل حال، ولكنه لا يقتضي المغايرة، فقال الفرقة الناجية هم عموم أهل السنة بعلمائهم وعوامهم، والطائفة المنصورة هم علماء أهل السنة والعوام تبع لهم، وأخذ هذا من تقريرات أهل السنة أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث والفضل والعلماء منهم، وإن لم أكن واهمًا أشار الشيخ الألباني رحمه الله إلى هذا الفرق وإلى أنه ليس بعيدا، وهذا الفرق ما يقتضي المغايرة، وإنما عموم وخصوص، فالفرقة الناجية عموم أهل السنة والجماعة كل أهل السنة والجماعة فرقة ناجية، والطائفة المنصورة هم علماء أهل السنة والجماعة.

ومع ذلك فأنا أرى أن الفرقة الناجية هم كل أهل السنة والجماعة، وأن الطائفة المنصورة هم كل أهل السنة والجماعة، فالعامي الواحد من أهل السنة والجماعة يحير سبعين من علماء أهل البدع، وأما التفريق الذي أحدثه بعض من يُسَمون بالدعاة في زماننا هذا فهذا تفريق ساقط لا يلتفت إليه ولا يوقف عنده مخالف للنصوص ولإجماع أئمة أهل السنة.

السؤال: ذكرتكم حفظكم الله إن من خالف هذه العقيدة لا يلزم أن نقول بدخوله النار مع أن ألفاظ الحديث بشتى طرقه صريحة في النص على دخولهم النار وأنهم في الهاوية والهلاك؟

الجواب: غفر الله لك يبدو أنك ما عرفت طريقة أهل السنة والجماعة في نصوص الوعيد، نصوص الوعيد بدخول النار على قسمين نصوص وردت في الكفار وهذه متحققة يقيناً، بشرط أن يثبت بالنص والدليل أن هذا كفر، أن المتوعد عليه بدخول النار كفر، انتبه لما أقول! ليس التوعد ليس الوعيد بدخول النار دليل على الكفر فقد يتوعد بدخول النار كافر وغير الكافر، لكن إذا جاءت نصوص وعيد في حق الكفار فهي متحققة يقيناً.

والقسم الثاني: أن ترد في حق العصاة من المسلمين، كوعيد شارب الخمر بدخول النار، ووعيد الزاني بدخول النار ووعيد القاتل عمدا بدخول النار، فهذه تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه بعفوه ومغفرته ورحمته، وقد تكون لهم حسنات ترجح بتلك السيئات في الميزان، وقد يعذبهم الله مقدار ذنوبهم ثم يخرجهم من النار، إذن ليس الوعيد بالنار دليلا على الكفر وليس لازم به الوقوع لكن المشروع لمن يحدث الناس أن يُمِر نصوص الوعيد ظاهرها وأن لا يتعرض لكونها تحت المشيئة حتى لا يضعف آثرها في نفوس الناس إلا إذا حدثت فتنه وأصبح الخوارج يستعملون النصوص في تكفير عموم المسلمين فهنا تُفسر وتبين لدرأ فتنة أهل الفتن وقد اختلف العلماء في هذه الفرق هل هي كافرة أو ليست كافرة، والذي عليه أكثر أهل السنة والذي تدل عليه الأدلة دلالة بيّنة أنهم ليسوا كفارًا على الإطلاق بل قد يكفر منهم من يكفر، ويكون بعضهم مبتدعا، ويكون بعضهم مخطئًا.

السؤال: بعض أهل العلم يذكر في الإيمان بالملائكة أنهم مخلوقون من النور ويزيد: وأن لهم أجسادا وأنه قيد ضروري، هل هذا صحيح؟

الجواب: نعم, يقولون لهم أجسادا لِرد على من يقول إنهم أرواح، بعضهم يقول إنهم أرواح بلا أجساد فيذكرون هذا، لكن هذا لا يلزم في الاعتقاد المجمل، فإذا اعتقد أنهم مخلوقون من نور، وأنهم موجودون حقيقة، وأن لهم أعمالا خاصة، وما ذكرناه فهذا يكفي في الاعتقاد المجمل.

السؤال: ألا يمكن أن يقصد شيخ الاسلام رحمه الله بقوله والبعث بعد الموت ذِكر هذا الأمر بخصوصه؛ لأن هذه المسألة من أعظم مسائل الايمان باليوم الآخر التي أنكرها المشركون؟

الجواب: هذا ليس مقام ذكر الأعظم هذا مقام ذكر الأصول الاجمالية، ولاشك أن شيخ الاسلام يريد كل ما يكون بعد الموت كما سيأتي تفصيله في الرسالة فإنه يبين أن من الإيمان بالبعث أو الايمان باليوم الآخر، الإيمان بما يكون بعد الموت.

السؤال: في أي قسم من أقسام التوحيد يدخل الإيمان بوجود الله؟

الجواب: هذا أصل التوحيد، كيف يؤمن بربوبية الله من لم يؤمن بوجود الله؟ كيف يؤمن بألوهية الله من لم يؤمن بوجود الله؟ كيف يؤمن بأسماء الله وصفاته من لم يؤمن بوجود الله أصلا؟ إذن أصل التوحيد هو الإيمان بوجود الله فهو يدخل في كل أنواع التوحيد.

السؤال: من المعلوم أن زيادة الإيمان ونقصانه من عقيدة أهل السنة والجماعة، فهل هذه الزيادة والنقصان في أصل الإيمان؟

الجواب: هذه الفلسفات التي أُحدثت، أصل الإيمان، وشرط كمال، وشرط صحة، أحدثت فُرْقَة، وأضعفت حقيقة الايمان عند كثير من الناس، لماذا لا نلزم ما أجمع عليه السلف؟، أن الايمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان. عمل بالجوارح والأركان ما يأتي أحد يقول أعمال القلوب يقصدون أعمال القلوب، عمل بالجوارح والأركان

أجمع على هذا أهل السنة والجماعة. وأن الإيمان يزيد وينقص ونترك هذه الأمور الأخرى، الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، لا أعلم أحدا من أهل السنة قديما ولا حديثًا إلى وقتي هذا لا يقول هذا لكن فُرِعت مسائل شتت الأذهان، وأن الإيمان يزيد وينقص ونقف، فليسلم لنا اعتقادنا سلامة واضحة ونتميز عن المبتدعة الخوارج والمعتزلة في ناحية والمرجئة في ناحية أخرى.

السؤال: ما هو الفرق بين التوحيد والإخلاص ؟

الجواب: الإخلاص من التوحيد، فالتوحيد أعم، لأن التوحيد توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، والإخلاص متعلق بتوحيد الألوهية، متعلق بتوحيد العبادة. والإخلاص هو عمل في توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية اعتقاد وعمل، اعتقاد: أن تعتقد أنه لا يستحق العبادة إلا الله، فلا معبود بحق إلا الله، وأنه لا يجوز صرف شيء من العبادة ولو قَلَّ إلى غير الله ولو فَضُل، وأن تعمل بهذا.

والإخلاص عمل ومتعلق بالعمل، وبهذا تعرف نسبة الاخلاص الى التوحيد عموما فهو متعلق بتوحيد الألوهية، وتعرف نسبة الإخلاص إلى توحيد الألوهية خصوصا، فهو متعلق بأحد ركني توحيد الألوهية.

السؤال: هل من فرق اليهود والنصارى التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الافتراق المشهور فرقة ناجية؟

الجواب: لا شك في هذا، النبي صلى الله عليه وسلم قال: "واحدة في الجنة" من كان من اليهود على ما جاء به موسى عليه السلام قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فهو في الجنة، أما من سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم منهم ولو سلمنا أنه باق على أصل ما جاء به موسى عليه السلام لكنه سمع بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به فهو كافر من أهل النار .ومن كان من النصارى على ما جاء به عيسى عليه السلام حقًا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فهو في الجنة، أما من سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم منهم ولم يؤمن به فهو في النار .

السؤال: كيف نفهم أن أهل البدع لا تكون لهم الدولة وقد تكون لهم الجولة وكيف نفهم وجود دولة للإباضية؟

الجواب: الدولة: هي الأمر المستمر المستقر. كما شرحته لكم في كتاب التوحيد، وليس الدولة بالمصطلح السياسي، فالدولة تعني الاستمرار والاستقرار، فأهل الباطل قد تكون لهم جولة، لكن لا تكون لهم دولة، بل يرتفعون ويسقطون كما قلنا، وأما الاستقرار والديمومة فهي لأهل السنة والجماعة، فلا تفهم الدولة بمعنى المصطلح السياسي وإنما بمعنى المصطلح الشرعي.

ولعل في هذا كفاية والله أعلم وصلى الله على نبينا وسلم.

درسنا كما تعلمون في فجر السبت في شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عز وجل وقد تقدم معنا أن هذا الكتاب كله من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكله قد أجمع عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم فلم يجعل فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عز وجل من كلامه إلا قليلا وما ذكره من كلام التزم فيه الألفاظ من الكتاب والسنة ولاشك أن هذا الكتاب يجب

على المسلم أن يعتقد ما فيه اعتقادًا جازما؛ لأنه كما تقدم قد أجمع عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

يقول شيخ الإسلام رحمة الله عليه: وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ: تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ: تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

بعد أن ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عز وجل وسائر علماء المسلمين العقيدة بإجمال التي هي: الإيمان بأركان الإيمان الستة، فالعقيدة كلها ترجع إلى هذا. بدأ رحمه الله عز وجل يُفصل في مسائل كبرى تعظم الحاجة إلى تفصيلها؛ لانحراف بعض الفرق فيها، وكثرة النزاع فيها عند المتأخرين، وظهور شبهات انطلت على بعض المسلمين فيها، فعظمت الحاجة إلى بيانها، وبدأ بالإيمان بالأسماء والصفات، والإيمان بالأسماء والصفات من الإيمان بالله كما قال الشيخ "ومن الإيمان ".

ومن : هنا تبعيضية, لأنه تقدم معنا أن الإيمان بالله الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته فمن الإيمان بالله :الإيمان بالأسماء والصفات وذلك لوجوه ثلاثة:

أما الوجه الأول منها :فهو أن ربنا سبحانه وتعالى رحمنا وأكرمنا فعرفنا بنفسه وماله من الأسماء الحسنى، وصفات الجلال والكمال في كتابه الكريم، وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم. فمن الإيمان بالله أن نتعرف إلى الله عز وجل بمعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكلما زاد المسلم علما بأسماء الله عز وجل وصفاته عظمت معرفته بالله سبحانه وتعالى، وزادت عبادته لربه سبحانه، واشتد خوفه من الله عز وجل، وعظم رجاؤه فيما عند الله عز وجل، واشتدت مراقبته لله سبحانه وتعالى، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إذًا هذا الوجه الأول لكون الإيمان بالأسماء والصفات من الإيمان بالله عز وجل.

الوجه الثاني: أن الإيمان بذات لا صفات لها أمر نظري لا حقيقة له، بل يؤول في الحقيقة إلى العدم، فمحال أن توجد ذات لا صفة لها، فالإيمان بصفات الله من الإيمان بالله عز وجل سبحانه وتعالى، فمن

آمن بالله عز وجل لزمه ضرورة وعقلا وشرعا أن يثبت لله عز وجل الصفات ولا طريق لهذا إلا التوقيف كما سيأتينا إن شاء الله عز وجل.

الوجه الثالث: أن الإيمان بالله يوجب تصديق الله ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ ويوجب تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في القرآن إثبات الأسماء والصفات، وجاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم إثبات الأسماء والصفات، فكان من إيمان العبد بالله أن يصدق بما جاء في القرآن، وما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن والسنة مملوءان من إثبات أسماء الله عز وجل وصفاته سبحانه وتعالى فهذه أوجه ثلاثة.

لكون الإيمان بالأسماء والصفات من الإيمان بالله بل إن المتأمل في الإيمان بالأسماء والصفات يعلم أن الإيمان بالأسماء والصفات كما أنه من الإيمان بالله فهو من الإيمان بالملائكة، ومن الإيمان بالرسل، ومن الإيمان بالكتب، وذلك أن الملائكة قد آمنت بالأسماء والصفات كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة. فمن الإيمان بالملائكة أن تؤمن أنها قد آمنت بالأسماء والصفات والملائكة لا تصدر منها إلا الطاعة، ولا يكون منها إلا الحق فمن الإيمان بالملائكة أن تؤمن بالأسماء والصفات كما أن الرسل عليهم السلام جميعًا قد أثبتوا الأسماء والصفات ونطقوا بها و اعتقدوها وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم فإنه أثبت الأسماء والصفات لله عز وجل بفعله وقوله وتقريره صلى الله عليه وسلم وأثبت الإيمان لمن أثبت الصفات بل قرن هذا بالإيمان برسالته فعندما أراد الصحابي الذي صك الجارية أن يعتقها سألها النبي صلى الله عليه وسلم "أين الله؟" فقالت في السماء وأشارت بأصبعها فقال "فمن أنا" قالت رسول الله فقال "أعتقها فإنها مؤمنة" فعلمنا من هذا التلازم بين الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بصفات الله سبحانه وتعالى.

فمن الإيمان بالرسل عليهم السلام أن تصدق الرسول فيما أخبر به وخاتمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان به أن تصدقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ولا تشك في ذلك أبدا ومن أعظم ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ودارت عليه سنته أسماء الله عز وجل وصفاته سبحانه وتعالى، كما أن الكتب التي أنزلها الله جل وعلى على رسله جاء فيها إثبات الأسماء والصفات فمن الإيمان بالكتب أن تؤمن بأسماء الله عز وجل وصفاته فتحقق لك يا عبد الله أن الإيمان بأسماء الله وصفاته من الإيمان بالله،

والإيمان بملائكته، والإيمان برسله، والايمان بكتبه. وتلحظ أيها المبارك أن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله لم يذكر الإيمان بالأسماء هنا وإنما ذكر الإيمان بالصفات؛ وذلك لأن موطن النزاع الأكبر مع الفرق إنما هو في الصفات، فأكثر الفرق لا إشكال عندها في إثبات الأسماء من حيث هي أسماء وإنما نزاعها في الصفات فتُثبت أسماء ولكن لا تثبت الصفة التي تتضمنها الأسماء ولا غيرها من الصفات على ما جاء في الكتاب والسنة وقد ذكرنا أن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الكتاب إنما يذكر المسائل الكبرى في العقيدة التي وقع فيها النزاع وعظمت الحاجة إلى بيانها.

إذًا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إنما ذكر الصفات فقط، لكون النزاع الأكبر إنما وقع فيها و كثير ممن نازعوا في الأسماء يعود نزاعهم في الحقيقة إلى النزاع في الصفات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، تضمن هذا الكلام عدة أصول عظمى في باب الصفات:

الأصل الأول : أن الصفات مبنية على التوقيف كما قال الإمام أحمد رحمه الله عز وجل مجليًا ما عليه السلف الصالح رضوان الله عليه قال: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصف به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يُتَجاوز القرآن والحديث، فالصفات مبنية على التلقي مبنية على التوقيف ، فلا يجوز للمؤمن أن يصف الله عزل وجل إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فصَحَّ به الحديث ولا يتجاوز في ذلك القرآن و الحديث ، وذلك أن ربنا سبحانه و تعالى غيب فهو سبحانه بنسبة لنا غيب والغيب كما يعلم العقلاء لا يعرف إلا بطرق ثلاث :

الطريقة الأولى: أن يُشاهد فما غاب عنك لا تعرفه، لكن إذا شاهدته عرفته.

والطريقة الثانية: أن تعرف مثيله، فيُمثل لك به فتعرفه.

والطريقة الثالثة: أن يخبرك بذلك صادق عارف به.

فهذه طرق معرفة ما غاب عنك، ولا شك إن الطريقة الأولى منتفية في حق ربنا سبحانه وتعالى فإنه لن ير الله أحد في الدنيا ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف ١٤٣] فلا يتأتى الطريق الأول في حق الله سبحانه

وتعالى كما أنه مما لا شك فيه أن الطريقة الثانية محالة في حق ربنا سبحانه وتعالى فأن ربنا سبحانه وتعالى لا يماثله شيء ليس كمثله شيء سبحانه و تعالى فتعين الطريقة الثالث و هو أن يخبرك صادق عارف به و لا يتحقق هذا إلا في خبر الله، أو في خبر رسول الله صلى الله عليه عن الله سبحانه و تعالى، فتعين أن تعرف أسماء الله و صفات الله بالخبر في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس وراء ذلك إلا الهوى واتباع الظن والعقل المريض قال تعالى: ﴿ وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوى ۝ إن هُوَ إلّا وَحيٌ يوحى﴾ [النجم: ٣-٤] فالأمر على درجتين إما وحيٌ يتبع، وإما هوى يبتدع، والنبي صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى فالمتبع له لا يتبع الهوى، ولا يبتدع هوى؛ وإنما يلزم الوحي فيأخذ الأسماء والصفات من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله عز وجل ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام ١١٦] ولا شك أن من ترك ما في الكتاب والسنه ليس عنده إلا الظن و كل هذا كما ترى أيها المبارك قول على الله بغير علم وهو من أعظم الذنوب بل هو أعظم الذنوب, كما قال الله عزوجل ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف ٣٣] فحرم ربي أن يقول العبد عليه مالا يعلم وأعظم ذلك أن يقول عليه في أسمائه وصفاته مالا يعلم ولاشك أن كل قولٍ في الأسماء والصفات لم يثبت في القرآن ولَم يثبت في السنه قول على الله عز وجل بغير علم فإذا استنار لك هذا أيها المؤمن فاعلم يقيناً أن الأدلة النقلية هي الموصلة إلى العلم بالله سبحانه وتعالى سواء كان الدليل النقلي من القرآن والسنة معاً، أو كان من القرآن فقط، أو كان من السنة فقط، سواءً كانت السنة متواترةً أو كانت آحادا، وعلى هذا أجمع السلف قاطبه رضوان الله عليهم وأضف إلى ذلك أن الأدلة العقلية الصحيحة مسلمةٌ للأدلة النقلية، وبهذا تسلم أيها المبارك من الأصول التي ابتدعها المبتدعة في باب الأسماء والصفات وهي تعود إلى ثلاث أصول:

الأصل الأول: أن الأدلة النقلية تفيد الظن، قال أن الأدلة النقلية من الكتاب والسنه تفيد الظن، وهذا أصل باطل بل من أبطل الباطل.

والأصل الثاني: أن خبر الواحد لا يدل على المعتقد أن خبر الواحد لا يدل الأسماء والصفات، وهذا من أبطل الباطل فإذا صح الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لزم تصديقه يعني إذا جاء الحديث خبر

الواحد بالإسناد الصحيح فإن المُتيَقن أنه يجب على المسلم أن يصدق مافيه. طيب إذا صدق مافيه اعتقد إذا اعتقد ما فيه، فإذا لم يعتقد ما فيه فإنه يكذبه.

والأصل الثالث من الأصول المبتدعة: تقديم العقل على النقل وهذه خرافة، فلا يمكن أن يعارض العقل السليم النقل الصحيح، فمن علم ما ذكرناه سلم من هذه الأصول المبتَدعة، هذا الأصل الأول في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

الأصل الثاني: أن لزوم ما أجمع عليه السلف في باب الصفات، والبعد عما أحدثه المحدثون فرض لازم، قال الله عز وجل : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي يخالف الرسول فيكون كأن الرسول صلى الله عليه و سلم في جانب و هو في جانب ، ﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فجعل الله عز و جل إتباع غير سبيل المؤمنين كمشاقة الرسول صلى الله عليه و سلم، ومن المعلوم أن المؤمنين حال هذا الخطاب هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ من بعد ما جاء النور في الكتاب والسنة، ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ فيكون تائها ضائعا حائرا في فرقة و حيرة ﴿ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ ﴾ لأنه فعل هذا الذنب العظيم ﴿ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ فدلت هذه الآية على حرمة مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى حرمة مخالفة ما عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم و رأسهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيلزم المؤمن أن يلزم ما كان عليه الصحابة، و لزوما كانوا عليه في باب الأسماء والصفات ألزم؛ لأن هذا من أصول الدين العظمى، كذلك قال الله عز وجل : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام ١٥٣]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ هذا: اسم إشارة و اسم الإشارة لا يكون إلا لموجود أي ما كان في زمن النبي صلى الله عليه و سلم، و كان عليه الصحابة هو الصراط المستقيم الذي يجب لزومه، وأن مخالفته فرقة و عذاب، وأن من تنحى عما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم يكون من أهل الفرقة وأهل الافتراق. كذلك قال الله عز وجل : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة ١٠٠] فكانت هذه هي الفئة المحمودة، من هم؟ السابقون الأولون السابقون إلى الإسلام الأولون من المهاجرين و الأنصار و هؤلاء هم الصحابة ، ثم من ؟ الذين اتبعوهم

بإحسان هؤلاء هم أهل الرضا وهذا يقتضي من المؤمن الذي يريد رضا الله ويريد النجاة أن يتبع ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا" أي: في الدين (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) أي: عند الاختلاف عليكم بسنتي فإنها الحق وفيها النجاة وهي مركب النجاة. (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) فأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم سنة الخلفاء الراشدين المهديين ومن المعلوم أن الصحابة في زمن الخلفاء كانوا مع الخلفاء فيلزمنا أن نلزم ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومما يعضد ذلك ويؤكده أن ما كان عليه السلف هو الجماعة وأن ما حدث بعدهم هو الفرقة وقد أمرنا بلزوم الجماعة ونُهينا عن التفرق، فكل هذا يدل على هذا الأصل العظيم في باب الأسماء والصفات، وهو لزوم ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم في باب الأسماء والصفات والبعد عن البدع المحدثة في هذا الباب.

الأصل الثالث: الإثبات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهذه طريقة الإثبات أن تثبت اللفظ ومعناه على ما يليق بجلال الله، فلا يكون في إثباتك تحريف وهذا اللفظ ..أعني من غير تحريف أولى من قول كثير من العلماء من غير تأويل؛ لأن التأويل له معانٍ منها:

التفسير، ومنها صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى المعنى المرجوح لدليل قوي دلّ على ذلك، والأمران غير منفيين وغير مذمومين يعني عندما يقول المفسرون تأويل هذه الآية كذا تأويلها كذا، هذا معنى تفسيرها وهذا أمر محمود.

عندما نصرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المرجوح المحتمِل لكن بدليل قوي يدل على ذلك فهذا أمر محمود وإن سمي تأويلاً مثلاً يقول الله عز وجل : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل ١]، ﴿أَتَى﴾: ماذا أتى؟ فعل ماضي ظاهر اللفظ أنه قد أتى أو مضى لكننا نقول المعنى سيأتي أمر الله سيأتي أمر الله بدليل قول الله عز وجل : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ لكن لقربه عُبِّر عنه بالماضي هذا تأويل لكنه محمود.

كما أن التأويل يأتي بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر بغير دليل أو بدليل ضعيف وهذا مذموم، وهذا في الحقيقة هو التحريف فالتعبير بلفظ يدل على المعنى المذموم ولا يحتمل غيره أحسن من التعبير بلفظ يحتمل معاني.

إذا ما هو التحريف؟ التحريف هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر بغير دليل أو بدليل ضعيف .كما هو في تأويلات الفِرق في باب الصفات.

إذا التحريف ميل بالصفات عن معناها الظاهر الذي تظافرت عليه النصوص ونطق به السلف الصالح رضوان الله عليهم إلى معنى مخترع لا أصل له في الشرع، وهذا كما تَلحَظُون يوافق معنى التحريف في اللغة، لأن التحريف في اللغة إمالة الشيء عن موضعه إلى موضع آخر يقال حرفه عن القبلة، أعمى كان يصلي إلى القبلة فجاء رجل وأداره عن جهة القبلة نقول حرفه عن القبلة، أماله من جهة القبلة الصحيحة إلى جهة أخرى فمعنى التحريف في اللغة يدور على: الإمالة، والتغيير، والتبديل. وهذا مناسب لمعنى التحريف هنا.

قال الخليل بن أحمد: والتحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها ومن غير تعطيل والتعطيل هو نفي الصفات كلها أو بعضها وتعطيل ذات الله عز وجل عن الصفات وهذا موافق لمعنى الكلمة في اللغة فالتعطيل في اللغة بمعنى الخلو والفراغ والترك، وبئر معطلة، أي: متروكة مهجورة.

ما الفرق بين التعطيل والتحريف؟ التحريف تفسير باطل، والتعطيل نفي. هذا باختصار التحريف تفسير ولكنه باطل، أما التعطيل فهو نفي من الأصل. ومن غير تكييف فلا يسألون عن الهيئة والصورة ولا يطلبون معرفة الحقيقة والكنه، فهم لا يكيفون الصفة، لأنهم لم يعلموا الكيفية كما أنهم لم يعرفوا كيفية الموصوف والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ويرون السؤال عن هذا بدعة هذي طريقة السلف في التكييف لا يكيفون، لأنهم لم يعلموا هم لا ينفون الكيفية لكن لا يكيفون لأنه لم يرد ذلك في الكتاب والسنة ولا يتطلبون معرفة الكيفية والكنه، ويرون السؤال عن هذا بدعة وضلال كما قال الإمام مالك لما سأله رجل فقال: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ كيف استوى، فأصابت الإمام مالك الرحضاء والعرق كأنه محموم من شدة نكارة السؤال عند السلف، كيف استوى ثم قال رحمه الله عز وجل الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالًا

أخرجوه. والأثر صحيح لا شك في صحته عن الإمام مالك وله ألفاظ، وهذا ليس قول الإمام مالك فقط بل هذا قول السلف الصالح رضوان الله عليهم وقد جاء أن الرجل قال للإمام مالك لما قال له ذلك سألت عن هذا أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل بغداد، فلم يوفقوا إلى ما وفقت إليه وهذا يدلك على أن الرجل صاحب فتنة وهذه يا أخوة علامة الذي تجده يتنقل بأسئلته بين المشايخ ويضع الأسئلة الملغومة التي يرجو أن يحدث في جوابها اضطراب اعلم أنه صاحب فتنة ما هو صاحب حق، ولا صاحب هدى ولو وصف نفسه بما شاء من الأوصاف هذا الرجل صاحب ضلال وفتنة ، وكان يتنقل في الأمصار يسأل كيف استوى فأجابه هذا الإمام الأثري السلفي بهذا الجواب العظيم، فهذه خلاصة عقيدة السلف في التكييف أعني ما قاله الإمام مالك رحمه الله عز وجل وسائر علماء المسلمين.

ومن غير تمثيل: أي من غير تسوية لصفات الله بصفات المخلوقين فهم يثبتون لربهم الصفات وينفون عنه مماثلة المخلوقات، إذا عقيدة السلف في الأسماء والصفات تقوم على ثلاث أركان لا بد منها:

الركن الأول: إثبات الصفة ذاتها.

الركن الثاني: إثبات معنى الصفة الظاهر على ما يليق بجلال الله، فهم يثبتون معنى الصفة الظاهر الذي يفهمه العربي إذا سمع اللفظ على ما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى.

والركن الثالث: تنزيه الله عن المماثلة والسلامة من التحريف والتعطيل والتكييف، تنزيه الله عن المماثلة فلا يرد في عقولهم تمثيل أو تشبيه صفة الله بصفة مخلوق، ويسلمون من التعطيل والتحريف والتكييف.

وبهذا تعرف أيها المبارك أن عقيدة السلف الصالح في الأسماء والصفات هي سواء السبيل فهم يفارقون أهل التعطيل وأهل التمثيل وأهل التفويض، السلف يفارقون أهل التعطيل الذين ينفون، وأهل التمثيل الذين يمثلون، ومن مثل حرف، لا يمكن أن يكون التحريف إلا بعد التمثيل، تنطبع في صورة الذهن المماثلة فينفر القلب عنها فيحرف، وهم يفارقون أهل التفويض الذين يقولون نثبت الصفة، ونثبت لها معنى لكن نفوض معناها، لا ندري ما معناها، فإن من قال ذلك أعني التفويض يلزمه إما أن يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتمان، أو يتهمه بالجهل والعياذ بالله، ولابد لأنا نقول أن النبي الله صلى الله عليه وسلم تلا علينا القرآن، وأخبرنا بما أوحى الله إليه، ولم يقل لنا هذه الصفات لها معاني لا يُدرى

ما هي، فإن كان النبي الله صلى الله عليه وسلم عالما بهذا ولم يخبرنا فلقد كتم، وإن لم يكن عالما بهذا فقد جهل، وكلا الأمرين من أشد ما يكون قبحا، ولذلك حمل أهل السنة على أهل التفويض حملة شديدة، ولكن أهل الكلام لجهلهم بما عليه السلف ظنوا أن التفويض هو عقيدة السلف، ولذلك قالوا منهج السلف أسلم، ومنهج الخلف أعلم وأحكم، لماذا؟ لأن أولئك لجهلهم بما عليه السلف ظنوا أن منهج السلف التفويض في المعاني، وأنهم لا يثبتون المعنى بعينه، يثبتون معنى لا يعرفونه، فقالوا هذا أسلم، ومنهج الخلف الذين أولوا وخاضوا في المعاني أعلم وأحكم، ولا شك أن منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم؛ لأنهم كما قلنا أثبتوا الصفة، وأثبتوا معناها الظاهر على ما يليق بجلال الله، ولم يخطر في بالهم المماثلة، وسلموا من التحريف، والتعطيل، والتكييف، فكان ما هم عليه موافقا لما في كتاب الله عز وجل وما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا عرفت هذا فقد عرفت الأصل الشرعي العقلي الصحيح في باب الأسماء والصفات.

ثم إن شيخ الإسلام بعد ذلك سيبن أن هذا الاعتقاد وهذا المنهج الذي أجمع عليه السلف في باب الأسماء والصفات هو الذي عليه القرآن، وعليه جميع الرسل، ويدل عليه العقل، كما سيبين سلامة هذا المعتقد مما حذر الله منه في كنابه وعلى لسان رسوله الله صلى الله عليه وسلم.

كنا في مجلسنا السابق قد شرحنا ما يتعلق بعقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، وتبين لنا أن الإيمان بصفات ربنا سبحانه وتعالى على مراد الله وعلى مراد رسوله صلى الله عليه وسلم من الإيمان بالله وبيِّنا وجوه ذلك وبيّنا ما أجمع عليه السلف الصالح في هذا الباب وهو أنهم يثبتون ما أثبته الله عز وجل لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يتجاوزون القرآن والسنة من غير تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، وبيِّنا كل ما يتعلق بهذه الجمل والمصطلحات غير أنه بقيت مسألتان فاتني أن أنبه عليهما في المجلس السابق:

أما الأولى منهما: فما الفرق بين التشبيه والتمثيل؟

وأما المسألة الثانية: فما العلاقة بين التمثيل والتكييف؟ وما الفرق بين نفي التمثيل ونفي التكييف؟

فأما المسألة الأولى: وهي الفرق بين التشبيه والتمثيل، فالتشبيه والتمثيل من حيث اللغة قال بعض أهل العلم: إنه لا فرق بينهما فهما بمعنى واحد، أو متقارب يكاد أن يساوي الآخر، وقال بعض العلماء: إن التمثيل هو تسوية بين شيئين من كل وجه فالمثلُ، والمثيل هو المساوي من كل وجه، كالتوأم مثلا المتشابه هذا مثل هذا يساويه من كل وجه.

وأما التشبيه: فهو التسوية في أغلب الوجوه، بحيثُ يوجدُ فوارق ولكن التشابه أكثر، التسوية في أغلب الوجوه، وهذا الأقرب والله أعلم لغةً واستعمالاً، ولهذا جاء في رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري التي رواها الدار قطني وغيره وصححها الألباني أن عمر رضي الله عنه قال لأبي موسى في رسالته: (اعرف الأمثال والأشباه) فذكرهما معا وعطف الأشباه على الأمثال بالواو، وهذا يقتضي أن بينهما فرقاً والفرقُ ما ذكرناه.

وأما من جهة الاستعمال في إثبات عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات، فإن بعض أهل العلم قالوا: إن نفي التمثيل أفضل من نفي التشبيه وذلك لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن الذي ورد نفيه في القرآن إنما هو المِثل والتمثيل لقول الله عز وجل : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١] وقول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل ٧٤] وقد تقدم أن اللفظ الوارد في النصوص خير من اللفظ الذي لم يرد في النصوص، ولو كان المعنى مستقيماً للفظ الذي لم يرد في النصوص فإن استعمال اللفظِ الوارد في النصوص أفضل وخير، وهذا لا شك فيه، لا شك أن ما ورد في كلام الله أو في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما ذكره البشر وإن كان المذكور صحيح المعنى.

الوجه الثاني: أن التشبيه لا يُنفى مطلقاً، فإن كل شيئين لابد أن يكون بينهما قدر مشترك عند الإطلاق، أمّا إذا حصلت الإضافة والتمييز فلا اشتراك؛ فنفي التشبيه مطلقاً بأنه لا يوجد شبه أصلًا هذا غير مستقيم لا عقلًا ولا شرعًا، فإن المعلوم أن ما من شيئين إلا وبينهما قدرٌ مشترك في الاسم والإطلاق وذلك عند الإطلاق. أما عند الإضافة وتصور الإضافة والاختصاص فلا اشتراك، مثلاً: عندما نقول يد الفيل ويد النملة، فإن اليدين بينهما اشتراك من جهة الإطلاق والاسم، فهذه يد وهذه يد وبينهما اشتراك في المطلق، أما عند الإضافة إذا قلنا يد النملة فأضفناها واختصت بها النملة، أو يد الفيل

فأضفناها إلى الفيل واختص بها الفيل فإنه لا اشتراك فإن الذهن ينتقل إلى القدر المميز بينهما، فنفي التشبيه مطلقاً غير سديد. أمّا التمثيل فنفيه صحيح مطلقاً.

والوجه الثالث: أنَّ نفي التشبيه استعمله المبتدعة في نفي الإثبات فيقولون لا نشبه أي لا نثبت، فيخشى من استعمال هذا اللفظ أن يتوهم السّامع نفي الإثبات أن يتوهم السّامع المعنى الذي يريده المبتدعة بخلاف التمثيل قالوا فلهذا كان نفي التمثيلِ أفضلَ من نفي التشبيه.

قلتُ: إن كان هذا من باب المفاضلة بين الحسن والأحسن فنعم، فنفي التمثيل أحسن من نفي التشبيه، ونفي التشبيه حَسَن، أمّا إن كان من باب الجواز وعدم الجواز، فإن هذا غير مستقيم فإن نفي التشبيه أُسلوبٌ سلفيٌ أثريٌ عليه أهل السنة من زمن الصحابة إلى يوم كلامي هذا يقولون من غير تشبيه في إثبات الصفات. فنفي الشبه والتشبيه مستعمل عند أهل السنة والجماعة من غير نفورٍ ولا نكير لم ينفر أحد من أهل السنة والجماعة من نفي التشبيه ولَم ينكر أحدٌ من أهل السنة والجماعة نفي التشبيه بدءً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا. فالقول: يعني مثلاً بقول الله عز وجل ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ قال ابن عباس: هل تعلم له مُماثلاً أو شبيهاً، وكذلك قال مجاهد وأئمة السلف في تقرير الصفات يذكرون هذا فيقولون من غير تشبيه وعلماء أهل السنه إلى اليوم يستعملون هذا فكتب أهل السنه مليئة بنفيِ التشبيه فهذا يدل على جواز هذا وأنه لا حرج فيه.

فإن قال قائل: فكيف تقولون في الأوجه الثلاثة المذكورة؟ قلنا:

أَمَّا الوجه الأول: فصحيح وهو يدل على أن نفي التمثيل أحسن من نفي التشبيه لكنه لا يدل على قبح نفي التشبيه.

وَأَمَّا الوجه الثاني: فنقول أنه لا إشكال فيه هنا؛ لأن نفي التشبيه معناه نفي المشابهة في أكثر الوجوه أو في الأغلب الوجوه وهذا لا ينفي التشبيه عند الإطلاق في القدر المشترك فإن النفي هنا إنَّما هو للاشتراك في أغلب الوجوه وهذا واقع.

وَأَمَّا الوجه الثالث: فإنا نقول إن استعمال المبتدعة للفظ الصحيح لا يجعلنا نتركه، وإنّما يجعلنا نبين المعنى الصحيح ونرد المعنى الفاسد؛ مثال ذلك استعمال المعتزلة لكلمة العدل فإنهم يجعلون العدل من أصولهم

ويحملون هذا على معنى فاسد وهو: وجوب تعذيب العصاة على الله سبحانه وتعالى عما يقولون فإنا لا نترك كلمة العدل من أجل استعمال المبتدعة لكن نبين معناها الصحيح ونرد المعنى المبْتَدَع وهكذا في نفي التشبيه، فمن نفى التشبيه بمعنى نفي التمثيل أو نفي التسوية في أغلب الوجوه فهذا المعنى صحيح وهو الذي استعمله السلف الصالح رضوان الله عليهم وإن استعمله في نفي مطلق التشبيه بحيث لا يوجد شبه مطلقا بين الشيئين فهذا غير صحيح ويُرَد، إذن هناك فرق بين نفي التشبيه المطلق وبين نفي مطلق التشبيه فنفي التشبيه المطلق الذي هو التساوي من جميع الوجوه، أو في أغلب الوجوه صحيح واستعمله السلف وهو سائغ. ونفي مطلق التشبيه كما نحى إليه المبتدعة أنه لا يوجد أدنى شبه إلا الاشتراك اللفظي المحض في الاسم، فهذا مردود وغير صحيح.

فتبين لنا بهذا أنه لا حرج عليك أن تقول في تقرير الصفات يثبتون ما أثبته الله عز وجل لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تشبيه والأحسن لو قلت من غير تعطيل ولا تمثيل وأرجو أن يكون الأمر واضحًا.

وأما المسألة الثانية وهي ما العلاقة بين التمثيل والتكييف؟ وما الفرق بينهما؟

فنقول العلاقة أن التمثيل تكييف؛ لأن من مثَّل فقد كيف بَدَاهَة، من قال والعياذ بالله عما يقول الظالمون علوا كبيرا يد الله مثل يد الانسان يعني تساويها فإنه قد كَيَف هنا لأنه يزعم أنه عرف حقيقة صفة الله وكُنْهِهَا، وأنها والعياذ بالله مثل يد الانسان لكن المُكيف قد لا يكون ممثلا؛ لأن التكييف قد يكون بالتمثيل، وقد يكون بالتخييل أو بتصور صورة في الذهن لا مثل لها في الواقع، يعني المُكيف قد يكيف الصفة بالتمثيل، وقد يكيف الصفة بأن يتخيل لها في ذهنه صورة تنطبع في ذهنه على أنها حقيقة الصفة ولا مثل لها في الواقع، إذن كل ممثِل مكيِف، وليس كل مكيف ممثل، فهذا القدر المشترك والعلاقة بين التكييف والتمثيل.

وما الفرق بين نفي التكييف ونفي التمثيل عند أهل السنة والجماعة؟ الفرق أن نفي التكييف عند أهل السنة والجماعة هو نفي لمعرفة الكيف الذي هو الكُنْه والحقيقة وليس نفيا للكيف، فالكيف ثابت ونحن لا نعلمه فننفي التكييف، طيب تقول بعض العلماء قال بلا كيف يعني بلا سؤال بكيف، فيكون المقصود هو نفي التكييف إذًا يا إخوة نفي التكييف : إنما فيه نفي العلم بالكيف وليس نفي الكيف أما

نفي التمثيل: فهو نفيٌ للمماثلةِ أصلاً، فلا مثل لربنا سبحانه وتعالى يقيناً، فالمماثلة منتفية من أصلها فهذا الفرق بين نفي التكييف ونفي التمثيل عند أهل السنة والجماعة ثم نواصل شرح ما سطره شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله ، مجلياً لنا ما كان عليه أول الأمة مع اعتقادنا الجازم أنه لا يصلح لآخر الأمه ، إلا ما صلُح لأولها ولا يُصلح آخر الأمة إلا ما أصلح أولها .

يقول شيخ الإسلام رحمة الله عليه: بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١]

بدأ شيخ الإسلام رحمه الله ببيان الأصل الكلي الذي يجب الرجوع إليه في إثبات صفات الله سبحانه وتعالى وهو الأصل المقطوع به لأنه من الله عز وجل وهو قول الله عز وجل : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] وهذا هو الهدى والحق المبين المقطوع به في صفات رب العالمين، إثبات الصفات ونفي المماثلة للمخلوقات فليس نفي الصفات بدون إثبات حقاً لقول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] وليس تمثيلها حقاً لقول الله عز وجل : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [الشورى ١١] قال نعيم بن حماد وهو الإمام الكبير شيخ الإمام البخاري رحِمَ الله الجميع: من شبه الله بخلقه كفر من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس في ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيةٌ ولا تمثيل وكل هذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة.

يقول نُعيم بن حماد مبيناً حكم أهل السنة والجماعة: من شبه الله بخلقه كفر. لماذا؟ لأنه رد قول الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، لأنه رد قول الله عز وجل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل وهذا هو الذي في الآية، وصفٌ: الذي هو إثبات. ونفيٌ: للتشبيه والتمثيل.

وكل الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في باب الصفات أخذت بأحد الطرفين وتركت الآخر، فالنفاة مثلا: نفوا صفات الله عز وجل فعطلوا ولا يمكن أن يصلوا إلى التعطيل إلا بعد التمثيل فنفوا ما أثبته الله عز وجل وهو الصفة ووقعوا في ما نفى الله عز وجل وهو التمثيل النفاة يا أخوة لماذا نفوا؟ نفوا لأن في

أذهانهم مثلوا فلما مثلوا نفروا من التمثيل فعطلوا فخالفوا الآية في الوجهين، فنفوا ما أثبته الله وأثبتوا ما نفاه الله أثبتوه في أذهانهم ونفوا ما أثبته الله عز وجل.

والممثلة كذلك والمؤولة كذلك فالنفاة ظنوا أنهم أخذوا بقول الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى ١١] على فهم مغلوط فقيل لهم فأين تذهبون من قول الله عز وجل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ والممثلة أخذوا بزعمهم بقول الله عز وجل ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ قالوا سمعا كسمع وبصر كبصر فقيل لهم أين تذهبون من قول الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولم يأخذ بالآية في طرفيها سوى أهل السنة والجماعة بهذا تعرف أن أهل السنة والجماعة هم العاملون بالآية الممدوحون المحمدون وأن غيرهم يخالف أحد طرفي الآية ظاهرا ومخالفة الطرف الآخر تكون عن طريق اللزوم فكل الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة مخالفة لطرفي الآية فكل الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة مذمومة لأنها لم تأخذ بهذه الآية العظيمة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الكاف هذه فيها بحث طويل جدا للعلماء و أوضح ما قيل فيها أمران:

القول الأول: أن الكاف زائدة فيها للتوكيد زائده من باب الإعراب لا من باب المعاني فإن لها معنى هنا وهو التوكيد فإنها جعلت الجملة كأنها هكذا (ليس مثله شيء ليس مثله شيء) ليس كمثله شيء وهذا توكيد دلت عليه الكاف، يقولون أن زيادة الحرف تقوم مقام التوكيد اللفظي الذي يكرر فيه اللفظ مفردا أو جملة فصار المعنى: ليس مثله شيء ليس مثله شيء.

وقال بعض أهل العلم الكاف هنا لها زيادة فائدة ومقصودة وليست زائدة أصلا، لأن المراد قياس التمثيل ونفي قياس الشمول، فالكاف المراد بها هنا نفي قياس الشمول وسيأتي بيان معناه، وأن الله عز وجل لا يقال فيه ك كالفرد الذي يدخل تحت كل ولا يقال فيه مثل الذي هو قياس التمثيل وهذا وجيه أيضا.

قال رحمة الله عليه: فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ.

الله أكبر، نعم النفي بلا دليل يا أخوة مذموم عند العلماء والعقلاء، فكيف بنفي ما ثبت به الدليل، إذا كان مجرد النفي بلا دليل مذموم وقول بلا علم فكيف بنفي ما ثبت به الدليل، لا شك أنه مذموم والسلف الصالح و أهل السنة والجماعة بحمد الله يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينفون عنه ذلك بخلاف المعطلة الذين ينفون عن الله ما أثبته لنفسه أو أثبته له

رسوله صلى الله عليه وسلم، سواء الذين نفوا الأسماء والصفات أو الذين نفوا الصفات وأثبتوا الأسماء بلا معان كالمعتزلة، الجهمية الأول نفوا الأسماء والصفات غلاة الغلاة، والمعتزلة نفوا الصفات وأثبتوا الأسماء بلا معان، قالوا سميع نثبت هذا الاسم بلا سمع، بصير نثبت هذا الاسم بلا بصر فهم غلاة في البدعة والأولون غلاة الغلاة. والذين نفوا أكثر الصفات كالماتريدية والأشاعرة وكلهم يدخلون في هذا، وجوابهم جميعا: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾[البقرة ١٤٠] هل أنتم أعلم بالله من الله؟ هل أنتم أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ هل أنتم أعلم بالله من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ حيث لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه السلام حرف واحد في النفي، في نفي الصفات المثبتة، وإنما الذي ورد هو الإثبات، وهذا النفي فيه ثلاث بواقع تكفي واحدة منهن في بطلانه.

الأولى: أنه نفي بلا دليل.

والثانية: أنه نفي لما ثبت بالدليل بل بأدلة كثيرة.

والثالثة: أنه بدعة محدثة لم تكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحابة ولم ترد عن أحد من السلف والواحدة من هذه البواقع تكفي من عنده أدنى علم أن ينفر من هذا النفي؛ فإنها كلها يعني مذمومة وسيأتي إن شاء الله بيان منهج أهل السنة والجماعة ومن قبل ذلك منهج الرسل عليهم السلام في النفي والإثبات وسنقف معه إن شاء الله عز وجل.

قال رحمة الله عليه: وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

أهل السنة والجماعة يثبتون الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف كما تقدم معنا فلا يحرفون اللفظ لم يقع عندهم التحريف اللفظي فقرأوا القرآن كما هو وأثبتوا الأحاديث متواترة أو آحاد كما هي ولم يتلاعبوا بالنصوص فيقرأون قول الله عز وجل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيما﴾ [النساء ١٦٤]، يثبتون اللفظ والنص كما هو قرأه ويثبتون معناه وهو أن ربنا سبحانه كلم موسى عليه السلام ولا يقولون كما بعض غلاة الضلال ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيما﴾[النساء ١٦٤] فحرفوا اللفظ ليصرفوا المعنى ليصبح المكلم موسى والمكلم الله، ولا يحرفون المعاني أيضا فيقولون مثلا ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه ٥]، أهل السنة يقولون ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه ٥] كما قال ربنا سبحانه وتعالى ويثبتون المعنى الحقيقي بمعنى علا و ارتفع واستقر على الوجه اللائق بجلاله سبحانه وتعالى ولا يحرفون المعنى فيقولون استوى بمعنى استولى، كما سيأتي بيانه إن شاء الله عز وجل فلم يكونوا بحمد الله على صراط الذين غضب الله عليهم وهم اليهود الذين من شأنهم أنهم يحرفون الكلام لما قيل لهم ﴿قُولُواْ حِطَّةٞ﴾ قالوا حنطة تحريف للكلم كما وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء ٤٦]

بخلاف غير أهل السنة والجماعة من الفرق فإنهم لم يسلموا من التحريف بل كلهم بمختلف أصنافهم يحرفون الكلام عن مواضعه تحريفًا للألفاظ وهذا قليل أو تحريفًا للمعاني وهذا الكثير فيهم فشابهوا اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه أهل السنة والجماعة وافقوا القرآن والسنة وسلموا من مشابهة من غضب الله عليهم وهم اليهود فكاونا محمودين فمن خالف أهل السنة والجماعة الغضوب عليهم في تحريف الكلام عن مواضعه.

وَلَا يُلْحِدُونَ فِي: أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَآيَاتِهِ.

أهل السنة يثبتون الصفات على سواء السبيل فلا يميلون بها عن مراد الله ولا عن مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا من الإلحاد في أسماء الله وصفاته الذي حذر الله منه عباده ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٨٠] فبين الله لعباده سواء السبيل في أسمائه وحذرهم من الإلحاد، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ فأثبت الله سبحانه له الأسماء وهي الحسنى فهي على أحسن ما يكون ولا تكون كذلك إلا ما كانت متضمنة للصفة متضمنة للمعنى، ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ ولا يكون دعاء الله بها إلا بعد إثباتها واعتقاد ما فيها من المعاني ﴿ وَذَرُواْ ﴾ اتركوا طريق ﴿ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ ﴾ فينفونها مثلا أو يجعلونها لغيره أو يمثلون ما فيها من المعاني بصفات المخلوقين أو نحو هذا من الإلحاد كما سيأتينا إن شاء الله عز وجل.

وقال الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾ [فصلت ٤٠] وهذا وعيد شديد فأهل السنة والجماعة سلموا من الإلحاد بخلاف غيرهم من الفرق التي خالفتهم فإنهم يلحدون في أسماء الله عز وجل وأسمائه؛ لأن الإلحاد في أسماء الله وصفاته ضابطه العام الميل بها عما يجب اعتقاده فيها، سواء كان هذا الميل بالإنكار والنفي نفي الاسم أصلا أو نفي المعنى الذي في الاسم فهذا إلحاد في أسماء الله لأنه ميل بها عما يجب اعتقاده فيها أو بالتمثيل أن يثبتها على وجه المماثلة للمخلوقين فهذا أيضًا إلحاد في الأسماء والمعاني التي فيها، أو بتسمية الله بالأسماء التي لم ترد في الكتاب والسنة، فهذا إلحاد في السنة لأنه ميل عما يجب في الأسماء وهو عدم مجاوزة القرآن والسنة أو باشتقاق أسماء منها للمعبودات من دون الله فهذا إلحاد في الأسماء قال القشيري : الإلحاد هو الميل عن القصد يعني الميل عن الاعتدال لأن القصد هو الاعتدال الميل عن القصد وذلك على وجهين بالزيادة والنقصان عني بالزيادة على ما ورد في النصوص أو بالنقصان عن ما ورد في النصوص قال : فأهل التمثيل زادوا فألحدوا فأهل التمثيل زادوا عن ما ورد في القرآن والسنة فألحدوا وأهل التعطيل نقصوا، نقصوا عن ما ورد في الكتاب والسنه لأنهم نفوا فألحدوا.

وقال البغوي: هم المشركون عدلوا بأسماء الله الحسنى عما هي عليه فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا. لأن الإلحاد: الميل عن الاعتدال إما غلو وإما يعني تفريط أو إجحاف فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومنات من المنان، قال : وقيل هو : أي الإلحاد في الأسماء تسمية الأصنام آله مجرد تسمية الأصنام آلهة: إلحاد في أسماء الله، قال وقال أهل المعاني الإلحاد في أسماء الله : تسميته بما لم يتسمى به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجملته أن أسماء الله على التوقيف وبهذا تعرف أنواع الإلحاد في الأسماء من النصين تعرف أنواع الإلحاد في أسماء الله عز وجل وصفاته.

وتعرف أن أهل السنة والجماعة هم المحمودون لأنهم لم يُلحدوا في أسماء الله وصفاته بخلاف غيرهم من الفرق. وبهذا تلحظ أن مراد شيخ الإسلام ابن تيميه بهذه الجُمَل أن يُفصل ما تقدم في عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات وأن يبين أن أهل السنة والجماعة في الباب الأسماء والصفات هم أهل الاعتدال والمدح وأن غيرهم هو الذي يستحق الذم.

إذاً عندنا لهذه الجمل مقصودان عند شيخ الإسلام ابن تيمية:

تفصيل ما تقدم في عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات.

والمقصود الثاني: بيان أن أهل السنة والجماعة هم الوسط أهل الاعتدال في باب الأسماء والصفات وهم الممدوحون وأن غيرهم على خلافِ هذا.

قال رحمه الله: وَلَا يُمَثِّلُونَ: صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولا يكيفون ولا يمثلون تقدم معنا أن أهل السنة والجماعة يثبتون الصفات من غير تكييف ولا تمثيل فهم معتقدون ما في القرآن لا يكيفون ولا يمثلون، لأن التكييف والتمثيل لا يكون إلا بمشاهدة أو مشاهدة مِثْل أو خبر صادق ومشاهدة الله في الدنيا منتفية والمماثلة منتفية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى ١١] سبحانه والخبر الصادق لم يأت بالتكييف ونفى المماثلة ولذلك ماذا قال الشيخ قال: لأنه سبحانه وانظر إلى هذه الكلمة كيف وقعت هنا لأنه سبحانه وسبحانه يعني المنزه عن كل نقص لاسمي له نعم ربنا سبحانه لا سمي له قال الله عز وجل ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم ٦٥] وهذا استفهام بمعنى النفي مع التحدي والاعجاز، يعني يا إخوة الدلالة على النفي بالاستفهام فيها فائدة زائدة عن مجرد النفي وهو التحدي والاعجاز فيكون المعنى لا سمي له ولن تجد له سميا ولو صعدت إلى السماء أو نزلت إلى أسفل أرض فأتحداك أن تأتي بسمي له فهذا نفي مشوب بالتحدي والإعجاز أي تعجيز المخلوق أن يأتي بهذا ومعنى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي هل تعلم له مثيلا أو شبيها أو شريكا بهذا فسر السلف الآية كما عند الطبري في تفسيره.

وكيف يكون لله سمي وهو الغني الغنى المطلق وغيره المفتقر إليه الفقر المطلق كيف يكون لله سمي كيف يكون لله مثيل أو شبيه أو شريك وهو الغني سبحانه الغنى المطلق وغيره على الاطلاق مفتقر إليه الفقر المطلق، لا شك أنه لا سمي له سبحانه وتعالى، ولا كفو له فأهل السنة والجماعة يعتقدون ما في القرآن وهو أنه ليس لله كفؤ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي لم يكن أحد من خلقه مماثلا له أو مشابها له لا في أسمائه وصفاته ولافي أفعاله. والكفؤ: هو المثيل والشبيه كما في لغة العرب الكفؤ في لغة العرب المثيل والشبيه تقول لآخر وهل مثلك كفئي هل مثلك يكافئني قد يتطاول عليك صغير السن ضعيف العقل

قليل العلم، نبت لم يقوى كما هو شأن بعض الذين نفخوا حتى أصبحوا طبولا، أصوات عالية وأجسام كبيرة وأجواف فارغة ،شيوخ الانترنت الذين لا ساحة لهم إلا الإنترنت ولا يفيدون الناس بما هو عند العلماء، الذين استعجلوا إن كان في أصلهم خير، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه هؤلاء يجب هجرهم الهجر العلمي، بعدم رفعهم فوق منزلتهم وبعدم الرجوع إليهم فيما يرجع فيه إلى العلماء كالفتاوى ونحو ذلك أما طلاب العلم الصغار الذين يعرفون بالعلم ويطلبون العلم ويحضرون عند المشايخ ويتأدبون مع العلماء فهؤلاء ينبغي تشجيعهم وتوجيههم وعدم التقليل من شأنهم، بل يشجعون ويحثون على أن ينقلوا الخير الذي تعلموه ولكن يوجهون حتى لا يتقدموا عن منزلتهم. فيجب التفريق يا إخوة بين طلاب العلم الصغار ونقصد بالصغار الذين هم في أول الطلب وكلنا صغير في العلم، الذين يطلبون العلم ويتأدبون مع العلماء هؤلاء لا ينبغي أن نذمهم ولا ينبغي أن نحقر من شأنهم، ولا ينبغي أن نقلل من شأنهم بل ينبغي أن نشجعهم وأن نحترمهم وأن نقدرهم وتقدير العلماء لهم أولى من تقدير غيرهم لهم، ولا شك أنه من نعم الله على العالم أو الشيخ، وأن نشجعهم أيضا على نشر الخير مع التوجيه.

أما هؤلاء الذين انتفخوا في الانترنت و لا يطلبون العلم عند العلماء ولا يتأدبون مع العلماء، وهم يسعون جاهدين إلى أن يكونوا المرجع دون العلماء بحجة أو بدعوى كاذبة ينشرونها بين الناس وهو أنهم الواسطة بين الناس والمشايخ فلن تصل إلى الشيخ إلا عن طريقنا فتقرب إلينا لنقربك، و اسألنا لنفلتر سؤالك ثم نحن كما يقولون ثم نسأل الشيخ لنفلتر جواب الشيخ فليس كل ما يقوله الشيوخ يصلح أن يخرج للناس هذا واقع يا إخوة ،هذه أمور نعرفها يقينا ونعرف أصحابها يقينا، وحقيقة الأمر أنهم يريدون أن يكون المرجع إليهم، أيضًا يرهبون طلاب العلم اخضع، اركع كن طالبا عندنا تردد علينا و إلا نخرج من الشيخ كلاما فيك هؤلاء شر وفتنة وبلاء ويجب الوقوف في وجههم إن لم يتوبوا الى الله ويرجعوا إلى الله ويجلسوا في حلق العلماء ويتركوا هذه الدعوى الباطلة. شيء جاء في خاطري لما ذكرت كلمةً فأردت أن أذكرها، وأنا دائماً أقول العقل والعدل أن لا تجعل التمر كالجمر وأن لا تجعل الجمر كالتمر، الهجوم على طلاب العلم الصغار لا ينبغي والسكوت عن طريق فتنة لا ينبغي والكل ينبغي أن يُعمل فيه بالحق والعمل بالحكمة مطلوب.

أقول لو تطاول عليك صغير في السن، في العقل، في العلم تقول له وهل مثلك يكافئني؟ يعني هل مثلك يماثلني ويساويني أو يشبهني حتى أرد عليه فهذا معنى الكفؤ في لغة العرب.

ولا ند له فأهل السنة والجماعة ينفون الند عن الله مطلقاً، لقول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٢] والأنداد جمع ند، والند: هو الشبيه والمثيل هو الشبيه والمثيل فليس لله ندٌ في ربوبيته، ولا في أُلوهيته، ولا في أسمائه وصفاته، وبهذا تعرف أن أهل السنة والجماعة خالفوا اليهودَ لأنهم لم يلحدوا في أسماء الله وصفاته، وخالفوا المشركين لأنهم لم يجعلوا لله أنداداً لم يجعلوا لله أنداداً. فأهل السنة والجماعة بحمد الله يخالفون جميع أهل الباطل، وأهل الباطلِ لابد فيهم من مشابهةٍ لأحد من أهل الكفر.

انتبهوا أهل السنة والجماعة يخالفون في عقيدتهم جميع أهل الباطل من الكفار والمبتدعة وكل من يخالف أهل السنة والجماعة في عقيدتهم لابد أن يكون له شبه بطائفة من الكفار، ما نقول لابد أن يكون كافراً لكن لابد من مشابهته لبعض طوائف الكفار وتلحظ هنا أن السميَّ والكفو والند متحدة المعاني فكلها بمعنى الشبيه والمثيل، فعندما تقول: لا سمي لله: يعني لا شبيه ولا مثيل لله. وعندما تقول لا كفو لله: فمعناه أن لا مثيل ولا شبيه لله. وعندما تقول لا ند لله فإن المعنى أنه لا شبيه ولا مثيل لله سبحانه وتعالى، وما دام أنه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له من أين يأتي التمثيل والتكييف؟ لا يمكن أن يكون ولذلك ذكر الشيخ هذا الكلام عند قوله: ولا يُكيفون ولا يُمثلون. فهذه مناسبة التعليل بقوله: لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له لما تقدم.

نحن يا أخوة في الشرح لا نجمل ولا نفصل بعيدا عن الأصل الذي يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أجل أن نضبط الأصول التي يريدها شيخ الإسلام ابن تيمية ونفهمها لأن هذه أصول أهل السنة والجماعة في المسائل التي كثر فيها خلاف المتأخرين فإذا ضبطناها كان سلاحنا في دعوتنا ومناظراتنا قويًا وننفع الأمة إن شاء الله عز وجل.

قبل أن نجيب عن أسئلة هذا المجلس أشير إلى أني سُئلت في المجلس الماضي سؤالًا ثم بينت ما فيه بعد العصر من يوم السبت الماضي وهو أن أحد الأخوة سأل فقال السائل هل يوصف الله بالذات أو النفس؟ فأجبت أن لله ذاتا وأما النفس فلفظ مجمل نستفصل من قائله فإن ذكر معنًى صحيحا قبلناه وإن ذكر معنًى باطلا رددناه ثم ذكرت في العصر أن الجواب يحتاج إلى زيادة فهو ناقص، ومزيد بيان إذ

فيه نوع اشتباه وقلت أن الزيادة ومزيد البيان أن نقول لله ذات وهذا لفظ يستعمله العلماء من غير نفور ولا نكير ولا منازعة ولا مدافعة لكنها ليست صفة وإنما الذات هي التي توصف بالصفات، ولا تخلو الذات في الخارج عن الصفة فوجود ذات لا صفة لها في الخارج محال. وأما النفس فلفظ مجمل عند الاستعمال فمن أضافه إلى الله استفصلنا منه ماذا تعني بنفس الله؟ فإن قال أعني بنفس الله ذات الله التي لا صفة لها، الذات من غير صفة والذات هي الموصوفة قلنا هذا خطأ وغير صحيح، وإن قال أعني أن نفس الله صفة خبرية لله كما قاله بعض أهل السنة قديما وحديثا قلنا هذا خطأ فإن النفس ليست من صفات الله، فإن قال أعني بالنفس الروح قلنا هذا باطل، وإن قال أعني بالنفس الدم كما يقول الفقهاء ما لا نفس له سائلة أي له دم سائلة قلنا هذا باطل، فإن قال أعني بنفس الله ذات الله قلنا هذا صحيح لفظا ومعنًى فإنه وارد في القرآن والسنة كما في قول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ وكما قال ربنا عن عيسى عليه السلام أنه يقول ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ و في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث ورضى نفسه إلى غير ذلك وهي عند جمهور أهل السنة وهو الصواب بمعنى ذات الله هكذا قررت الجواب بيان له ولك أن تقول لو تركنا لفظ الإجمال هنا لكان أحسن حتى لا يتوهم متوهم خلاف المراد فنقول: أما النفس فثابتة في الكتاب والسنة لقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ومعنها الذات، وبعض أهل العلم حبذا استعمال النفس على استعمال الذات، وفضل استعمال النفس على استعمال الذات، وأما تفسيرها بأنها ذات لا صفة لها أو بأنها صفة خبرية فخطأ كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأما تفسيرها بمعان مبتدعة كالروح والدم فباطل لاشك فيه.

ودائما أنا أقرر وأكرر أن الألفاظ التي لا تشتبه أولى من الألفاظ التي تشتبه ولو كان المعنى المراد عند المتكلم سليمًا.

وَلَا يُقاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أي أنه عند أهل السنة والجماعة لا يقاس الله سبحانه قياسًا يقتضي المماثلة والمساواة، لأنه تقدم معنا في آخر الكلام الماضي أن ربنا سبحانه وتعالى لا مثل له ولا كفو له سبحانه وتعالى ولذلك أهل السنة

والجماعة لا يقيسون الله عز وجل بخلقه قياسًا يقتضي المماثلة والمساواة وذلك أن أقيسة الناس في هذا الباب ثلاثة أنوع:

النوع الأول: ما يسمى بقياس التمثيل، ويسمى أيضًا بقياس الفقهاء، وقياس الأصوليين، وهو إلحاق فرع بأصل لعلة جامعة، مثال ذلك بأصل لعلة جامعة مثال ذلك قياس المحصر عن البيت بمرض على المحصر عن البيت بعدو بجامع الإحصار في كل، فيتحلل هذا كما يتحلل ذاك. المحصر عن البيت الذي لا يستطيع أن يصل إلى البيت بمرض أو حادث سيارة يقاس على المحصر عن البيت بعدو هذا الأصل، وذاك الفرع بجامع بعلة وهي الإحصار فالنتيجة أن من حُصِر عن البيت بمرض يتحلل بما يتحلل به من حصر عن البيت بعد.

وهذا القياس لا يجوز استعماله في حق ربنا سبحانه وتعالى، لأن هذا القياس يقتضي التمثيل والتشبيه يقتضي التمثيل والتشبيه التمثيل بين الفرع والأصل أو التشبيه بين الفرع والأصل والله سبحانه وتعالى ليس ممثله شيء فلا تضرب له الأمثال سبحانه وتعالى كما قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل ٧٤]، ولأن هذا القياس لابد فيه من علة جامعة بين الأصل والفرع تقتضي المماثلة، ولا علة جامعة بين الله سبحانه وتعالى وخلقه تقتضي المماثلة.

وأما النوع الثاني: فهو قياس الشمول ويسمى بقياس المناطقة وهو بمعناه العام الدخول تحت كلي يجمع أجزاءه.

القياس قياس الشمول، أو قياس المناطقة فيه مقدمة صغرى وهي فرد من الأفراد، ومقدمة كبرى وهي كلي يدخل تحته الأفراد، ونتيجة، مثال ذلك: أن تقول مثلا بيع الحمل أي بيع الجنين في بطن أمه فيه غرر هذه مقدمة صغرى، بيع الحمل فيه غرر، وبيع الغرر باطل هذه مقدمة كبرى كلي تدخل تحته أفراد، النتيجة بيع الحمل باطل هذا قياس شمول؛ لأن بيع الحمل فرد دخل تحت كلي وهو بيع الغرر فالنتيجة أن حكمه حكم هذا الكلي.

وهذا القياس أيضًا لا يجوز استعماله في حق الله سبحانه وتعالى، لأنه يقتضي تساوي الأفراد تحت الكلي، والله عز وجل لا يساويه خلقه كلهم فضلا عن فرد من الخلق فكيف يدخل الله عز وجل تحت

كلي مع خلقه؟! لا شك أن الله عز وجل منزه عن هذا وقد قال بعض أهل العلم إن الله عز وجل قد نفى القياسين في قوله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١] فنفى قياس التمثيل بنفي المثل فمدام أنه لا مثل له فإن قياس التمثيل يمتنع ونفى قياس الشمول بالكاف هنا، لأن قياس الشمول يقال فيه هذا الفرد كهذا الفرد من جهة دخولهم تحت الكلي وهذه فائدة ذكر الكاف هنا نفي قياس الشمول وهذان القياسان مع فسادهما في ذاتهما في حق الله فهما فاسدان في أثرهما فإنهما يقودان نفي صفات الله الثابتة وإلى الحيرة والاضطراب، فتحصل معنا أن هذين القياسين اللذين يقتضيان المماثلة والمساواة ممتنعان يقيناً في حق ربنا سبحانه وتعالى ولذلك لم يستعملهما أهل السنة والجماعة.

والثالث: هو قياس الأولى وهو: أن يثبت لله عز وجل من صفات الكمال التي لا نقص فيها أكملها وينفى عنه كل نقص فكل ما ثبت لغيره من الكمال الذي لانقص فيه بوجه من الوجوه فهو أحق به ولله المثل الأعلى وهذا مستعمل في القرآن وعند أهل السنة والجماعة. قال الله عز وجل ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت ١٥]، هذا قياس أولى هم قالوا مستكبرين من أشد منا قوه وهم مخلوقون ويقرون بأن الله خالقهم أكثر الكفار على مر العصور يقرون بالربوبية وأن الله خالقهم فمدام ذلك كذلك فإذا كان هذا المخلوق قويا فإن خالقه أقوى من باب أولى، وهذا كثير في القرآن.

ومن استعمال أهل السنة لقياس الأولى في باب الصفات تقرير نفي مماثلة صفات المخلوقين لصفات الخالق سبحانه وتعالى بقول أهل السنة إن ما في الجنة من مطاعم ومشارب وغيرها يوافق ما في الدنيا اسما ويخالفه حقيقة، فليس في الجنة من مما في الدنيا إلا الأسماء، في الجنة فواكه في الجنة رمان، ولكن حقيقة الرمان الذي في الجنة ليست كالرمان الذي في الدنيا، فليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما. فإذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق لعلو ما في الجنة على ما في الدنيا ، فالخالق سبحانه وتعالى من باب أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصل توافق في اسم الصفة.

إذا كنا نؤمن ونثبت القضية الأولى لما في الجنة وهي مخلوقة فمن باب أولى أن نثبت هذا للخالق سبحانه وتعالى، فإذا قلنا إن الرمان في الجنة ولكنه ليس كالرمان الذي في الدنيا فإنا نقول إن الله سميع وله سمعٌ

سبحانه وتعالى وليس كسمعِ البشر، فهذا من باب قياس الأولى. ولما قال قائل : إن الله عز وجل لما كان محيط بخلقه كان في خلقه، لما قال قائلٌ مقوله فاسده فقال : إن الله محيط بخلقه، وهذا لا شك فيه الله بكل شيء محيط، قال فما دام ذلك كذلك فإن الله موجود بخلقه، إذا الله في كل مكان .

رد عليه الإمام أحمد رحمه الله: بقياس الأولى فقال رحمه الله: لو أن جل كان في يده قدح من قوارير صافٍ، أي كان في يدِهِ قدحٌ من زُجاجٍ صافٍ وفيه شراب صافٍ كالماء مثلاً، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح.

يقول لو أن الإنسان بيده إناء من زجاج وفيه ماء فإن بصر ابن آدم يحيط بالإناء ويرى الإناء من جميع جوانبه وليس ابن آدم في القدح، يقيناً مع إحاطته بالقدح. قال: فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه.

فالله سبحانه وتعالى وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه.

فهذا استعمال لقياس الأولى وهو يؤدي إلى إثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى نفي النقص عنه سبحانه وتعالى؛ وهذا هو الأصل المحكم في باب الصفات، فدل هذا على سلامته فهو أسلوب قرآني فاستعمله أهل السنة والجماعة.

هذه خلاصة ما يذكره العلماء عن القياس في هذا الباب و إذا ضبطت هذا بمعانيه استقام لك الأمر .

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ؛ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ.

هذه أوجه وجوب تصديق الخبر عن الله في الكتاب والسنة كما أنها أوجه تقديم منهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات على المناهج المخالفة له

الوجه الأول: أنه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه ﴿ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾[البقرة ١٤٠] فالله بكل شيء عليم وهو أعلم سبحانه وتعالى بنفسه ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[الفرقان ٥٩] على قول عند المفسرين أن المقصود بالخبير هو الله سبحانه وتعالى، فهو أعلم بنفسه سبحانه وتعالى وأصدق قيلا كما قال ربنا

سبحانه وتعالى ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾[النساء ٨٧]، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلا﴾[النساء ١٢٢] ففي هاتين الآيتين إخبار بأن حديث ربنا وقول ربنا سبحانه وتعالى أعلى مراتب الصدق فإذا كان ذلك كذلك فإن ما يناقضه في أسفل مراتب الكذب، قول ربنا أعلى مراتب الصدق على الإطلاق فما يناقضه من قول قائل هو في أسفل مراتب الكذب.

وأحسن حديثا فالله عز وجل أحسن حديثا ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [الزمر ٢٣] وهو كلامه سبحانه وتعالى كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبه بعد التشهد أو بعد الشهادتين فإن أحسن الحديث كلام الله كما جاء عند الإمام أحمد في حديث جابر بإسناد صحيح، فكلام الله عز وجل أحسن الحديث ومن حسنه أنه أفصح الكلام وأبين الكلام، وإذا كان ذلك كذلك فهذه وجوه أربعة تقتضي صدق الخبر، ووجوب تصديق الخبر فإن الأوجه الداعية إلى تصديق الخبر أربعة:

الوجه الأول: علم المخبر وسلامته من الجهل، فالعاقل يصدق خبر العالم، ولا يرد الخبر إلا لجهل قائله والخبر عن الصفات في كتاب الله خبر عالم عن نفسه، الله سبحانه وتعالى عليم وهو يخبر عن نفسه.

والأمر الثاني: صدق المخبر والله عز وجل قوله أصدق قول على الإطلاق أعلى مراتب الصدق وأجلاها وأكملها قول ربنا سبحانه وتعالى.

والأمر الثالث: حسن البيان وفصاحة القول فإن المخبر إذا أبان الخبر ببيان واضح يستدعي أن يصدقه العاقل، وكلام الله أحسن الحديث وأعظم الحديث بيانا وأفصح الكلام.

و الأمر الرابع: صدق الإرادة و الله عز وجل يريد بعبادة الخير، يريد أن يهديهم يريد أن يبين لهم يريد أن ييسر عليهم فاجتمعت هذه الوجوه الأربعة في حق كلام الله عز وجل، وهذا يقتضي من العاقل أن يصدق الخبر في كتاب الله فكيف بالمؤمن؟ وكيف بالعارف بحق الله سبحانه وتعالى؛ لا شك أن هذا يقتضي أن يؤمن ويصدق بخبر الله عز وجل عن نفسه في كتابه.

هذا الوجه الأول المتعلق بكلام الله لوجوب تقديم عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات على مناهج غيرهم، الوجه الأول متعلق بكلام الله سبحانه وتعالى.

الوجه الثاني: متعلق بكلام الرسل عليهم السلام وخاتمهم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، فإن رسل الله صادقون مصدقون يصدقهم أقوامهم من قبل الرسالة، يعرفونهم بالصدق ولا يعرفون على نبي منهم كذبا من قبل أن يرسلوا، فمعنى صادقون أنهم صادقون في كلامهم في ذاته مُصَدَقون معروفون بالصدق، مشهود لهم بالصدق ممن عرفهم؛ حتى أن قريشا كانت تلقب النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب بالصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، إذًا الرسل صادقون في كلامهم ولا يقولون إلا بعلم، ولا يداخل علمهم هوى ولا ضلالة ولا جهالة، فهم أعلم من غيرهم بالله، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أعلمكم بالله أنا) كما في حديث عائشة عند البخاري كان يقول: (أعلمكم بالله أنا) ونشهد الله أنه أعلم أعلمنا بالله سبحانه وتعالى وهم عليهم السلام معصومون فيما يبلغونه عن الله وهذا يوجب تصديقهم والتلقي عنهم هم صادقون مصدقون لا يقولون إلا بعلم ومعصومون فيما يبلغون عن الله وهذا يقتضي الجزم بصدق أخبارهم ويوجب تصديقهم عليهم السلام.

وأهل السنة والجماعة يأخذون بكلام الله وبكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفات ولا يجاوزون الكتاب والسنة، بخلاف منهج الخلف الذي يقوم على تقديم نتائج العقول وهي مخلوقة يدخلها الاضطراب والاختلاف, فإن منهج الخلف جمعيا يقوم على تعظيم العقل, و الحقيقة أن العقل الذي يعظمونه هو نتائج العقل، وهذه مخلوقة ويدخلها الاضطراب ولذلك عقائد أهل الكلام كلها اضطراب وحيرة، فهذا من القول على الله عز وجل بلا علم.

وبهذا تعرف يا عبد الله أنه إذا كان الله أعلم بنفسه وكان رسل الله أعلم بالله عز وجل كان ما يخالف ذلك جهلًا بالله يقينا كان كل ما يخالف ذلك جهلا بالله يقينا , الله عز وجل قال

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[طه ٥] وهذا ما جاءت به رسل عليهم السلام فالعلم اليقيني أن ربنا سبحانه وتعالى قد استوى على عرشه فوق سماواته سبحانه وتعالى, فالقول بأن الله لم يستوِ علي عرشه, بل الله مستولي على عرشه وهو في كل مكان جهل محض، لأنه يقابل العلم المحض وإذا علمنا و تيقنا أن القول الله أعلى مراتب الصدق وأن قول الرسل صادق لا شك فيه ولا يتطرق إليه كذب كان ما يخالف قول الله أو قول رسوله صلى الله عليه وسلم كذبا محضا لا خير فيه وإذا علمنا أن كلام الله عز وجل أحسن الكلام وأن هدي النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الهدي, علمنا أن ما يخالف كلام الله و ما

يخالف هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء محض وهذا يجعل المؤمن يتمسك بعقيدة السلف و ينفر نفورا تامًا مما خالف عقيدة السلف من كلام الخلف.

بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّك رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصْفُونَ • وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ • وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

في هذه الآيات ينزه ربنا سبحانه وتعالى نفسه عما يقولون الظالمون المكذبون وعما يصفه به أولئك الظالمون، ويسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه عن ربهم وما وصفوا به ربهم ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فبدأ الآيات بقوله سبحانه ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ وختم الآيات بقوله: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والتسبيح يدل على التنزيه عن النقص بدلالة المطابقة ويدل على الكمال بدلالة اللزوم قول سبحان الله يدل على تنزيه الله عن النقص بدلالة المطابقة، لأن هذا أصل الكلام، ويدل على كمال الله بدلالة اللزوم فإنه إذا نفي النقص عن ربنا سبحانه وتعالى من كل وجه لزم من ذلك إثبات الكمال المطلق لله عز وجل.

والحمد يدل على إثبات الكمال بدلالة المطابقة، وعلى نفي النقص بكل وجه بدلالة اللزوم؛ لأنك عندما تقول الحمد لله فمعنى ذلك أن الحمد كله لله وهذا يدل على كمال الله عز وجل المطلق في أفعاله وفي شرعه وفي أسمائه وفي صفاته سبحانه وتعالى، فله الحمد كله وعلى كل حال، فهذا يدل بدلالة المطابقة على ماذا؟ على إثبات الكمال المطلق لله عز وجل وإذا ثبت الكمال المطلق لله فإن هذا يستلزم نفي النقص عن الله من كل وجه؛ وهذا من حُسن كلام الله عز وجل انظر! كيف بُدأت الآيات بالتنزيه المستلزم للكمال، وختمت بالثناء الدال على الكمال المستلزم للتنزيه.

وانظر هنا قال الله عز وجل ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ ﴾كلمة رب هنا وردت ثلاث مرات في هذه الآيات ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ فأضيفت كلمة الرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم والرب هنا بمعنى الخالق المربي بالنعم سبحان الذي خلقك ورباك بنعمه وأنعم بك على خلقك.

﴿رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ ﴾أي صاحب العزة، الذي عز سبحانه وتعالى فقهر كل شيء واعتز عن كل شيء. ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق العالمين ومربيهم بالنعم سبحانه وتعالى، وهذا يبين أن ما جاء في كتاب الله ومنهج رسل الله هو المنهج الحق في الصفات وأن منهج غيرهم ما يخالف منهجهم ينزه الله عز وجل عنه، وأن من

اعتقد عقيدة السلف في صفات ربهم سبحانه وتعالى التي هي عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم فهو سالم مسلم عليه من ربه سالم من الزلل، مسلم عليه من ربه لأن الله سلم على المرسلين لسلامة ما قالوه في ربهم بدلالة سياق الآيات والمؤمن منهجه في الصفات أن يثبت ما في الكتاب والسنة وأن ينزه ربه عن كل كلام في الصفات يخالف ما في الكتاب والسنة على ما في هذه الآيات العظيمات.

فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وهذا الواجب على المؤمن في باب الصفات فالموفق في عقيدته من قال ما في الكتاب وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم والمذموم من خالف ما في الكتاب والسنة في عقيدته في الصفات.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

لما تقدمت تلك المقدمات، وهو أن الله أعلم بنفسه وأصدق قيلا وأحسن حديثا، رتب على ذلك شيخ الإسلام ذِكر ما في القرآن في باب الصفات وكذلك ما في السنة، ففي القرآن والسنة جاء وصف الله بأطراف أربعة: بإثبات مجمل، وإثبات مفصل، ونفي مجمل، ونفي مفصل، وكان التفصيل في الإثبات أكثر والإجمال في النفي أكثر، ما جاء في القرآن والسنة في باب الصفات جاء على أطراف أربعة، على: إثبات مجمل، وإثبات مفصل، ونفي مجمل، ونفي مفصل ،والتفصيل في الإثبات أكثر والإجمال في النفي أكثر فالإثبات المجمل كل ما يدل على الكمال المطلق لله عز وجل كما في قول ربنا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحمد لله هذا إثبات مجمل لجميع صفات الكمال فإن الله كما قلنا محمود على كل حال محمود على أفعاله محمود على شرعه، محمود على أسمائه وصفاته، وعلى كل حال، وهذا إثبات مجمل للصفات.

وأما الإثبات المفصل فهذا كثير جدًّا في الكتاب والسنة، وهو ما جاء من الصفات الثبوتية كإخباره سبحانه أنه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه سميع، وأنه بصير، وأنه غفور، وأنه ودود، وأنه رؤوف، وأنه رحيم، وأنه رحمن، إلى غير ذلك.

وأما النفي المجمل فهو تنزيه الله عز وجل، تنزيه الله عز وجل عن صفات النقص مطلقًا، وتنزيه الله عز وجل عما كان مختصًا بالمخلوق، وإن كان مدحًا له، لأن المختص بالمخلوق إنما هو لنقص المخلوق، وإن كان مدحًا لأنه متمم لنقصه، يعني مكمل له من جهة هذا النقص. مثلاً: كون المخلوق يلد هذا مدح ولكنه من جهة نقصه لأنه بحاجة إلى الولد حتى يبقى اسمه بعد موته وحتى يعينه ولده فهذا مختص بالمخلوق.

إذن انتبهوا لِما نقول: تنزيه الله عز وجل عن كل نقص، وتنزيه الله عز وجل عما يختص به المخلوق، لأن ما يختص به المخلوق إنما هو من نقصه، فلابد فيه من نقص، وتنزيه الله عن مماثلة المخلوقين وتنزيه الله عن مماثلة المخلوقين هذا النفي المجمل، فيه هذه الأمور الثلاثة، كما في قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى ١١]، وكما في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص ٤]، وكما في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص ٣] فهذا فيه إجمال من جهة، وكما في قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[النحل ٧٤] .

وأما النفي المفصل فكما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة ٢٥٥]، وكما في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص ٣]، وكما في قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق ٣٨]، وكما في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[الأعراف ٧] فهذا نفي مفصل.

والنفي المجمل يقتضي إثبات كمال ضده، يقتضي إثبات كمال ضده، والنفي المفصل يقتضي إثبات كمال ضده، فليس في القرآن ولا في السنة نفي محض؛ وإنما النفي سواء كان مجملاً أو مفصلاً يقتضي إثبات ضده من الكمال، لماذا؟ لأن النفي المحض عدم، النفي المحض عدم والعدم لا يمدح به. ولأن النفي المحض قد يكون لعدم قابلية المحل فلا يكون مدحا إذا قلت هذه السارية لا تظلم هذا حق ولا باطل حق لكن لماذا لا تظلم؟ لأنها غير قابلة للظلم أصلا فهذا نفي محض، وقد يقتضي النفي المحض الذم، هو لا يقتضي المدح يقينا وقد يقتضي الذم، فقد تقول لإنسان: أنت لا تظلم وقصدك لأنك عاجز لأنك ضعيف لم ترد أن تقول له أنت ضعيف مباشرة أو عاجز فتقول له أنت لا تظلم وقصدك أنت عاجز أنت ضعيف أنت لا تظلم لأنك عاجز فاقتضى الذم كما قال الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

ذمهم بما يشبه المدح وأشار إلى الذم بأول البيت قال قبيلة صغرهم للتحقير، لا يغدرون بذمة: هذا يشبه المدح، ولا يظلمون الناس حبة خردل: هذا يشبه المدح لكن مقصوده أن يذمهم لضعفهم وأنهم ضعفة عجزه لا يقدرون حتى لو أرادو، لو أرادو الغدر ما يقدرون؛ لأنهم ضعفة وان أرادوا الظلم ما يقدرون لأنهم عجزه فلما كان ذلك كذلك لم يكن في القرآن ولا في السنة نفي محض في صفات الله عز وجل، بل النفي المجمل يقتضي الإثبات المجمل، إثبات ضده، والنفي المفصل يقتضي إثبات ضده المفصل، وقد قلنا إن الغالب في الإثبات ماذا؟ في الإثبات التفصيل، وفي النفي الإجمال قال العلماء؛ لأن التفصيل في الإثبات أبلغ في المدح وأوقع في المدح، وأمكن في المدح، والإجمال في النفي أبلغ في نفي النقص وفي المدح أيضا، يعني لو جئت لإنسان وقلت له أنت كريم صادق عادل، فإن هذا أبلغ في مدحه من أن تقول أنت لا تبخل ولا تظلم ولا تكذب ولا.. ولا.. فالإثبات أبلغ في المدح، والنفي المجمل أبلغ في نفي النقص. والنفي المفصل كما قلنا قليل في القرآن والسنة وهو يقتضي إثبات ضده ومع ذلك فله أغراض يعني مع كونه يقتضي إثبات الضد فإن له أغراضا إذا ورد، منها دفع توهم النقص في الصفة، كما في قول الله عز وجل: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان ٥٨] فهنا جُمع بين الإثبات المفصل والنفي المفصل، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ ﴾ إثبات الحياة لربنا سبحانه وتعالى ﴿ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ نفي مفصل، لماذا؟ لدفع توهم النقص في الصفة، فإنه لما كان الناس يعلمون أن كل حي يموت، فقد يتوهم متوهم هذا النقص في صفة الله عز وجل، فجاء النفي لدفع التوهم، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾ الَّذِي من شأنه سبحانه وتعالى أنه لا يموت،﴿ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص ٨٨] سبحانه وتعالى.

والغرض الكلي الثاني: الرد على المبطلين الذين يصفونه بما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى فإنه لما قالت اليهود أخزاهم الله: إن الله لما خلق السموات والأرض تعب سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق ٣٨] ما مسنا من تعب. ولما قالت النصارى: إن عيسى ولد الله، وقال المشركون إن الملائكة بنات الله، قال الله عز وجل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[الإخلاص ٣] فرد ما وصفوه به من الوصف الباطل.

والغرض الكلي الثالث: تكميل معنى الصفة، وتتميم معنى الصفة في الذهن، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (أنت الأول فليس قبلك شيء) أنت الأول ثم جاء النفي المفصل، (فليس قبلك شيء) كما في صحيح مسلم، وهذا لتكميل معنى الصفة في الذهن وتجلية معنى الصفة.

إذًا النفي المفصل قليل في النصوص وإنما المراد به ما يتضمنه وهو إثبات كمال الضد ومع ذلك فله فوائد عظمى وأغراض كلية، فهذا ما في القرآن والسنة وهو منهج أهل السنة والجماعة، بخلاف غيرهم من الفرق المخالفة، فإن الذي يكثر في كلامهم النفي المفصل، ليس بكذا، ليس بكذا، ليس بكذا، ليس بكذا إذا قرأت في عقائد أهل الكلام تجد أن أكثرها نفي، أن أكثرها نفي مفصل، والإثبات: إثبات مجمل فيه حيرة حتى عندهم، ولذلك في الحقيقة أن كل من يخالفون عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات كأنهم يعبدون عدمًا، وهذا يدلك على سلامة منهج أهل السنة والجماعة، وأنهم سائرون على الكتاب والسنة ويجعل قلبك يزداد طمأنينة بما أنت عليه.

فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ.

أي لم يعدل ولم يمل ولم ينحرف أهل السنة والجماعة عما جاء به الرسل جميعا بل هم سائرون على طريق الرسل لا يميلون عن ذلك أبدا.

فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

وهذا الذي يجب اتباعه ومن كان مع الرسل والصديقين والشهداء والصالحين في عقيدتهم وفي ديانتهم في الدنيا كان معهم في الجنة. والذي يعتقد في ربه ما اعتقده أهل السنة والجماعة وما اعتقده السلف الذي اعتقده محمد صلى الله عليه وسلم فهو على صراط النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الجماعة، وهو مجتنب للسبل المفرقة، وهو مع النبيين والرسل والصديقين والشهداء والصالحين في ديانته في الدنيا، ويُرجى له أن يكون معهم في المنزلة العليا من الجنة نسأل الله ذلك لنا جميعا.

وبهذا ينتهي شيخ الإسلام من بيان عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة السلف الصالح في الصفات على وجه الإجمال، وبيان أنها الممدوحة التي سلمت مما ذمه الله في هذا الباب وجمعت ما يمدح في هذا الباب، ليبدأ بشيء من التفصيل وهذه من أحسن الطرق في التعليم والإثبات أن يبدأ في التعليم بالكلي المجمل، ثم يلحق الكلي المجمل بالتفصيل والتمثيل فإن هذا يبين ذاك ويوضحه توضيحا تفصيليًا بالله عز وجل وهم يجهلون، وكثير منهم حيارى، ليست لهم عقيدة مستقرة في صفات ربهم سبحانه وتعالى فالواجب علينا أن نعلمهم، وأن نبين لهم، وأن نقرب العلم إلى أذهانهم، والتجديد في الأسلوب مطلوب ومخاطبة الناس بقدر فهمهم من أصول الشريعة حتى في اللغة، نعم يحرص طالب العلم على اللغة العربية، لكن إذا كان يخاطب العوام فينبغي أن يتنزل بلغته إلى ما يفهمه العوام ولا يتقعر أو يأتي بالألفاظ التي يفهمها طلاب العلم أو الذين يراجعون القواميس. وقد يقتضي المقام أحيانًا أن يخاطب العامة بالعامية، وخاصة في بعض المواقف فقد تكون تخاطب العامة في بلدك وهم ابتعدوا عن العربية كثيرًا، والأعجمية في لسانهم أكثر من العربية فهم لا يفهمون اللغة العربية، لا بأس أن تتكلم بالعربية، وتشرح شيئًا بالعامية، وهذا لا يزري بطالب العلم، لأن المقصود أن نوصل الحق إلى الخلق بما يفهمون، وبأيسر سبيل.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ: مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي «سُورَةِ الْإِخْلَاصِ» الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ.

أما الفصل وعنوانه فليس من صنع شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى وهذا تفصيل بعد الإجمال فبعد أن بين شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله عز وجل قواعد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، بدأ يفصل لبيان تلك القواعد وللتدليل على وجودها في الكتاب والسنة فقال رحمه الله وقد دخل في هذه الجملة.

والمقصود بالجملة مجموع ما تقدم من إجمال قواعد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات. ويدخل في ذلك ما تقدم قريبا وهو أن الله سبحانه وتعالى قد جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات، وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص، سورة الإخلاص الصغرى هي: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١] وسميت بسورة الإخلاص لثلاثة أمور:

أن فيها الإخلاص لله الذي هو التوحيد عبادة الله عز وجل وحده، قصد الله عز وجل وحده بالعبادة وهذا الإخلاص موجود في هذه السورة.

أن فيها صفة الرحمن خالصة لم تخلط بغير صفة الرحمن فكلما ما فيها وصف لربنا سبحانه وتعالى وتعريف بربنا سبحانه وتعالى، فالإخلاص على هذا الوجه بمعنى الخالص أو المخلص، والأمر الثالث: أن قائلها يخلص من الشرك فهي مخلصة من الشرك كله فمن أعتقد ما فيها وقال ما فيها فقد سلم من الشرك كله ولذلك من قراءها فقد عرف ربه ووحد ربه. وقد جاء أن رجلا قرأ سورة الإخلاص في الركعة الثانية من سنة الفجر والنبي ﷺ يسمع فقال : (هذا عبد آمن بربه) رواه ابن حبان

وكانت عند السلف تسمى بسورة التوحيد من زمن الصحابة رضوان الله عليهم ومن ذلك قول جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ في بصلاة ﷺ ركعتين خلف المقام قال جابر رضي الله عنه وعن أبيه: (فقرأ فيهما بالتوحيد وبقل يا أيها الكافرون) والشاهد أن جابر رضي الله عنهما قال فقرأ فيهما بالتوحيد، والتوحيد يعني بسورة الإخلاص وبقل يا أيها الكافرون.

فهذه السورة تسمى بسورة التوحيد فمن اعتقد ما فيها وقال ما فيها فقد خلص من الشرك كله. إذن سميت سورة الإخلاص لهذه الوجوه الثلاثة.

سورة الإخلاص على قلة حروفها عظيمة المعاني ولم يرد في سورة من سور القرآن ما ورد في فضلها. قد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)، النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بهذا القسم العظيم ولا يقسم النبي صلى الله عليه وسلم على أمر إلا لعظمه ولتأكيده إنها لتعدل ثلث القرآن. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوما: (احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فحشد من حشد، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم قل هو الله أحد حتى ختمها ثم قال: إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فشق عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جزّء القرآن ثلاثة أجزاء، فقل هو الله أحد جزء من أجزائه).

وكان رجل يقرأ سورة قل هو الله أحد في كل ركعة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا فلان، ما يحملك على قراءة هذه السورة في كل ركعة؟ فقال رضي الله عنه: يا رسول الله إني أحبها لأنها صفة الرحمن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حبّك إيّاها أدخلك الجنة) فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على أنها صفة الرحمن، وأخبره أن حبها عمل صالح عظيم أدخله الجنة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة)

ومعنى أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن أنها تعدل ثلث القرآن وتساوي ثلث القرآن من جهتين:

من جهة المعنى: فإن الله عز وجل قد جزَّء القرآن من جهة المعنى ثلاثة أجزاء كما تقدم معنا في الحديث. وهذه الأجزاء هي: جزء يتعلق بالأمر والنهي وما يدل على الأحكام، وجزء يتعلق بالوعد والوعيد والقصص، وجزء يتعلق بالتوحيد. وهذه السورة هي التوحيد وإليها يرجع كل التوحيد، ففيها مجامع التوحيد إذن هي تعدل ثلث القرآن من جهة المعنى.

وقال بعض أهل العلم: بسورة أخرى إن القرآن إنشاء وإخبار، الكلام إنشاء وإخبار، والإنشاء هو الأحكام، والإخبار إما إخبار عن الخالق وإما إخبار عن الخلق فهذه ثلاثة أمور، وهذه السورة فيها الإخبار عن الخالق فهي من حيث جهة المعنى تعدل ثلث القرآن

الجهة الثانية: من جهة الثواب والفضل فهي تعدل ثواب ثلث القرآن، فمن قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها كتب له ثواب قراءة ثلث القرآن كما تقدم في الحديث (أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة) ومعنى أن يقرأ هنا أنه يكتب له ثواب قراءة ثلث القرآن وهذا فضل عظيم، ومن قرأها ثلاثا كأنه قرأ القرآن كله في الثواب ولذلك قد يحصل الإنسان في يوم واحد على ثواب ختم القرآن ثلاث مرات أو سبع مرات أو عشر مرات، فإذا قرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات فهذا ثواب ختمة ثواب القرآن كاملا.

وهذا لا يعني أن ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تغني عن بقية القرآن بل ولا تغني عن آية من آيات القرآن فإنه لا يستغنى عن شيء من القرآن لا من جهة المعنى ولا من جهة الثواب، ولكنها تعدل ثواب ثلث القرآن من جهة الجنس.

وأضرب لكم مثال يقرر المسألة في أذهانكم لو كان عندنا رجلان مع أحدهما ألف ريال نقدا ومع الآخر ألف ريال طعاما وشرابا وثيابا فالذي مع هذا من حيث الجنس يعادل الذي مع هذا، هذا ألف ريال وهذا ألف ريال. لكن من حيث النوع لا يغني هذا عن هذا. لا يستغني هذا عما عند هذا ولا يستغني هذا عما عند هذا. فهما من حيث الجنس متعادلان أما من حيث النوع فكل واحد منهما لا يستغني عن الآخر. فكذلك كون قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن فإنها لا تشك تعدل ثلث القرآن في الثواب من جهة الجنس لكنها لا تغني عن غيرها ثوابا ولا معنى من القرآن.

وكونها تعدل ثلث القرآن يدل على ما عليه أهل السنة والجماعة من أن القرآن يتفاضل في آياته ويتفاضل في سوره. فآيات القرآن بعضها أفضل من بعض وهذا تفاضل في الكمال لا يستلزم نقصا. فالأفضل أكمل والمفضول كامل، وهذه قاعدة: التفاضل في الكمال لا يستلزم نقصا.

نحن نفضل بين الرسل كما فضل الله عز وجل بعضهم على بعض ولكنه تفضيل في الكمال لا يستلزم نقصا فكل الرسل فضلاء ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم وأكملهم.

وهكذا كما تقدم معنا في التوحيد في صفات ربنا فإنها تتفاضل: فالرحمة غلبت الغضب.

وصفة الواحدة أيضا تتفاضل، فلله يدان، فاليد اليمنى أفضل من اليد الأخرى كما تقدم معنا في التوحيد، وهذا كما قلنا التفضيل أو التفاضل لا يستلزم نقصا.

ولذلك لو أن شخصا سألك فقال لك: متى يجوز التفضيل بين آيات القرآن وسوره؟ والأنبياء عليهم السلام وصفات الله عز وجل ومتى لا يجوز؟

فإن الجواب: أنه يجوز ويشرع إذا كان على سبيل التفاضل في الكمال ولم يعتقد المفضل نقصا في المفضول، ولا يجوز إذا اعتقد المفضل نقصا في المفضول. يعني إذا كان التفضيل على سبيل التنقص من المفضول، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)، فأثبت لنفسه أنه أفضل

ولد آدم فهو أفضل الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء من ولد آدم. ومع ذلك قال لا تفضلوني على يونس ابن متّى أن التفضيل ذاك كان على سبيل تنقص يونس عليه السلام فمنع منه النبي صلى الله عليه وسلم .

إذن نعود إلى مسألتنا وهي أن آيات القرآن تتفاضل. وسور القرآن تتفاضل فأفضل آية من آيات القرآن آية الكرسي، وأفضل سورة من سور القرآن سورة الفاتحة ثم سورة الإخلاص ثم سورة الكافرون سورة الفاتحة التي فيها مجامع الخير، ثم سورة الإخلاص لأنها تعدل ثلث القرآن، ثم سورة الكافرون لأنها تعدل ربع القرآن كما ثبت بذلك الحديث عن النبي ﷺ .

إذن سور القرآن تتفاضل. وهذه السورة من أثبتها واعتقد ما فيها فقد وصف الله بالكمال ونزهه عن النقص ومن نفى شيئًا مما فيها صراحة أو بغير صراحة فقد شتم الله، وتنقص الله سبحانه وتعالى.

ولذلك جاء في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" قال الله كذّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: أتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفؤا أحد " الخلق على غير مثال سابق أشد من إعادة السابق إلى ما كان. فدل ذلك على أن من نفى شيئا مما في هذه السورة صراحة أو بتأويل ما في صفات الله عز وجل فهو شاتم لله عز وجل شعر بذلك أو لم يشعر. وبهذا تعلم أيها المبارك أن هذه السورة جمعت الخير كله في صفة الرحمن سبحانه وتعالى إثباتا وتنزيها.

وأن من أعتقد ما فيها كما أراد الله عز وجل وكما فهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم فقد وحد الله عز وجل، ومن نفى شيئا مما فيها صراحة أو بتأويل فقد شتم الله سبحانه وتعالى. هذه السورة فيها التوحيد وأصول التوحيد.

أصول التوحيد من إثبات صفات الكمال لله عز وجل وتنزيهه عن الأشباه والأمثال.

والرد على طوائف الكفر كلهم. وعلى جميع أهل الانحراف ممن ينتسبون إلى الإسلام في الأسماء والصفات.

وفيها أيضا اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو وهو يقول: (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ،فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده لقد سأل الله عز وجل باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى) رواه أبوداود والترمذي وابن ماجة وصححه الألباني. إذن هذه السورة فيها التوحيد كله وفيها أصول التوحيد.

فيها توحيد الأسماء والصفات من جهة أصول توحيد الأسماء والصفات التي تقدمت في كلام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى، ففيها منهج النفي والإثبات. وفيها الإثبات المفصل والنفي المفصل والنفي المجمل. وفيها الرد على أهل التعطيل وعلى أهل التمثيل كما سيأتي إن شاء الله عز وجل. وفيها توحيد الألوهية في قول الله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١] كما سيأتي إن شاء الله، وفيها توحيد الربوبية في قوله:" الله الصمد "كما سيأتي إن شاء الله. فاستحقت هذه السورة أن تسمى سورة التوحيد وأن يعيد السلف مجامع التوحيد إليها.

حيث يقول ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: قل يا محمد والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته. قُل فلابد في التوحيد من قول جازم ومعرفة بالمعنى واعتقادٍ له، قل قولاً جازما به عارفا بمعناه معتقدا له. لابد في التوحيد من هذا.

وفي قول الله عز وجل: ﴿قُلۡ﴾ دليل على أن العقيدة يجب أن يجهر بها المؤمن وأن يدْعُوَ غير المسلمين إلى الإسلام وان يدعو المنحرفين ممن ينتسبون إلى الإسلام إلى العقيدة السلفية التي جاءت في القرآن والسنة.

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ ﴾: الله هذا الاسم العظيم الذي تتبعه الأسماء ويعرف الله به. ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[الإخلاص١-٢]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الحشر ٢٢]، فيعرف الله عز وجل بهذا الاسم، والأسماء تتبع هذا الاسم، فهي له كالصفة للموصوف وهذا لعِظم هذا الاسم.

-والله هو المألوه المعبود محبة وذلاً وتعظيمًا فلا يستحق العبادة إلا هو سبحانه وتعالى، فكل ما عبد أو من عبد من دون الله عز وجل فإنه لا يستحق العبادة، فإن ادّعى أنه مألوه فهو ظالم أعظم الظلمة ومن رُؤوس الطواغيت ومن عبد أحدًا من دون الله فهو ظالم أعظم الظلم.

وهذا يدل على توحيد الألوهية، فيوحد العبد ربه بأفعاله. فلا يصرف شيئا من العبادة صغيرا كان أو كبيرا إلا لله عز وجل، ولا يصرف شيئا من العبادة ولو جزءا يسيرا إلى مخلوقٍ ولو كان عظيما فاضلا كبيرا بل ولا إلى جميع المخلوقات لو اجتمعت.

لا يصرف شيئا من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى فمثلا دعاءه كله لله سبحانه وتعالى في حال الاضطرار وفي حال السلامة دعاءه لله لا يدعو إلا الله فلا يرفع صوته داعيا إلا لربه سبحانه وتعالى فلا يقول: يا سيدي فلان ارزقني، يا وتد، يا قطب, يا ولي، يا غوث, يا محمد يا جبريل لا يقول هذا لأنه يعلم أن الدعاء هو العبادة فلا يدعو مع الله أحدا بل يعتقد اعتقادا جازما أن الخلق لو اجتمعوا جميعا في شيء واحد ما نفعوه بشيء إلا بشيء قد كتبه الله.

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١]، " أحد " هذا اسم من أسماء الله عز وجل الأحد ويدل على صفة الأحدية لله عز وجل، والأحد لم يوصف به شيء من الأعيان على سبيل الإثبات إلا الله عز وجل. فهو اسم يستعمل في باب الإثبات لله عز وجل ولم يستعمله أحد لأحد في باب الإثبات لأحدٍ سوى لله عز وجل وإنما يستعمل للنفي أو ما يشبه النفي كالشرط ونحو ذلك وكذلك يستعمل في العدد فيقول بعض الناس: أحد، اثنان، ثلاثة، وكذلك مثلا في الأسماء أسماء غير الأعيان مثل: أسماء الزمان يوم الأحد، أما الأعيان فلم يسمى عين في باب الإثبات بالأحد، إلا الله سبحانه وتعالى.

ومعنى الأحد: أنه الكامل في كل شيء سبحانه وتعالى فهو الأحد المتفرد بالكمال في كل شيء، في أفعاله، وفي شرعه، وفي أسماءه وصفاته سبحانه وتعالى. ففي هذا إثبات الكمالات كلها لله سبحانه وتعالى.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص ٢]، والصمد جاء تفسيره عن السلف تفسير تنوع لا تفسير تضاد، فالمعاني التي ذكرها السلف وثبتت عنهم كلها صحيحة.

فالصمد: هو السيد الكامل في سُؤدَدِه الذي ليس فوقه أحد ولذلك قال النبي ﷺ :

(إن الله هو السيد) السيد سيادة مطلقة هو الله عز وجل، ما من سيد إلا وفوقه سيد إلا الله سبحانه وتعالى فهو السيد الكامل في سُؤدَده الذي لا يكون فوقه أحد سبحانه وتعالى.

وهذا مستعمل في لغة العرب. فإنهم يستعملون الصمد بمعنى السيد السيادة المطلقة.

وقال بعض السلف الصمد: هو الذي لا جوف له فهو مُصمدٌ أو مصمت، غير المجوف تسميه العرب: مُصمت، أو مصمد. وهما يجتمعان في الاشتقاق الأكبر فنقول: هذه السارية مصمتة أنها غير مجوفة من داخلها، أو مصمده. وهذا من كمال الله عز وجل فإنه سبحانه من كماله لا يدخل إليه شيء سبحانه وتعالى.

وقال بعض السلف الصمد: هو الغني الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، فكل الخلق محتاجون إليه وهو الغني عن خلقِه كلهم سبحانه وتعالى.

وقال بعض السلف: الصمد هو الباقي الذي لا يفنى، فكل شيء هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى.

وكل هذه المعاني صحيحة فالصمد هو الكامل في ذاته سبحانه الغني فلا جوف له سبحانه وخلقه مفتقرون إليه. فهو السيد الكامل في سؤدَدِه المقصود في جميع الحوائج، فلا حول ولا قوة للمخلوق إلا به وهو الكامل في أوصافه سبحانه.

إذن تعلم بهذا أن اسم الأحد واسم الصمد وهما اسمان لم يردا في القرآن إلا في هذه السورة يدلان على إثبات الكمال المطلق لله وإثبات الصفات لله سبحانه وتعالى.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص ٣]، هذا في النفي فالله عز وجل من كماله ومن صَمَدِيتِه أنه لم يلد ولم يولد. وذلك لكمال غناه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ﴾ رد على الذين خرقوا له بنين وبنات واخترعوا كفرا أن له أبناء أو أن له بنات وهذا منكر عظيم، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) ﴾ [مريم ٨٨-٨٩] لقد جئتم شيئا عظيما ومنكرا.

كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الكتاب من أعظم ما يُتعلم، ومن أعظم ما يُدْرس فإن فيه مسائل العقيدة الكبرى، وفيه وصف ربنا سبحانه وتعالى. ومن المعلوم أن شرف العلم يظهر بما يتعلق به، وهو في هذا الباب علم عظيم حيث يتعلق بحق ربنا سبحانه وتعالى، وقد تقدم بيان عقيدة أهل السنة والجماعة من حيث الجملة، وأنها عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم وأجمع عليها أهل القرون الثلاثة المفضلة، فأجمع عليها سلف الأمة، ولم يأت في الكتاب غيرها، ولم ينطق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بها، ولم يعرف الصحابة ولا التابعون ولا الأئمة إلا هي، ثم بدأ شيخ الإسلام يبيّن ويفصل عقيدة أهل السنة والجماعة ليبيّنها ويثبتها ويدلل عليها، ويبين أن أصولها وتفصيلها في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنها هي التي يجب أن يعتقدها المسلم.

فبدأ البيان بأعظم سورة في القرآن بعد سورة الفاتحة، ألا وهي: سورة الإخلاص، وسورة التوحيد التي فيها أصول الإيمان بالأسماء والصفات، أصول توحيد الأسماء والصفات أصول أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وفيها تفصيل لبعض الصفات وأصول الصفات. ولم يأت فيها أن المراد بها غير ظاهرها، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز فعُلم يقينا أن الصفات يُعمل بها على ظاهرها.

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ

أي أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بما وصف الله عز وجل به نفسه، في أعظم آية من كتاب الله عز وجل لا يقْصرون عنها، ولا يتجاوزونها، والشيخ رحمه الله من فقهه أنه استفتح البيان والتفصيل بذِكر سورة عظيمة من سور القرآن، هي أعظم سورة بعد سورة الفاتحة، وهي تعدل ثلث القرآن، وفيها أصول توحيد الأسماء والصفات، بل وفيها التوحيد كله بأنواعه كلها.

ثم أعقب ذلك بذكر أعظم آية في القرآن وهي آية الكرسي، ليُعلم أن عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات تأصيلا وتفصيلا منصوص عليها في القرآن نصا فهي التي في كتاب الله عز وجل بل منصوص عليها في أعظم القرآن. فأعظم القرآن إنما ذُكر فيه التوحيد وفُصِّل فيه توحيد الأسماء والصفات، وقد

وصف الله في تلكم السورة وفي هذه الآية نفسه بأعظم صفات الكمال، ومُحَالٌ أن يذكر الله عز وجل لعباده وصفه في تلكم السورة العظيمة التي تعدل ثلث القرآن؛ وفي أعظم آية من القرآن؛ وهو يريد بها غير ظاهرها، ولا يُعلِم عباده بذلك، فإن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز والمعلوم أن الاعتقاد يجب فورا عند سماع النص فلو كان المراد غير ظاهرها لبيَّنه الله عز وجل.

فلما ذكر الله عز وجل هذه الصفات العظمى ووصف بها نفسه ولم يُبَيِّن لعباده أنه يريد بها غير ظاهرها علمنا يقينا لا شك فيه أن ظاهرها هو المراد، بل لو تصفحنا القرآن كله فإنا لا نجد فيه إلا إثبات الصفات، ولا نجد دلالة واحدة على أن المراد بالصفات غيرُ ظاهرها.

مما يجعلنا نجزم أن الله عز وجل وصف نفسه بهذه الصفات، وأن معناها هو ظاهرها على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

وآية الكرسي: سُميت بآية الكرسي لأنها اختصت من سائر القرآن بذكر الكرسي، فلم يُذكر الكرسي إلا فيها، وهي أعظم آية في كتاب الله كما بيَّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي: يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟ فقال أبي: الله ورسوله أعلم، تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا منذر أي آية في كتاب الله معك أعظم؟ قال: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال أبي: فضرب في صدري، وقال: ليهنك العلم أبو المنذر، وفي رواية: (والله، ليهنك العلم أبا المنذر)، أي ليكن العلم لك هنيئا، فإن هذا هو العلم. فدل هذا الحديث على أن أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي.

وتقرر بهذا الحديث ما قررناه في الدرس السابق أن القرآن يتفاضل، وقد فصلنا هذا وبيناه، وإنما كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله لأن فيها تقرير التوحيد وهي أعظم الآيات التي جاءت فيها الصفات وأصول الصفات. وكون آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله عز وجلّ يدل على: أن أعظم معلوم هو التوحيد، توحيد الله سبحانه وتعالى.

وأن إثبات الصفات من أعظم هذا العلم، أعني علم التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: كانت آية الكرسي أعظم آية في القرآن لأنها صفة الله عزّ وجلّ، ففيها وصف ربنا سبحانه وتعالى وصف ربنا فيها نفسه وتعرَّف إلى خلقه سبحانه وتعالى بوصف نفسه وآية الكرسي من عظمتها أن فيها اسم الله الأعظم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن: في سورة البقرة وآل عمران وطه). قال القاسم:(فالتمستها إنه الحي القيوم)، رواه الحاكم وذكره الألباني في الصحيحة.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن اسم الله الأعظم هو: الحي.

وأقوى ما قيل في اسم الله الأعظم لا يخرج عن هذه الأسماء الثلاثة: الله، الحي، القيوم.

فمن جعل في دعاءه هذه الأسماء الثلاثة و يا ذا الجلال والإكرام، ولا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقد أتى بجوامع أسباب الإجابة القولية.

فهذه الآية أعظم آية في كتاب الله عز وجل، فينبغي على المؤمن أن يعتني بحفظها وفهمها واعتقاد ما فيها.

يقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة ٢٥٥]

يقول الله عز وجل ﴿ٱللَّهُ﴾: الله هذا الاسم العظيم قد تقدم الكلام عليه، الله هو المألوه سبحانه وتعالى.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: الله اسم تضمن جميع المحامد، وتضمن صفات الكمال لله، وقلنا إنه يُعَرَّف به الرب سبحانه وتعالى وتتبعه الأسماء.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: كالتفسير لاسم الله عز وجل، فإنه المألوه المستحق للعبادة، فلا إله إلا هو: نفي للنظراء والأمثال والإله هو الذي تألَهُهُ القلوب عبادة له، واستعانة به، ورجاء له، وخشية له، وإجلالا له، وإكراما له، ومحبة له وذلا له، ولا يستحق كلَّ هذا إلا الله سبحانه وتعالى فبدأ الله هذه الآية العظيمة بهذا الاسم العظيم وهو الله، فبدأ بإثبات العبادة له سبحانه وتعالى باسمه الله فإنه المعبود ثم أعقب ذلك بقوله

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وفي هذه الجملة: نفي استحقاق غير الله عز وجل للعبودية مهما عظم وإثبات استحقاق العبودية لله وحده، فهو المتفرد بالإلهية سبحانه وتعالى.

﴿ٱلْحَيُّ﴾: هو سبحانه الحي الذي له الحياة الذاتية الكاملة الدائمة، التي ليس لها انقطاع ولا انتهاء، وليس هذا إلا لله سبحانه وتعالى، وله جميع معاني الحياة الكاملة من السمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها ففي اسم الله الحي كمال الأوصاف فإن الأوصاف كلها تعود إلى هذا الاسم العظيم وذِكْر هذا الاسم بعد قول الله عز وجل: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ برهان قاطع على أن المستحق للعبادة هو الله سبحانه وتعالى وأن غيره لا يستحق شيئا من العبادة، لأن الذي يستحق أن يُعبد هو الحي حياةً كاملةً لا انتهاء لها ولا انقطاع، وليس ذلك إلا لله كما قلنا. ولذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم وزلزلت القلوب، وخطب أبوبكر الصديق رضي الله عنه خطبته العظيمة قال فيها: "من كان يعبد محمدا فإن محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله فإن حي لا يموت" رواه البخاري في الصحيح. فهذا المعنى الجليل في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيه:

أن الذي يستحق أن يُعبد هو الله، أن لا مخلوق يستحق أن يُعبد فإن أشرف المخلوقات هو محمد صلى الله عليه وسلم وأحب المخلوقات إلى الله هو محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك محمد صلى الله عليه وسلم قد مات، فمع أنه أشرف المخلوقات لا يستحق أن يُعبد، لأن الذي يموت لا يُعبد، بل الذي ينام لا يُعبد، بل الذي ينعس لا يُعبد وإنما الذي يعبد هو الحي حياة كاملة لا انقطاع لا ولا انتهاء، وهو الله سبحانه وتعالى.

﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾: قال العلماء القيوم على وزن فيعول، من القيام فهو سبحانه القائم بأمر الخلق وتدبيرهم، وما من مخلوق إلا وإقامته بتدبير الله سبحانه وتعالى يحي ويميت، ويخفض ويرفع، ويعطي وينزع، ويبسط الرزق، ويدبر كل مخلوق فجميع المخلوقات مفتقرةٍ إليه سبحانه وتعالى بأفرادها ومجموعِها وهو الغني بذاته سبحانه وتعالى، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [الروم ٢٥] ففي اسم القيوم كمال الأفعال، قلنا: في اسم الحي كمال الصفات.

وفي اسم الله القيوم كمال الأفعال.

قال شارح الطحاوية: فعلى هذين الاسمين يعني الحي القيوم مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليها ترجع معانيها.

فإن الحياة مستلزمه لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها.

فإذا كانت حياته سبحانه أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثباتَ كل كمال يُضَادُ نَفْيُهُ كمال الحياة.

وأما القيوم فهو متضمنٌ كمال غناه سبحانه وكمال قدرته، فإنه:

القَوِيم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه.

والمُقِيم لغيره، فلا قيام لغيره إلا بإقامته.

فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام.

فالقيوم هو القائم بتدبير خلقه سبحانه وتعالى، ولا قيام لخلقه إلا به، فالخلق مفتقرون به، وهو الذي قام بنفسه سبحانه، فاستغنى عن جميع مخلوقاته. هذا معنى القيوم فتضمن جميع كمال الأفعال.

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله عز وجل عن اسم القيوم: تدخل فيه جميع صفات الأفعال لأنه القيوم الذي قام بنفسه سبحانه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات فأوجدها، وأبقاها وأمدَّها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقاءها.

وذِكر هذا الاسم برهان ثان قاطع على أن الذي يستحق العبادة هو الله، لأن الله هو الغني القائم بجميع الخلق، وجميع المخلوقات مفتقرة إلى الله، والمعبود هو الغني أما الفقير فمحتاج لا يُعبد، وكل الموجودات محتاجة إلى الله عز وجل فلا تستحق شيئا من العبادة.

﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة ٢٥٥]، السِّنة هي النعاس والفتور الذي يلحق الجسد ولكنه دون النوم وفي الغالب أنه مقدمة للنوم، فهو سبحانه كامل الحياة و القيُّومية، لا يعتريه نقص ولا غفلة عن خلقه، فلا ينام ولا ينبغي له أن ينام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم، ولا يغيب عنه شيء، فهو القيوم الغالب والمعلوم أن الذي ينام مغلوب مقهور، يغلبه النوم، ويقهره النوم،

والله عز وجل غالب سبحانه وتعالى، حي قيوم فلا ينام بل ولا تأخذه سِنة. كما قال العلماء: النوم يشغل المدبر عن تدبيره. ولله المثل الأعلى، الأب يقوم على البيت وعلى أولاده لكن إذا نام انشغل عنهم.

والنعاس يمنع المدبِّر من التدبير لأنه يفتر ويغيب وكل هذا منفي عن الله عز وجل.

فإن قال قائل: لماذا لم يقل الله عز وجل: لا يأخذه نوم؟ لماذا قال: لا تأخذه سنة ولا نوم؟ فنفى النعاس ونفى النوم؟

قلنا: لأن نفي أحدهما لا يستلزم نفي الآخر إذ قد يرد النوم بدون مقدمات نعاس، قد ينام الإنسان بدون أن ينعس وقد يرد النعاس ولا يوجد النوم ولذلك نُفِيَ الأمران ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة ٢٥٥]، تلحظ هنا أن الله عز وجل قال: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ فكرر (لا) للدلالة على نفي كل واحد منهما بانفراده وبمجموعهما، إذ لو سقطت (لا) الثانية لَاحْتَمَلَ المعنى انتفاء الاجتماع فقط، يعني لو كانت (لا تأخذه سنة ونوم) لاحتمل المعنى أنه لا تأخذه سنة ونوم معا. ولذلك في اللغة يجوز أن تقول: ما قام زيد وخالد بل أحدهما، فيكون معنى ما قام زيد وخالد أي: ما قاما معا، بل قام أحدهما وقعد الآخر.

لكن لا يجوز أن تقول: ما قام زيد ولا خالد بل أحدهما، لأنك إذا قلت: ما قام زيد ولا خالد معنى ذلك ما قام كل واحد منهما بانفراده، ولا قاما معا. فتكرار (لا) هنا كان له أثر عظيم في المعنى.

ونفي السِنَة والنوم يتضمن كمال الحياة و القيُّومية، وكما تقدم مرارا أن النفي المتعلق بصفات الله عز وجل ليس نفيا محضا بل يتضمن إثباتا، ففي نفي السِنة والنوم إثبات كمال الحياة و القيُّومية لله عز وجل.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي أن كل ما في السماوات وما في الأرض مما علمناه ومما لم نعلمه لله سبحانه وتعالى فهو مِلك الله عز وجل بغير شريك ولا نديد، وكما أنه لله مُلْكا، فهو له خلقا وتدبيرا فما خَلق شيئًا إلا الله، وما دام أنه الخالق المدبر فهو المالك وما دام أنه المالك فهو القاهر سبحانه وتعالى.

﴿لَّهُۥ﴾: قدم ما حقه التأخير للدلالة على الحصر، فالمِلك التام لله –سبحانه وتعالى–.

﴿لَّهُۥ مَا﴾: (ما) الموصولة هنا من صيغ العموم. فما من شيء في الأرض ولا في السماء إلا وهو لله سبحانه وتعالى.

وتضمنت الآية نفي الملكية التامة عن غير الله سبحانه وتعالى.

يقول شيخ الاسلام رحمه الله عليه : وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ

قال: وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ؛ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

تكلم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن ما في آية الكرسي مما يتعلق بأسماء ربنا سبحانه وصفاته، أعني أنه ذكر هذه الآية وقد علقنا عليها وبينا فضلها ومعاني ما فيها بحسب الإمكان وإلا فمعانيها كثيرة جداً وما فيها من الحكم والعلم والفوائد شيئاً كثيراً جداً ولما كانت هذه الآية كما ذكرنا في ما مضى قال شيخ الاسلام رحمه الله : ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظٌ ولا يقربه شيطانٌ حتى يصبح . فمما يحفظ به الإنسان في ليله ويحفظ به في نومه أن يقرأ آية الكرسي وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكلهُ النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ زكاة الفطر أن الشيطان سرق منه ليلة بعد ليلة وكان يمسكه ثم يظهر الضعف والمسكنة والتوبة ويتوب وأنه لا يرجع فيطلقه رضي الله عنه ثم إن النبي صلى الله عليه قال لهُ : ما فعل أسيرك البارحة ؟ يعني في كل ليلة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : ما فعل أسيرك البارحة ؟ فيقول : زعم أنه لا يعود ، فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم : كذبك وإنه سيعود فيعود في الليلة الثانية فلما كان في المرة الثالثة قال : دعني أعلمك ما ينفعك ، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى آخرها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح . فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا قال : صدقك يعني في هذا الذي قال : أنك إن قرأت آية الكرسي إذا أويت إلى فراشك سيحفظك الله في تلك الليلة ولا يقربك شيطان بأذى حتى تصبح قال : صدقك وهو كذوب فإبليس في غايه الكذب ، كذوباً ، متصف اتصافاً كلياً بالكذب لكنه صدق في ما قال و هذه القصة رواها البخاري في الصحيح تعليقاً حيث قال:

قال عثمان ابن الهيثم :حدثنا عوفُ عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة ، ووصله النسائي في الكبرى ،بنفس هذا الإسناد إلا أنه جاء فيه أخبرنا إبراهيم ابن يعقوب قال : حدثنا عثمان ابن الهيثم إلى آخر الإسناد قال الألباني : وصله النسائي والإسماعيلي وأبو نعيمٌ بسند صحيح .

ومن هنا أخذ العلماء أنه إذا هاجت أحوال شيطانية على الإنسان من وساوس أو تفكير شديد في المعصية أو نحو ذلك ، أنه إنْ قرأ آية الكرسي يطرد ذلك الشيطان عنه . فإنْ كان ما يهيج عليه إنما هو من الشيطان فقط فإنه يندفع عنه ، وإنْ كان من هوى النفس ونحو ذلك يندفع مكر الشيطان . فهذه الآية آيةٌ تطرد الشيطان وتبعد الشيطان عن الإنسان كما أن البقرة تطرد الشيطان وتبعد الشيطان .

قال رحمة الله عليه :

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] .

هنا قولُهُ : وقولِهِ يصح فيها الكسر، الجر ويصح فيه الرفع فيصح أن تقول فقولِهِ ، ويصح أن تقول : وقولُهُ .

أما الكسر فلأنه عطف على قول الشيخ رحمه الله عز وجل : وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص هذا تقدّم، فيكون المعنى هنا : وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في قولِهِ (وتوكل)

ويصح فيها الرفع فيكون المعنى هنا : ودخل في هذه الجملة قولُه تعالى . ودخل في هذه الجملة التي تقررت في إجمال عقيدة السلف قولُهُ تعالى .

فيصح في القراءة أنْ تقول وقولِهِ ، كما ضُبِط في بعض النسخ ، وفي بعض الطبعات ، ويصح أن تقول : وقولُهُ . كما ضبط في بعض الطبعات ، والمعنى صحيح على الحالَيْن .

وهنا لايزال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يُفصّل ما أجملهُ في أول الكلام ، في عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات ، ويبيّن أن أهل السنة والجماعة هم الموافقون للنصوص لفظاً ومعنى من غير زيادة عليها ولا قصور عنها ولا تحريف لها لا في ألفاظها ولا في معانيها .

ألفاظهم و اعتقاداتهم مطابقة لما في القرآن والسنة .

يقول الله عز وجل: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وتوكل : أي اعتمد في جلب منافعك ودفع المضار عنك على الله ثقةً به مع فعل الأسباب الصحيحة . هذا التوكل أن تعتمد على ربك سبحانه وتعالى في جلب المنافع ودفع المضار ثقةً به سبحانه مع فعل الأسباب الصحيحة ، فإن فعل الأسباب الصحيحة من التوكل .

ولا ينافي التوكل ، لكن الاعتماد ليس عليها ، وإنما الاعتماد على المنعِم بها ، على الله سبحانه وتعالى . وقد تقدم الكلام عن التوكل والتفصيل في شرحنا لكتاب التوحيد .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾، الحي : اسم من أسماء الله عز وجل وفيه صفة الله عز وجل والحي هو الذي له الحياة الذاتية الكاملة الدائمة التي ليس لها انقطاع ولا انتهاء ، فهو حيٌّ سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم، فلا تنقطع حياته حتى بالنوم وحتى بالسنة كما تقدم معنا في شرح آية الكرسي ولا انتهاء لها فهو سبحانه وتعالى لا يموت ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾

وقول الله عز وجل: ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ فيه بيان كمال هذه الحياة، وتأكيد كمال هذه الحياة وأنه لا يلحقها انتهاء، ففي هذه الآية إثبات صفة ثبوتية على وجه التفصيل وفيها نفي على وجه التفصيل .

والحكمة من النفي هنا مع أنّا قلنا : إن الغالب أن النفي يأتي على سبيل الإجمال وقد يأتي على سبيل التفصيل لحكمة . الحكمة هنا هي تأكيد كمال هذه الحياة ، وأنه لا يلحقها انتهاء أبداً .

وفي هذه الآية الشريفة دلالةٌ على أن المستحق للعبادة هو الحي الذي لا يموت ولذلك قال : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ وذكر الصفة هنا كالتعليل كأنه يقول : وتوكل على الله لأنه حي لا يموت، والتوكل عبادة وهذا يدل على أن المستحق للعبادة هو الحي الذي لا يموت وأنّ كل حيٍّ دون الله لا يستحق شيئاً من العبادة ، فإنه يموت ولا يدفع عن نفسه الموت فكيف يعبد ؟

كل حي دون الله : الملائكة ، الأنبياء ، الأولياء وغيرهم لا يستحق شيئاً من العبادة ولو قلّت ، لأن كل حي دون الله ، يموت ولا يدفع عن نفسه الموت ، فكيف يعبد ؟

وإذا كان ذلك في الحي الذي يموت حال حياته ، فكيف بالميت المقبور في قبره الذي لم يستطع أن يدفع عن نفسه الموت وقُبِر؟ فلم يستطع أن يدفع عن نفسه أن يهال عليه التراب فكيف يستحق أن يعبد من دون الله ؟ وكيف يستغاث من دون الله ؟ وكيف يدعى من دون الله ؟ وإذا كان هذا في الحي الذي يموت ، فكيف بمن لا يحيي أصلاً ولا حياة له كالأصنام ؟

لاشك أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ومن صرف شيئاً من العبادة لغير الحي الذي لا يموت فقد أشرك ولو كان ذلك قليلا .

ولو قال إنما أجعل هذا واسطة بيني وبين الله ولو قال أنا كثير الذنوب كثير الدنس لا يليق بي أن أخاطب الله مباشرة فأجعل واسطة فإن فعله هذا أعظم الأدناس وأعظم الذنوب فهو لم يقدم ما ينفعه بل زاد دنسه لو سلمنا أنه دنس دنسا أعظم مما كان وهو دنس الإشراك بالله عز وجل والإشراك بالله يمنع إجابة الدعاء أما كون الإنسان مسلما فاسقا فإن هذا لا يمنع إجابة الدعاء وإن كان كل ما كان الإنسان أصلح كلما كانت إجابة دعائه أقرب فالشاهد أن هذه الآية العظيمة التي معنا كما دلت على اسم الله -عز وجل- الحي وعلى اتصافه بالحياة اتصاف كمال إذ أن حياته لا تنقطع ولا تنتهي دلت على أن المتصف بهذه الصفة هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى .

قال رحمة الله عليه وقوله : ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلَيمٌ﴾ [الحديد :٣]

نعم وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلَيمٌ﴾ [الحديد :٣]

وقول الله عز وجل : ﴿هُوَ الأَوَّلُ ..﴾ إلى آخر الآية يقول العلماء جملة معرفة الطرفين طرفاها معرفة طرفاها معرفة هو الأول والجملة المعرفة الطرفين في لغة العرب تدل على الاختصاص فهذا السياق يدل على اختصاص ربنا سبحانه وتعالى بهذه الأسماء الأربعة على الإطلاق فلا تثبت لغيره إلا على سبيل التقييد فلا يقال لمخلوق الأول : بالإطلاق وإنما يقال الأول مقيدا الأول فيقال الأول من طلاب الفصل الأول من طلاب الفصل مقيد بالنسبة لطلاب الفصل أما الأول مطلقا فلا يطلق إلا على الله سبحانه

وتعالى وهكذا في بقيت هذه الأسماء وتلحظون هنا أن ربنا سبحانه وتعالى أدخل الواو بين هذه الأسماء التي فيها الصفات مع أنها أسماء لموصوف واحد وفيها صفات لموصوف واحد قال العلماء فائدة إدخال الواو هنا بين الأسماء هي الدلالة على اجتماعها الدلالة على اجتماعها ليدل على أنها مجتمعة لماذا ؟ لأن هذه الأسماء متباعدة متقابلة الأول يقابل ذلك تماما الآخر الظاهر يقابل ذلك تماما الباطن فهي متباعدة متقابلة ، فجيء بالواو لدفع توهم الانفراد وأنها لا تجتمع ، وللدلالة على اجتماعها في حق ربنا سبحانه وتعالى وذلك لكمال ربنا سبحانه وتعالى في ذاته وأسمائه وصفاته .

و قد فسّر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأسماء تفسيرًا بيّناً ، وإذا جاء التفسير على لسان رسول الله وجب صلى الله عليه وسلم على المؤمن أنْ يعتقده و أنْ يلزمه و أن لا يفسر بتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال صلى الله عليه وسلم : اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، و أنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء. رواه مسلم في الصحيح .

وقول النبي : صلى الله عليه وسلم أنت الأول فليس قبلك شيء، فيه إثبات اسم الله الأول ومعناه وفيه تحقيق وتأكيد على معنى الأوّلية بالنفي، أنت الأول : هذا إثبات ، فليس قبلك شيء : هذا نفي .

وفائدة هذا النفي التفصيلي تأكيد هذه الأولية ، وأنه لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه .

فالله هو الأول, الأول اسمه والأولية صفته بمعنى أنه سبحانه كان ولم يكن شيء قبله .

كما قال النبي عن صلى الله عليه وسلم دما سأله قوم من أهل اليمن, النبي، جاءه صلى الله عليه وسلم قوم من بني تميم فقال لهم : أبشروا، فقالوا : قد بشرتنا، فأعطنا-نريد عطية- فجاءه قوم من أهل اليمن، فقال لهم: اقبلوا البشارة حيث أباها بنو تميم .فقبلوا البشارة، وقالوا : قد أتيناك لنتفقه في هذا الأمر ونسأل عن أول هذا الأمر ما كان ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم :كان الله ولم يكن شيءٌ قبله. رواه البخاري في الصحيح .

و في رواية عند البخاري :كان الله ولم يكن شيءٌ غيره . أول هذا الأمر ، أنه كان الله ولم يكن شيءٌ غيره ، ولم يكن شيءٌ قبله . على الروايتيْن في صحيح البخاري .

فالأول كما قال ابن جرير رحمه الله عز وجل : هو الأول قبل كل شيء بغير حد، فالله هو الأول قبل كل شيء ولا حد لأوليته، فليس لأوليته ابتداء، ولم يسبقه عدم ولا شيء، لم يسبقه شيء من الأشياء ولم يسبقه عدم سبحانه وتعالى.

وهذا الاسم يدل على أن كل ما سوى الله حادث وكائن بعد أن لم يكن موجودا، وأنه مخلوق خلقه الله عز وجل، وهذا يقتضي من المؤمن أن يوقن أن الأمر كله لله وأن كل خلق الله بيد الله، فلو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه بشيء إلا إن كان الله قد كتب له ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه بشيء إلا أن يكون قد كتب الله عليه ذلك، فكيف لا يعلق قلبه بالله؟ وكيف يلتمس رضى الناس بسخط الله؟ المؤمن إذا أيقن هذا فإن غاية مناه أن يرضي الله ولا يلتفت إلى قلوب الناس وإنما يكل قلوب الناس إلى رب الناس، إن رضي عنه وكان في رضاهم عنه خير له أرضى عنه الناس، وهذا يجعل المؤمن إن حققه متجردا للحق فلا يقول باطلا من أجل أن يرضي أحدا، بل إن ظهر له الحق واستنار جهر به، ولو قال الناس : تغير، ولو قال الناس : انتقل من حال حسنة إلى حال سيئة. ما دام أنه علم وتيقن بعلمه أن هذا يرضي الله عز وجل أقدم عليه . ثم قلوب الناس يكلها إلى الله عز وجل، فإن كان في رضاهم عنه خير له سيرضي الله الناس عنه وهذا في سائر أموره .

وكذلك بالنسبة للأسباب، المؤمن إذا أيقن أن الله هو الأول، فإنه يوقن أن الأسباب سبقها عدم ويلحقها عدم ؛ الطبيب سبب من أسباب الشفاء، وقد سبق الطبيب عدم فلم يكن موجودا أصلا، ثم لما ولد سبق علمه بالطب عدمه فلم يكن يعلم الطب، ثم سيلحقه عدم، سيموت، فإذا أيقن المؤمن من هذا فإنه سيفعل الأفعال الصحيحة لأن الله جعلها أسبابا ولا يلتفت إليها بقلبه لأنها كانت عدما، ولا يعلّق قلبه بها لأنها يلحقها العدم وإنما يكون التفات قلبه وتعلّق قلبه بالله عزّ وجلّ حتى عند فعل السبب، لا يتعلّق قلبه بالسبب وإنّما يتعلّق بالله لأنّ الله سبحانه وتعالى هو الأوّل.

هو الأوّل والآخر، الله عزّ وجلّ هو الآخِر وقد فسّر النبي صلّى الله عليه وسلّم الآخر بقوله: وأنت الآخر فليس بعدك شيء . فأثبت لله عزّ وجلّ اسم الآخر والصفة، المعنى بدليل أنه قال: فليس بعدك شيء , فليس هذا الاسم مجرّدا فنقول هو الآخر ثم نقول : لا معنى له أو نقول : لا نعرف معناه، بل النبي صلّى الله عليه وسلّم أثبت الاسم ومعناه فقال: فليس بعدك شيء. وأكّد كمال هذه الآخريّة وأنّه

ليس بعد الله عزّ وجلّ شيء فهذه الآخريّة لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، والآخر كما قال ابن جرير: هو الذي يكون بعد كل شيء بغير نهاية، انتبهوا، الأوّل قبل كل شيء بغير حدّ والآخر بعد كل شيء بغير نهاية، فليس لآخريّته انتهاء ولا يلحقه عدم سبحانه وتعالى وهذا يدلّ على بقاءه وأبديّته سبحانه وتعالى.

طيب، لعلي أستشفّ وأستشعر أنّ في أذهانكم سؤالا وهو أنّ الجنّة لا تفنى وأنّ النار لا تفنى وأنّ أهل الجنّة مخلّدون بلا موت وأنّ أهل النار مخلّدون بلا موت وهذه آخِريّة إذن الجنّة آخر ليس بعدها شيء لا تفنى ليس بعدها عدم، لا يلحقها عدم والنار كذلك وأهل الجنة كذلك وأهل النار كذلك .

قلنا: إنّ هذه الآخريّة ناقصة والآخرية المطلقة إنّما هي لله عزّ وجلّ ونقصها من وجهين:

الوجه الأوّل: أنها مسبوقة بالعدم، لم تكن الجنة موجودة فخلقها الله ولم تكن النار موجودة فخلقها الله وأهل الجنة لم يكونوا موجودين فخلقهم الله ثم أماتهم الله ثم بعثهم ثم أدخلهم الجنة وكذا أهل النار، إذن هذه الآخرية مسبوقة بعدم أما ربنا سبحانه وتعالى فهو الأول والآخر فلا حد لابتدائه ولا انتهاء لآخريته , إذن الجنة والنار وأهل الجنة وأهل النار وإن كان لا نهاية لآخريتهم بل هم مؤبدون إلا أن هناك حدا لأوليتهم لوجودهم هذا الوجه الأول

والوجه الثاني : أن أبدية ربنا يعني آخرية ربنا ذاتية, أما أبدية الجنة وأبدية النار وأبدية أهل الجنة وأبدية أهل النار فهي بإبقاء الله عز وجل لها ولهم فلو شاء الله لأفنى الجنة لو شاء لأفنى النار لو شاء لأمات أهل الجنة كما أماتهم في الدنيا ولكنه أعطاهم فضلا منه الأبدية لجنتهم والأبدية فيها وجعل للنار الأبدية والأبدية فيها فتحصل عندنا أن ندرك وأن نفهم أنه مع كون الجنة باقية لا تفنى وكون النار باقية لا تفنى وكون أهل الجنة لا يموتون بل هم مؤبدون وأن أهل النار الذين لا يخرجون منها لا يموتون بل هم مأبدون فيها أن هذه الآخرية ناقصة وليست مطلقة وأما الآخرية المطلقة فهي لله عز وجل

﴿وَالظَّاهِرُ﴾، الظاهر فسره النبي صل الله عليه وسلم بقوله : وأنت الظاهر فليس فوقك شيء فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم الاسم والمعنى وتمام المعنى .

الظاهر: اسم لله عز وجل ومعناه أنه ليس فوقه شيء وتأكد تمام هذا المعنى بالنفي فالظاهر هو الذي ليس فوقه شيء فكل عال مهما علا حسا أو معنى فالله فوقه كل عال مهما علا حسا أو معنى فالله عز وجل فوقه إن علا الإنسان في الدنيا فالله فوقه وأعلا منه فكيف تقدم رضاه على رضى الله عز وجل؟ والله عز وجل مستو على عرشه فهذا الاسم الظاهر يتضمن معنى اسم العالي، هذا الاسم "الظاهر" انتبهوا هذا الاسم الظاهر يتضمن معنى اسم العالي

ليس الظاهر والعالي بمعنى واحد من كل وجه ولكن معظم معنى الظاهر هو معنى العالي

إذن فالظاهر يتضمن معنى اسم العالي فلا شيء أعلى منه سبحانه وتعالى فهو مستو على عرشه فوق مخلوقاته كما سيأتي بيانه إن شاء الله عز وجل

﴿وَالْبَاطِنُ﴾، فسره النبي صل الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم بقوله: وأنت الباطن فليس دونك شيء، فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم الاسم والمعنى أي الصفة وأكد كمال هذا المعنى.

والباطن هو: الذي ليس دونه شيء فلا شيء أقرب إلى شيء من الله .

و لا يحجب شيءٌ شيئًا عن الله، فلا تحجب سماءٌ سماء، و لا أرضٌ أرض، و لا مخلوقٌ مخلوقًا و لا يحتجب عنه ما في البطون , لا يحتجب عنه ما في بطون الأمهات، ولا ما في بطون الأودية، ولا ما في بطون البحار، و لا غير ذلك، و لا تختلط عليه مخلوقاته، ولا يختلط عليه صوتٌ بصوت. فالله مع علوه بذاته قريبٌ بعلمه، وسمعه، وبصره، وإحاطته سبحانه وتعالى، فهذا الاسم يتضمن معنى اسم القريب.

انتبهوا ! الظاهر : يتضمن معنى اسم العالي، والباطن: يتضمن معنى اسم القريب فهو سبحانه وتعالى قريب من مخلوقاته: بقدرته، وسمعه، وبصره، وعلمه، كما أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

وهذه الأسماء الأربعة مجتمعة تدل على كمال إحاطة الله عزّ جل بخلقه، فهو سبحانه وتعالى بكل شيء محيط.، وهذه الإحاطة زمانيةٌ، ومكانية. الإحاطة التي تدل عليها هذه الأسماء الأربعة إحاطة زمانية، ومكانية .

أما الإحاطة الزمانية ففي اسم: الأول، والآخر فهذه إحاطة زمانية.

وأما الإحاطة المكانية ففي اسم : الظّاهِر، والباطن. فكل سابقٍ مسبوق كل سابق دون الله مسبوق فتنتهي أوليته إلى حدٍّ والله هو الأول وكل متأخرٍ بعده شيء، وآخريته ناقصة إلا الله سبحانه وتعالى فهو الآخر الذي ليس بعده شيء .

ومن جهة المكان كلّ عال فالله فوقه وكل قريبٍ فالله أقرب منه ،على ما بينا معناه .

وختم الله عز وجل هذه الآية بما يناسب هذه الأسماء الأربعة فمادام أن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن فاليقينُ أنه بكل شيء عليم . ولذلك قال سبحانه : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فهو سبحانه الذي كُمل علمه كمالاً مطلقاً وأحاط علمهُ بالأمور كلها متقدمها و متأخرها, متقدمها فالله هو الأول و متأخرها فالله عز وجل هو الآخر وظاهرها وباطنها فالله هو الظاهر وهو الباطن سبحانه وتعالى, جهرها وسرها فهو سبحانه بكل شيء عليم .

بقي مبحث يذكره أهل العلم في هذه الأسماء وهو: هل هذه من الأسماء المقرونة التي لا تفرد ،وإنما تذكر مقرونه ،كالضار والنافع والمانعِ والمعطي ؟ فإن الضار مقرون لا يذكر إلا مع النافع والمانع مقرون لا يذكر إلا مع المعطي فهل هذه الأسماء الأول والآخر والظاهر والباطن من هذا الباب؟ فلا تذكر إلا مقرونة؟ فنقول : الأول والآخر ولا نقول : الآخر فقط، ونقول: الظاهر والباطن فلا نقول: الباطن فقط، أم ماذا ؟

أولاً : أذكر لكم الضابط الذي أخذه أهل العلم من النصوص في الأسماء التي لا تذكر إلا مقترنة ولا تذكر مفردة , الضابط عند أهل العلم : أن إفرادها يوهم النقص فلو قلت : الضار وسكت ، السامع قد يتوهم أنها صفة نقص لكن إذا قلت : النافع والضار فهذا يدل على تمام الملك والتصرف , فهل هذه الأسماء من هذا الباب التي لا تذكر إلا مقرونة أو لا ؟ طبعاً هذا السؤال ليس ترفاً علمياً يترب عليه ما يتعلق بالذكر وتترتب عليه أحكام فقهية , الاسم الذي لا يذكر إلا مقروناً لا يعبد في الأسماء فلا يجوز أن يتسمى إنسان فيقول : أنا عبد الضار، ما يجوز مع أنه يجوز أن يقول : عبد الله عبد الرحمن لكن ما يجوز أن يسمى عبد الضار ويقول : الله هو الضار نقول : هذا لا يذكر إلا مقروناً لا يذكر مفردً والأظهر عندي والله أعلم أن هذه الأسماء ليست من الأسماء التي لا تذكر إلا مقترنة أو مقرونة بالآخر بل يجوز ذكرها مفردة فيصح أن يقول الإنسان : الله هو الأول، الله هو الآخر، الله هو الظاهر، الله هو الباطن،

وعليه يصح أن يسمى فيقول: عبد الأول، عبد الآخر، عبد الظاهر، عبد الباطن، هذا الأقرب والله أعلم، لأن الضابط المذكور لا ينطبق هذه الأسماء لكن تمام المعنى في اقتران كل اسمين في أن تقول : هو الأول والآخر ليدل على الإحاطة الزمانية دلالة ظاهرة أصلية وتقول : هو الظاهر والباطن ليدل على الإحاطة المكانية دلالة ظاهرة أصلية فهذا الأقرب والله أعلم . فاقترانهما يدل على كمال الإحاطة المقصودة الأول والآخر المقصود فيهما كمال الإحاطة الزمانية, الظاهر والباطن المقصود منهم إكمال الإحاطة المكانية مع كون كل اسماً لله عزل وجل مع معناه اقترانهما يدل على عموم الإحاطة الزمانية أو عموم الإحاطة المكانية هذا ما يتعلق بهذه الآية الشريفة العظيمة التي فيها معاني عظيمة، ففيها أسماءٌ لربنا سبحانه وتعالى لها أثراً عظيم في معتقد الإنسان وفي أقواله وفي أعماله فإذا علم الإنسان هذه الأسماء الأربعة مع ما ختمت به الآية أن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه بكل شيئاً عليم، سد هذا كثيراً من مداخل الشيطان عليه، وأثر هذا في حسن أقواله وفي حسن أفعاله وفي شدة تعظيمه لربه وفي شدة خوفه من ربه سبحانه وتعالى وعظيم مراقبتهِ لله عز وجل ولا شك يا عبد الله أنك كلما كنت بالله أعلم كنت له أخوف إنما يخشى الله من عبادة العلماء فأسال الله عز وجل أن يزيدنا علماً به سبحانه وتعالى وأن يرزقنا أثر هذا العلم في قلوبنا وأقوالنا وأعمالنا وأن يجعل تعلمنا هذا زيادة لنا في القرب منه وفي القرب من مراضيه وأن يباعد بيننا وبين ما يغضبه كما باعد بين المشرق والمغرب.

لا زلنا مع ما أورده شيخ الإسلام رحمه الله من آيات تطابقها عقيدة أهل السنة والجماعة من غير نقصان عنها ولا تجاوز لها.

يقول شيخ الإسلام رحمة الله عليه، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَه: ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٣]

نعم، كما تقدم معنا يصح أن تقول هنا : وقولِه ,ويصح أن تقول: وقولُه، فإذا قلت: وقولِه, يكون المعنى : ويدخل في هذه الجملة قوله تعالى: كذا، وإذا قلت : قوله, يكون المعنى : ويدخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في قوله: ﴿العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٣]

في هذه الآية إثبات اسمين عليّين من أسماء ربّنا سبحانه وتعالى العليم والحكيم، وقد جاء القرن بين هذين الاسمين العليم الحكيم في القرآن في أربعة مواطن ، هكذا العليم الحكيم في أربعة مواطن، والحكيم العليم في

موطنين، وعليم حكيم في خمسة عشر موطنا، وحكيم عليم في خمسة مواطن ، فكان القرن بين هذين الاسمين الكريمين العليّين في القرآن في ستّة وعشرين موطنا، والعليم تكرّر في القرآن معرّفا ومنكرا في مئة وستّة مواطن .

﴿الْعَلِيمُ﴾: أيّها الفضلاء فعيل من العلم أي أنّه ذو العلم الكامل المحيط الذي أحاط بكلّ شيء فلا يعزب عن علم ربّنا سبحانه وتعالى شيء، أحاط بالظواهر والبواطن، وبالجهر، وما يخفى، وبالماضي والحاضر والمستقبل، والكائن وغير الكائن لو كان كيف يكون، والممكن و المحال، والكثير والقليل، والصّغير والكبير فلا يعزب عن علم ربّنا سبحانه وتعالى شيء ، قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام ٥٩]، ما تسقط من ورقة من شجرة في أيّ مكان و في أيّ زمان إلاّ وهو يعلمها سبحانه، علم أنّها تسقط قبل أن تسقط بل قبل أن تخلق و علم بها حال سقوطها و علم مستقرّها عند سقوطها و علم مآلها بعد سقوطها سبحانه و تعالى ﴿وَلَا حَبَّةٖ﴾ والحبّة الشيء الصغير، ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ ظلمات وليس في ظلمة واحدة، الحبّة لو سقطت في قاع البحر فتكون في ظلمة القاع و في ظلمة البحر و في ظلمة الليل الله عزّ وجل يعلمها سبحانه وتعالى، ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ﴾ كل رطب فالله يعلمه و كلّ يابس فالله يعلم، ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾: أي أنّ الله علمه قبل أن يكون ، علم كل شيء في الأزل سبحانه و تعالى و يعلم كل شيء سبحانه و تعالى

و قال تعالى : ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء ٢٢]، ومن المعلوم المتيقّن أنّ وجود إله غير الله محال لا يمكن و مع ذلك علم الله أنّه لو وجد إله في الأرض، لو كان في الأرض والسموات غير الله لفسدتا وأيضا قال الله عزوجل: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[الأنعام ٢٨] فرد أهل النار بعد أن أدخلوها محال والله عز وجل علم أنهم لو ردوا لو وقع هذا المحال ماذا يكون أنهم سيعودون لما كانوا عليه إلى ما نهوا عنه فعلم الله عزوجل شامل واسع محيط لا يخرج عنه شيء .

﴿الْحَكِيمُ﴾: فعيل من الحكمة والحكيم ذو الحكمة الباهرة الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب المنزه عن العبث والباطل وهو محكم للأشياء في فعله وشرعه في غاية الإتقان وكل شيء في خلق الله في موضعه في

حركته في موضعه في سكونه في موضعه وكل شيء في موضعه في شرع الله في موضعه سبحانه وتعالى , وفي جميع أفعاله وتشريعاته حكم جليلة وغايات حميدة وآثار كريمة من أجلها خلق ومن أجلها شرع سبحانه وتعالى والمجادلة في حكمة الله مكابرة فإن النقل والعقل قد اجتمعا على بيان هذه الحكمة, وأيضا الحكيم فعيل فيأتي بمعنى فاعل فيكون بمعنى الحاكم لأن فعيل في اللغة يأتي بمعنى فاعل فالله عزوجل هو الحاكم وله الحكم سبحانه وتعالى , له الحكم الكوني القدري وله الحكم الشرعي الأمري ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [التين ٨] إذن الحكيم هو ذو الحكمة والذي في أفعاله وأقواله الحكم الباهرة والحاكم سبحانه وتعالى .

قال عليه رحمة الله: ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم ٣]

نعم هذا في بعض نسخ الواسطية ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ وفي بعض نسخها لم يذكر هذه الآية وهذا ليس بغريب لأن الكتب قديما كانت تنسخ باليد ليست بالآلات والتصوير وهذا الكتاب قد نسخ كثيرا جدا حتى في زمان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فليس غريبا أن يوجد شيء في بعض النسخ ويحذف في بعض النسخ .

﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾، العليم كما تقدم والخبير هو اسم لله عزوجل وهو يدل على العلم ببواطن وحقائق الأشياء فإن الخبير العالم بحقيقة الشيء وبباطن الشيء والله سبحانه وتعالى عليم خبير سبحانه وتعالى.

قال عليه رحمة الله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]

لما ضلت في علم الله عزوجل طوائف ضلالا مبينا توسع شيخ الإسلام في الدلالة على سعة علم الله وإحاطة علم الله عزوجل بكل شيء فإن هناك ثلاث طوائف قد ضلت في علم الله ضلالا مبينا أولها : الفلاسفة الذين يزعمون أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات يقولون : الله يعلم الكليات الامور الكلية دون الجزئيات فنفوا علم الله عزوجل بأكثر الأشياء لأن أكثر الأشياء جزئيات وقد يكون الكلي جزئيا

باعتبار كلي أكبر منه فمعنى كلامهم ومؤدى كلامهم أن الله عزوجل لا يعلم كثيرا تعالى الله عما يقولوا الظالمين علوا كبيرا.

وأما الطائفة الثانية : فهم غلاة القدرية الذين نشؤا في أول نشوء الفرق الضالة أواخر زمن الصحابة رضوان الله عليهم وقد كانوا يزعمون أن ربنا سبحانه وتعالى لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها فكانوا يزعمون تعالى الله عما يقولون أن ربنا سبحانه وتعالى لا يعلم قول العبد حتى يقوله أما قبل أن يقوله فلا يعلمه ولا يعلم فعل العبد حتى يفعله وأما قبل فعله فإنه لا يعلمه فنفوا عن الله عزوجل علم الأشياء قبل وقوعها وقد كفر العلماء هاتين الطائفتين .

والطائفة الثالثة : القدرية المتأخرون من المعتزلة وغيرهم الذين يثبتون اسم العلم بلا صفة فيقولون :عليم بلا علم ويقول بعضهم :عليم لا يجهل فلا يثبتون ذات العلم ولكن ينفون مقابله فيقولون : عليم لا يجهل .

وهذه الطوائف ضالة ضلال مبين لكن لما كان كلامها موجودا ونشر بين المسلمين ، نعم كلام الفلاسفة لا يعلم أن فرقة من فرق المسلمين قالت به لكنه نقل للمسلمين لما ترجم المنطق اليوناني فأصبح موجودا يسمع وكلام غلاة القدرية قد اندثر ولم يبق في الأمة لكنه بقي يحكى وكلام متأخري القدرية موجود ولازال بعض الناس يقولوا به إلى اليوم, لما كان ذلك كذلك رد عليهم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بذكر أدلة تدل على سعة علم الله عزوجل وشمول علم سبحانه وتعالى ومن ذلك قول الله عزوجل: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي أن ربنا سبحانه وتعالى يعلم ما يدخل في الأرض وما يغيب فيها وما هنا اسم موصول فيشمل كل شيء يدخل في الأرض، نعلم قليلا منه ونجهل كثيرا منه؛ فيعلم الماء بقطراته حيث يدخل في الأرض، وأين يكون مستقره وإلى أين يكون مآله، ويعلم الدود حين يدخل في الأرض وأين يكون مستقره وماذا يفعل، وأين يكون مآله، ويعلم البذر حيث يسقط في الأرض ويدخل في التربة، وماذا يكون مآله إلى غير ذلك، علمنا قليلا وجهلنا كثيرا.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الماء والزروع والدود والجن وغير ذلك.

﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كل الذي ينزل من السماء يعلمه الله سبحانه وتعالى؛ من الملائكة والماء والأرزاق والأمر وغير ذلك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي ما يصعد إليها ويدخل فيها، قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أفادنا الأمرين:

ما يصعد إليها ويدخل فيها، لأن الأصل في يعرج أن يعد ب:إلى لكن هنا عدي ب:في ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ هنا هذه التعدية لها فائدة زائدة وهي الإفادة بالدخول فصار المعنى: وما يصعد إلى السماء ويدخل فيها, من الملائكة والأرواح وغير ذلك مما يعلمه الله ولا نعلمه. والمقصود أن الله عز وجل هو العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض سبحانه وتعالى.

قال رحمة الله عليه، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَارَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] .

هذه الآية تدل على سعة علم الله عز وجل وإحاطته، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ مفاتح قال بعض أهل العلم: جمع مفتح وهو المفتاح، العرب تسمي المفتاح مفتاحا ومفتحا، فمفاتح جمع مفتح أما مفتاح فجمعها مفاتيح. وقال بعض أهل العلم : بل جمع مفتاح وحذفت الياء في الجمع، الأصل أن يقال : مفاتيح فقيل : مفاتح وهذا قليل في لغة العرب. وقال بعض أهل العلم : جمع مفتح بفتح الميم مَفْتِح و هُو الخَزَانَة وهو الخزانة فيكُون مفاتح يعني خزائِن ومعنى الآية: وعنده خزائنُ الغيبِ , وقيل أوائل الغيبِ لا يعلمُها إلا هُو وهذه المفاتح هي الّتي وردت في قول الله عزّ و جلّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِى ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسُۢ بِأَىِّ أَرۡضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان ٣٤]، وقد فسّر النبيّ صلّى الله عليه و سلّم مفاتح الغيب بهذا ،فقد روى البخاري أنّ النبيّ صلّى الله عليهِ وسلّم قال: (مفاتيحُ الغيبِ خمسة ، ثمّ قرأ هذه الآية)، وفي رواية عندَ البُخاري قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: (مفاتيحُ الغيبِ خمسَة لا يعلمُها إلّا الله ، لا يعلمُ ما تغيضُ الأرحامُ إلّا الله ولا يعلمُ ما في غدٍ إلّا الله ولا يعلمُ متى يأتي المطرُ أحدٌ إلّا الله سُبحانه و تعالى و لا

تدري نفسٌ بأيّ أرضٍ تمُوت إلّا الله ولا يعلمُ متى تقُوم السّاعة إلّا الله)، فهذه مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلّا الله فقيام السّاعة لا يعلمهُ إلّا الله سبحانهُ وتعالى و لذلكَ الملك الّذي يُؤمر بالنّفخ التقم القرن و ينظر إلى الرّحمن ينتظر الأمر لأنّه لا يعلم متى يكُون فحتّى جبريل عليه السّلام لا يعلم متى تقُوم السّاعة و لذلكَ قال للنبيّ صلّى الله عليه و سلّم : ما المسؤول عنها بأعلم من السّائل .

﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ فلا يعلمُ أحدٌ متى ينزلُ المطر، نعم و الله لا يعلم أحدٌ متى ينزل المطر ولا أين ينزل فإن قال قائل : اليوم يتنبّؤون ويخبرُون أنّه سينزل مطر في الوقت الفُلاني ، قُلنا علمُهم علم مقدّمات و أسباب قد يقع و قد لا يقع فإن وقع فقد أعلمهم الله سُبحانهُ و تعالَى بالمقدّمات و إن لم يقع فإنّ علمهم قاصر و هذا المعلوم ، يقُولون : سينزل على المدينة في آخر الأسبوع مطر فلا يأت مطر ولا يذكرون نزول المطر فينزل المطر وقد يرى العبد السحابة فوقه فيظنّها تُمطر عليه فتسقي مكانا غير مكانه، كم مرّة نرى السّحب قد اسودّت ونظنّ أنّ المطر سينزل فتهبّ ريح فتفرّق السّحب فنسمع أنّ المطر نزل في مكانٍ بعيد .

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ لا يعلم ما في الأرحام إلا الله سبحانه و تعالى فإن قال قائل: اليوم يعلمون بالسونار و التصوير ما في الرّحم و أنّهُ الآن على كذَا و أنّهُ يكُون ذكرًا أو يكُون أنثَى نقول :علمُهم ناقص فإنّهُم لا يعلمُون ما في الرّحم ابتداءً جميع المختبرات لا تستطيع أن تعلم ما في الرّحم ابتداءً حتّى تُجري تحليلا فيدلّ على أنّ المرأة حامل لكن ما هُو الحمل وما مآلهُ؟ لا يعلمُون واللهُ سبحانه وتعالى يعلمُ ما في الأرحام وحتّى علمهُم بما في الأرحام فهو ناقص في ذاته والله علمهُ مُحيط سُبحانهُ وتعالَى فإنّهُم لا يعلمُون هل هذا الجنين سيستمرّ حيًّا في الرّحم أو يمُوت في الرّحم ؟ هل يخرُج بولادة طبيعية كما يقُولون أو يحتاج إلى عمليّة؟ لا يعلمُون.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ قد تظنّ لكن لا تعلم، الموظّف قد يقُول: أنا أعرف أنّي في آخر الشّهر سآخذ الرّاتب، هذا ظنّ ما الّذي يدريه أنّه سيعيش إلى أن يأخذ الرّاتب؟ وما الّذي يُدريه أنّ الرّاتب سينزل أصلًا؟ هذا ظنّ .

وكذلك ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، هل تمُوت بين المسلمين أو بين الكُفّار؟ ما تدري قد يظنّ الإنسان أنّه يموت في المدينة فيمُوت في أمريكا والعكس ، فهذه مفاتيحُ الغيبِ لا يعلمُها إلّا الله سبحانه وتعالى .

﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾، ما: من ألفاظ العمُوم يعني يعلمُ كلّ ما في البَرِّ, و البَرّ هنا هُو اليابس من الأرض والبحر هو الماء سواء كان مالحًا أو عذبا كُلّها تُسمّى بحرًا فيصحّ أن نقول: البحر الأحمر وماؤه مالح ويصحّ أن نقُول: بحر النّيل وماؤه حُلو فالله عزّ وجلّ يعلمُ كلّ ما في البر في الماضي والحاضر والمستقبل ويعلم كل ما في البَحر ، قطرات الماء وما في الماء في الماضي والحاضر والمستقبل وهذا يدلّ على سعةِ علمِ الله سُبحانه وتعالى. ثم قال الله ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ وقد فسّرنا هذا .

قال رحمة الله عليه: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١] .

اللهُ أكبر، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى﴾ وهذا يدلّ على العمُوم المطلق ، أنثى أيّ أنثى سواء من بني آدم أو من الحيوانات ، ما تحملُ إلّا بعلمه سُبحانهُ وتعالَى ولا تضعُ إلّا بعلمهِ سُبحانهُ وتعالى فهو يعلم ما في الأرحام قبل أن يكُون وعند أوّل كينُونته وعند تكونه ويعلم مصيره على وجهِ الحقيقَة و اليقين سبحانه وتعالى وكل هذا يدل على سعة علم ربنا سبحانه وتعالى.

قال رحمة الله عليه وقوله: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[الطلاق: ١٢] .

في هذه الآية أمران:

الأمر الأول: سَعة علم الله تعالى، وإحاطته بكل شيء، وقد تقدم الكلام عن ذلك قبل قليل.

والثاني: أن الله على كل شيء قدير، ففي ذلك اسم الله القدير، وصفة القدرة لله عز وجل وقد ورد اسم الله القدير في القرآن خمسًا وأربعين مرة، والقدير: فعيل من القدرة فهو التام القدرة الذي له القدرة الشاملة الكاملة فلا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب فهو سبحانه بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته

دبَّرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها، وبقدرته يوجد المعدوم ويعدم الموجود، وبقدرته يحيي ويميت، وبقدرته يبعث ويجازي وإذا أراد شيئًا يكون كما أراد لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى .

والأمور نوعان:

النوع الأول: الممكن فالله على كل ممكنٍ قديرٌ سبحانه فإن شاءه وقع، وإن لم يشأه لم يقع لا لعجزه عنه سبحانه وتعالى وإنما لعدم مشيئته لحكمة عظيمة كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[يونس ٩٩] إيمان من في الأرض جميعًا ممكن، ولو شاءه الله لوقع فالله قدير عليه.

والأمر الثاني: المحال لذاته الممتنع لذاته ككون الشيء موجودًا، ومعدومًا في نفس الوقت. وكوجود إله غير الله سبحانه وتعالى فهذا ليس بشيء أصلًا فلا يدخل في قول الله عز وجل: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الطلاق ١٢] لأنه ليس شيئًا أصلًا فلا يصح إراده في هذا الباب وأخطأ من قال: إن هناك مستثنيات من قول الله عز وجل: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الطلاق ١٢]، هذا خطأٌ محض لأن ما ذكروه من المستثنيات ليس بشيء أصلًا وليس بشيء أصلًا فتبقى الآية على عُمومِها، وكما ورد اسم القدير ورد اسم القادرُ، وقد ورد في القرآن ثلاثة عشرة مرة، والقادر: هو ذو القدرة الشّامِلَةِ الذي لا يتطرّق إليه عجزٌ، وهو المقَدِّرُ للأشياء، القادِر: هو ذو القُدْرَةِ الشّامِلة والمقَدِّر للأشياء، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات ٢٣]

وكذلك أيضًا ورد اسم المُقْتَدِر، وقد ورد في القرآن أَرْبَعَ مَرّات، والمقْتَدِر: هو ذو القُدْرَةِ التّامَةِ الشّامِلة، والمظْهِرُ قُدْرته.

فهذه الأسماء كُلُّها مُتَعلِّقة بالقُدْرةِ، لكِنَّ القادِر فيه مَزيد معنى مِن جِهَةِ أَنَّهُ المقَّدِر للأشياء، والمقْتَدِرْ فيه مَزيدُ معنى مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ المظْهِرُ قُدْرَتَهُ، وكُلُّها تَدُلُّ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ ذو القُدْرَةِ التّامة الشّاملة التي لا يَخْرُجُ عَنْها شيء.

قال رحمة الله عليه، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] .

في هذه الآية اسم اللّهِ الرَّزاق، وقد وَرَدَ في القُرْآنِ مُفردًا مرة، وورد بصيغةِ الجمع خمسَ مَرات، فهو سبحانهُ الذي بِيَدِهِ أَرْزاقُ العِبادِ المعْنَويَّةُ والحِسِّية، الحِسِّية: كالأقوات، والمعْنَويَّة: كالعِلْم والهُدى، والشَّهادة في

سبيله، والجِهاد في سبيله، والطّاعة.

فبِيَدِهِ أَرْزاق العِباد حِسّيّةً كانت، أو مَعْنَوية، كما قال الله عزّ وجل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود ٦] فَبِيَدِهِ سُبْحانَه أَرْزاقُ العِباد، يَبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء ويَقْدِر بِحِكْمة سبحانه وتعالى ، ويَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب. فعلى المؤمِن أَنْ يُدْرِكَ عظيم نِعْمةِ ربه عليه حَيْثُ رَزَقَه سُبْحانَهُ وتَعالى ، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء ٧٠] وعلى المؤمِن أَنْ يَجْعَلْ عِبادَتَهُ لله الذي رَزَقَهُ وَحدهُ سُبحانهُ وتعالى فلا يدعو غير الله ولا يعلق قلبه إلا بالله سبحانه وتعالى كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة ٢١-٢٢]، والرزاق كما تلحظون صيغة مبالغة تفيد التكثير، فهو الرزاق لكل شيء المفيض بالأرزاق الموسع على العباد الذي يرزق رزقا بعد رزق سبحانه تعالى فرزقه لا ينقطع عن عباده فهو رزاق سبحانه وتعالى، والرزق هو إعطاء ما ينفع، سواء كان حلالا أو حراما طيبا أو خبيثا، فالحلال نعمة والحرام استدراج واختبار، فالرزق ليس إعطاء الحلال وإنما الرزق إعطاء ما ينفع سواء كان حلالا أو حراما طيبا أو خبيثا كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف ٣٢]، إذن الرزق أعم من الطيبات، فالطيبات بعض الرزق، فالرزق قد يكون طيبا وقد يكون خبيثا فالله عز وجل يرزق عباده فيعطيهم ما ينفعهم، وهذا الرزق منه حلال نافع حقيقة ومنه حرام فيه نفع ينفع لكن ضره أعظم من نفعه، وإعطاء الحلال نعمة من الله وإعطاء الحرام استدراج واختبار من الله سبحانه وتعالى .

العقيدة علم عقيدة المؤمن التي يجب على كل مسلم أن يعتقدها من خلال شرح كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عز وجل هذه الرسالة التي ألفها شيخ الإسلام ليدل كل مسلم على أن عقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم هي الموافقة للنصوص لفظا ومعنى، وأن أهل السنة والجماعة لم يخرجوا عن النصوص قيد أنملة، فألفاظهم هي ألفاظ النصوص والمعاني التي يثبتونها هي معاني النصوص، وبدأ عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات من حيث الجملة

ومن حيث التفصيل، فبين لكل ذي لب منصف أن أهل السنة والجماعة يوافقون النصوص، فلم يخرجوا عن النصوص بشيء أبدا، وأنهم أثبتوا النصوص بألفاظها ومعانيها على ما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فلم يهجروا النصوص ولا شيئا منها، ولم يغيروا ألفاظها ولم يدفعوا معانيها، ولم يشبهوا ربهم بشيء من خلقه، وخبرهم عن الله عزوجل هو خبر ربهم عن نفسه، وخبر رسولهم صلى الله عليه وسلم عن ربه وخبر السلف الصالح رضوان الله عليهم عن ربهم سبحانه وتعالى.

ومن قرأ هذه الرسالة أيقن أن أهل السنة والجماعة لم يتطرق إلى عقيدتهم خلل وإنما تطرق الخلل إلى عقيدة مخالفيهم من جهتين :إما من جهة مخالفة المنقول، وإما من جهة الخلل في طريق المعقول.

أما مخالفة المنقول فمن جهة الاستدلال، حيث ردوا الاستدلال ببعض النصوص الصحيحة كردهم الاستدلال بخبر الواحد، ومن جهة دلالة الأدلة حيث لم يسلموا للنصوص من جهة ألفاظها ومعانيها، فاخترعوا ألفاظا لم ترد في الكتاب والسنة، واخترعوا معاني لم يردها الله عزوجل ولم يردها رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما من جهة الخلل في طريق المعقول، فإنهم شبهوا الخالق بالمخلوق فرأوا أنه يلزم من النصوص الواردة في الصفات لوازم فاسدة تلزم على فعل المخلوق، فجعلوها لازمة لفعل الخالق، ففروا من هذا بالتأويل وغفلوا عن شأن عظيم وأمر كبير وهو أن الله عز وجل ليس كمثله شيء وأن الله سبحانه على كل شيء قدير فاللوازم التي تلزم فعل المخلوق لا تلزم صفة الخالق سبحانه وتعالى وأن اشتراك المخلوق مع الخالق في الصفة إنما هو في أصلها أما في الخصائص فالله عز وجل ليس كمثله شيء ولازلنا نقرأ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما يبين أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي الموافقة من كل وجه للآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في عقيدته الواسطية: وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات ٥٨] .

نعم تقدم معنا أنه يصح أن نقول :وقوله فيكون المعنى وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات ٥٨] ويصح أن نقول وقوله فيكون المعنى

وقد دخل في هذه الجملة قوله سبحانه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات ٥٨]، وفي هذه الآية اسم الله الرزاق وقد ورد في القرآن مفردا هكذا الرزاق مرة في هذه الآية ،وورد بصيغة الجمع خمس مرات والله عز وجل هو الذي بيده أرزاق العباد والرزق كله من الله حسّا كان أو معنى, فالعلم رزق معنوي هو من الله عز وجل (ومن يرد الله به خيرا يفقه في الدين) والمال والمتاع من الأرزاق الحسية، وما من مخلوق إلا ورزقه على الله سبحانه وتعالى كما قال ربنا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود ٦], فبيده سبحانه أرزاق العباد يبسط الرزق لمن يشاء ويضيق الرزق على من يشاء, إن بسط فبحكمة وبفضله وإن ضيق فبحكمة وبعدله سبحانه وتعالى فالله لا يظلم الناس شيئا ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة ٢١٢] بحكمة وفضل، فالمؤمن يدرك عظيم نعم الله عز وجل عليه حيث رزقه الإيمان ورزقه العقل الذي يدرك به وكرمه على كثير ممن خلق ، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء ٧٠]، وإذا أدرك المؤمن أن الله هو الرزاق وأن غير الله لن يرزقه قطميرا وأن العباد إنما هم وسائل إن شاء الله سخرها فأعطوا العبد ما شاء الله أن يرزقه وإن شاء الله عطلها , إذا أدرك المؤمن هذا فإنه يجعل عبادته خالصة لله ويجعل تعلق قلبه خالصا لله عز وجل، كما قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة ٢١-٢٢], فأمر الله عز وجل العباد بعبادته وحده سبحانه وتعالى ثم ختم الآيتين بالنهي عن الشرك فبدأ بالأمر بالتوحيد وختم بالنهي عن الشرك ، وبين ما يقتضي التوحيد ويقضي على الشرك إذا اعتقده المؤمن، فالله عز وجل هو الذي خلق, الله هو الذي خلقك أيّها الإنسان، وهو الذي خلق غيرك، فكيف تعبد المخلوق وتترك الخالق؟ والله عز وجل هو الذي أمنك في دنياك فأمن لك المكان فبسط لك الأرض لتعيش فيها، وجعل السماء سقفا لك تؤمن الأرض ورزقك فأنزل من السماء ماءا لا تملك أن تنزله، بل لا يملك العباد جميعا لو اجتمعوا أن ينزلوه، وأخرج بهذا الماء ثمرات من باطن الأرض ما كان لك أن تخرجها إلا بإذن الله وأمر الله وكل هذا يجعل المؤمن يتمسك بالتوحيد ولا يفرط في شعرة منه ولا يصرف قليلا من العبادة إلى غير الله عز وجل، إذا اعتقد المؤمن أن الله هو الرزاق، وأنه ما من رزق حسي ولا معنوي إلا من الله عز وجل كيف يلجأ إلى أصحاب القبور، وكيف يدعو غير الله

سبحانه وتعالى؟ والله هو الذي أخبره وهو أصدق القائلين: أنه قريب فلا يحتاج إلى من يوصل إليه الدعاء ، مجيب فلا يحتاج إلى من يشفع للداعي ليقبل دعاؤه بل إذا أقبل العبد على ربه موحدا ولو كان متلبسا بكثير من الذنوب فإن الله عز وجل سميع مجيب, أما إذا أقبل على الله يدعوه بشرك متلبسا بالشرك فإن الله لا يسمع دعاءه ،ولا يجيب دعاءه، ولا يقبل منه دعاءه, فإذا علم العبد ذلك أخلص لله عز وجل .

وتلحظون أن الرزاق صفة مبالغة تدل على الكثرة، فالله عز وجل كثير الرزق للمخلوقات فكل مخلوق صغير أو كبير إنما يرزقه الله عز وجل، ورزق الله للعبد متتابع لا ينقطع أليس الهواء من رزق الله لنا؟ بلى، والله ولا ينقطع عنا لحظة ولو انقطع عنا لحظة لهلكنا جميعا، وهكذا كل رزق فالله عز وجل هو الرزاق المفيض بالرزق رزقا بعد رزق المكثر من الرزق .

والرزق : حقيقته إعطاء ما ينفع سواء كان حلالا أو حراما ولكن الحلال هو النافع حقيقة والحرام قد ينفع بذاته ولكن مآله العقاب، الرزق الحلال نعمة والرزق الحرام قد يكون فيه الإبقاء وهو استدراج كرزق الكفار والله عز وجل قال: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف ٣٢] والطيبات هي الحلال, هل هي كل الرزق ؟

الجواب: لا، لأن الله قال: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف ٣٢], إذا الحرام يكون من الرزق إذا كان نافعا بذاته ولكنه يكون للإبقاء والاستدراج ،فهذا ما يتعلق باسم عز وجل الرزاق .

﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾: أي صاحب القوة الذي لا يلحقه ضعف ولم يسبق قوته ضعف ، كل قوة غير قوة الله عز وجل يسبقها ضعف ويلحقها ضعف ويعتريها ضعف, كل قوي دون الله يسبق قوته ضعف ،ويعتري قوته أثنائها ضعف ،ويلحق قوته ضعف ،أما الله عز وجل فهو ذو القوة الكاملة التي لم يسبقها ضعف ،ولا يعتريها ضعف ،ولا يلحقها ضعف .

واسم الله القوي ورد في القرآن مرتين بأل، وورد منونا سبع مرات ورد منونا سبع مرات، فالله سبحانه وتعالى قوي لا يغلب غالب ولا يرد قضاءه رادّ ولا يفوته شيء سبحانه وتعالى، فهو ذو القوة صاحب القوة المطلقة .

والقوة والقدرة متقاربان غير أن بينهما فرقا :

فالقدرة يقابلها العجز، يقول إنسان مثلا: أنا قادر على حمل هذه الصخرة ويقول آخر: أنا عاجز عن حمل هذه الصخرة.

أما القوة فيقابلها الضعف، فعدم القوة ضعف.

قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله عز وجل : والفرق بينهما، يعني ذكر فرقا آخر، أن القدرة يوصف بها ذو الشعور، والقوة يوصف بها ذو الشعور وغيره.

وثانيا : أن القوة أخف فكل قوي من ذوي الشعور قادر ونقول هذا من كلام الشيخ: الحديد قوي ولا نقول الحديد قادر.

نقول: الحديد قوي، هذا الحديد قوي لكنا لا نقول : هذا الحديد قادر، فهذا معنى قولي في أول الكلام : القدرة يوصف بها ذو الشعور أما القوة يوصف بها ذو الشعور وغيره، فالحديد لما لم يكن ذو شعور فإنه يوصف بالقوة لكنه لا يوصف بالقدرة، فهذا ما يتعلق بقول الله عز وجل: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ﴾ [الذاريات ٥٨] وتلحق إذا قرأت القرآن أن اسم الله القوي في الغالب الكثير يقترن باسم الله العزيز فقوة الله كاملة مع عزة فسبحانه له الكمال المطلق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات ٥٨] ففي الآية اسم الله المتين و لم يرد إلا هنا، لم يرد إلا في هذه الآية والمتين هو الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته ولا تلحقه مشقة أبدا فلا يعنته شيء ولا يعجزه شيء، فالمتانة تدل على شدة القوة والتناهي فيها وتحصيل مقصودها.

المتانة تدل على شدة القوة والتناهي فيها والكمال فيها بحيث لا تنقطعُ أبدًا، ولا تلحقُها مشقة، فلا تلحقُ الله عز وجل سبحانه مشقة ولا عنت، وتحصيل مقصودها، تدل على تحصيل مقصود القوة، لأن مقصود القوة أن يُحصَّل بها المقصود، فالله عزَّ وجل لا يفوتُه شيء سبحانه، ولا يُعجزه شيء، سبحانه وتعالى بل هو على كل شيءٍ قدير.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] .

أورد الشيخ هاتين الآيتين، اللتين فيهما إثبات اسم الله عز وجل السميع، واسم الله عز وجل البصير الآية الأولى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقد مرت بنا هذه الآية عندما تكلمنا عن عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات من حيث الجملة وقلنا: إنها ميزان العقيدة الصحيحة، أن تثبت الأسماء والصفات من غير تشبيهٍ، ولا تمثيل، فالله عز وجل ليس كمثله شيء، لكن مراد الشيخ من ذكرها هنا، هو آخرها، وهو إثبات هذين الاسمين، وكذلك في الآية الثانية، واسم ربنا ﴿السَّمِيعُ﴾ قد ورد في القرآن معرَّفًا ب (أل) تسع عشرة مرة، وورد منونًا كما في الآية الثانية : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] ثلاث مرات، وورد بمختلف اشتقاقاته نحوًا من خمسين مرة، والسميعُ فيه إثبات السمع لربنا سبحانه وتعالى .

والسمعُ المثبت لربنا نوعان:

النوع الأول: سمعٌ عام يشمل جميع المسموعات، فالله سبحانه وتعالى يسمعُ كل صوتٍ، ويسمعُ كل حرفٍ سبحانه وتعالى، فسمعه شاملٌ لجميع المسموعات، تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: (الحمد لله الذي وسِع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادِلة تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جانب الحُجرة)، ولم تكن حجرة النبي صلى الله عليه وسلم واسعة بل كانت حُجر النبي صلى الله عليه وسلم ضيقة ليست واسعة، وأمنا عائشة رضي الله عنها في طرف هذه الحجرة ليست خارجها، ولا بعيدة عنها، تقول: وأنا في جانب الحجرة، يخفى عليَّ بعضُ كلامها، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾، وهذا رواه البخاري في الصحيح معلَّقًا، حيثُ قال: قال الأعمش، ثم ذكر إسناده وذكره، ورواه ابن ماجه والنَّسائي موصولًا، وصحَّحه الألباني.

فالله عزَّ وجل وسِع سمعُه الأصوات كلها، خفِيِّها، وجليِّها، لا يختلط عليه كلامٌ بكلام، ولا تغيب عنه لغة، ولا يختلطُ عليه حرفٌ بحرف، ولو اجتمع الناس كلهم في صعيدٍ واحد يدعون الله عز وجل كلٌ

بلسانه لسمِع الله عزَّ وجل حرف كل سائلٍ، ولم يختلط عليه حرفٌ بحرف، ولا صوتٌ بصوت سبحانه وتعالى .

والنوع الثاني: سمعٌ خاص وهو نوعان، إن شئت قل: وهو قسمان، حتى لا تختلط عليك:

القسم الأول: سمعُ الإجابة والقبول، أن يسمع الله لعبده سماع إجابةٍ لدعائه، وقبولٍ لدعائه، وهذا سمعٌ خاص، فإن أُثبت فإنه سمعٌ للصوت والإجابة، وإن نُفي فهو نفيٌ للإجابة لا لسماع الصوت، عندما نقول يا إخوة: سمِع الله لمن حمده، في الصلاة كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، فهذا معناه : سماع صوت من حمده، وإجابته له، وعندما قال النبي صلى الله عليه وسلم في استعاذته من أربع في بعض روايات الحديث: (ومن دعاء لا يُسمع)، وفي بعض الروايات : (ومن دعوةٍ لا يستجاب لها)، (ومن دعاءٍ لا يُسمع) فنُفي هذا السمع هنا، ليس معناه نفي سماع الصوت، فالله كما قدَّمنا في النوع الأول: وسِع سمعه الأصوات كلها، فالله يسمع دعاء من يجيب دعاءه، ومن لا يجيب دعاءه من جهة الصوت، فإذا نُفي كما في هذا الحديث فمعناه: أنه لا يستجاب له، واضح يا إخوة؟ هذا النوع إذا أُثبت: فمعناه سماع الصوت والإجابة، فإذا نُفي فمعناه سماع الصوت ونفي الإجابة، فإذا قلنا: الله لا يسمع دعاء الكافر على المؤمن، فليس معناه أن الله لا يسمع صوت الكافر، ولكن معناه : أن الله عزوجل لا يُجيب دعاءه، وهذا النوع جاء في قول الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام

قال: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم ٣٩] يسمعه صوتا ويجيب الداعي وقوله إنك سميع قريب، أيضا قول زكريا عليه السلام في دعائه ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران ٣٨]، الله عز وجل يسمع الأصوات كلها في الدعاء وغير الدعاء فلماذا خص الأنبياء هنا الدعاء ؟ لمزيد معنى وهو السمع خاص وهو سمع الإجابة، والقسم الثاني من السمع الخاص :سمع النصر والتأييد والإعانة كما قال الله عز وجل لموسى وهارون ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه ٤٦] فهذا السمع، سمع تأييد ونصر وإعانة وتقوية لهما على عدوهما.

وأما البصير فاسم الله عز وجل البصير قد ورد في القرآن معرفا البصير أربع مرات، وورد منونا كما في الآية الثانية عشر مرات، وورد في مختلف الاشتقاقات نحو اثنتين و أربعين مرة، فهو البصير سبحانه الذي كمل في بصره وأحاط بصره بجميع المبصرات فهو سبحانه يدرك الأبصار ويرى الخفي مهما خفي ويرى

الظاهر فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فالنملة السوداء التي تكون على صخرة صماء في ليلة ظلماء لا يراها من بجوارها لكن الله البصير يراها سبحانه وتعالى بل يرى أصغر عضو فيها سبحانه وتعالى ويرى الذرة وأصغر منها سبحانه وتعالى، ويأتي البصير بمعنى البصير بأعمال عباده العالم بها كما قال الله عز وجل ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة ٢٦٥] لا يغيب عنه منها شيء، وكما قال الله عز وجل: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء ١٧] سبحانه وتعالى، والسمع والبصر كما قلنا السمع إدراك المسموعات والبصر إدراك المبصرات وليس السمع بمعنى العلم وليس البصر بمعنى العلم، فإن المؤولة أولوا السمع قالوا : سميع بمعنى عليم، وبصير بمعنى عليم، وهذا مردود نقلاً وعقلاً.

أما النقل فإن الله عز وجل قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف ٢٠٠] فدل هذا على أن السمع غير العلم، فالله سميع، والله عليم سبحانه وتعالى، والآيات في هذا كثيرة.

وأما المعقول: فإن كل عاقل يدرك أن إدراك المعلومات غير إدراك المسموعات والمبصرات، فالأعمى قد يكون عالما من كبار العلماء، لكنه لا يرى المبصرات، وهذا كثير، الشيخ ابن باز رحمه الله الذي ملأ الدنيا علمًا كفيف أعمى، ما يرى المبصرات، لكنه أعلم أهل زمانه رحمه الله فيما نعلم، وقد يكون الإنسان لا يسمع ولكنه يعلم، فكل عاقل يدرك أن إدراك المسموعات وإدراك المبصرات غير إدراك المعلومات.

فهذا التأويل باطل يرده النقل ويرده العقل، بل ربنا سبحانه وتعالى سميع، وربنا سبحانه وتعالى بصير، وربنا سبحانه وتعالى عليم، فنثبت لله عز وجل اسم السميع وصفة السمع حقيقة، ونحقق الصفة، ونثبت لربنا سبحانه وتعالى اسم البصير وصفة البصر حقيقة ونحقق الصفة، ونثبت لربنا سبحانه وتعالى اسم العليم، وصفة العلم حقيقة ونحقق الصفة.

هذا ما يكفي المؤمن من مباحث السميع البصير، وهناك مباحث تطرح لا يحتاجها المسلم في تحقيق عقيدته في هذا الباب، ونحن على طريقتنا في تحقيق المراد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح الكتاب لا نفرع ونخرج عن حد المراد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١] .

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

نعم هذه الآيات العظيمات أوردها شيخ الإسلام رحمه الله عز وجل وهي في إثبات صفة المشيئة والإرادة وقد ذكرهما الشيخ معا لأن المشيئة نوع من الإرادة , والإرادة نوعان والمشيئة أحد هذين النوعين فالإرادة أعم من المشيئة كما سيتبين لنا إن شاء الله عز وجل وبدأ المصنف رحمه الله عزوجل هذه الآيات بقوله؛ وقولِه أو وقولُه كما تقدم توجيهه فيما مضى

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] في هذه الآية إثبات المشيئة لله عز وجل, والمشيئة صفة فعلية وهي أن ما شاء الله كونه كان فما علم الله عز وجل أنه يكون فإنه شاءه فكان وقد تقدم معنا في كتاب التوحيد وسيأتي إن شاء الله في هذا الكتاب عند الكلام عن القدر أن المشيئة مرتبة من مراتب القدر, والمشيئة هي الإرادة الكونية القدرية فهي مرادفة ومساوية للإرادة الكونية القدرية وهذه المشيئة من ربنا سبحانه وتعالى متعلقة بالكائنات الموجودات وجودا وبالمعدومات عدماً، فما شاء الله عزوجل كان ولابد وما لم يشأ لم يكن ولابد فما لم يقع ولم يوجد ولم يكن إنما كان لأن الله عز وجل لم يشأه، لا لأن الله غير قادر عليه بل الله عز وجل على كل شيء قدير على ما وقع وعلى ما لم يقع، لكن الذي لم يقع لم يقع لأن الله عز وجل لم يشأه سبحانه وتعالى، فالملك الجبار القوي

سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ٢٠] ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم فإنه لو شاءه لكان لكنه لم يكن لأنه لم يشأه والله عزوجل على كل شيء قدير، على ما شاءه وعلى ما لم يشأه سبحانه وتعالى، فعلى المؤمن أن يعلم يقينا أن الذي لم يقع، إنما لم يقع لكون ربنا سبحانه وتعالى لم يشأ وقوعه.

طيب هنا سؤال: هل يصح أن يقول العبد إن الله على ما يشاء قدير؟

نقول: من حيث الأصل إن كان مراده أن الله قدير على ما شاءه من دون حصرٍ للقدرة في هذا فالكلام صحيح،. كما يقول الإنسان إن الله على إحياء الموتى قدير، إن الله على رزق العباد قدير فهذا لا يريد حصر القدرة في هذا، فالمعنى صحيح، أما إذا كان يريد حصر قدرة الله عزوجل في ما شاءه وأن الذي لم يقع لا يقدر الله عليه فهذا باطل ومردود على صاحبه ومن أجل التردد بين هذين المعنيين فإن الأولى أن يعبر الإنسان في دعائه وفي غير ذلك بما ورد في النصوص فيقول : إن الله على كل شيءٍ قدير، ،بل ذهب بعض علمائنا إلى منع أن يقول العبد إن الله على ما يشاء قدير من أجل هذا الاحتمال لكن من حيث النظر العلمي فالأمر على ما ذكرنا إذا كان مراد العبد أن الله قدير على ما كان كما أنه قدير على ما لم يكن لكنه في الدعاء أراد أن الكائن فقال إن ربي على ما يشاء قدير فهذا ليس ممنوعا ولكن الأحسن منه والأكمل منه أن يقول : إن الله على كل شيء قدير فإنه يشمل ما كان وما لم يكن، في هذه الآية الأولى يقول ربنا سبحانه وتعالى في مقولة المؤمن لصاحب الجنتين اللتين فيهما من الثمار أنواع كثيرة فأغتر بهما صاحبهما وكفر بنعمة الله عزوجل فقال له صاحبه : ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾: أي دخلت بستانك العظيم وهما جنتان، أي هلّا قلت عند دخولك جنتك وإعجابك بما فيها ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي ما شاء الله كان، ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: أي لا قوة لي إلا بعون الله وقوة الله وقد تقدم معنا أن الله قوي متين فلا أستطيع ايجاد هذا المال ولا حفظه ولا دفع الشر عنه إلا بإذن الله وإعانة الله وقوة الله سبحانه وتعالى، فدل ذلك على إثبات المشيئة لله عز وجل .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]: أي لو شاء الله عز وجل ما اقتتل اتباع الرسل بعد أن جاءهم الرسل بالبينات وما اختلفوا ولكن الله عزوجل لم يشأ ذلك فلو شاء أن يحجزهم عن الاقتتال ما اقتتلوا أبداً لأن ما شاء الله كان ولكن الله يفعل ما يريد سبحانه وتعالى.

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله عزوجل : ولو شاء الله بعد هذا الإختلاف ما اقتتلوا فدل ذلك على أن مشيئة الله نافذة غالبة للأسباب وإنما تنفع الأسباب مع عدم معارضة المشيئة فإذا وجدت اضمحل كل سبب وزال كل موجب ولهذا قال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فإرادته غالبه و مشيئته نافذة، المؤمن إذا قرأ هذه الآية يؤمن بأن الأمر كله لله قبل فعل الأسباب وعند فعل الأسباب وبعد فعل الأسباب فهو يفعل الأسباب ويعلق قلبه بالله عزوجل فإن الله إذا شاء رتب على السبب أثره و إذا شاء عطل السبب وأثره وإذا شاء عطل أثر السبب مع وجوده فالله سبحانه وتعالى مشيئته غالبة وإرادته نافذه فدل هذا على ما قررناه .

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾: أي جنس بهيمة الأنعام على الراجح من أقوال المفسرين فهي حلال إلا ما يتلى عليكم من ميّتها ونحو ذلك غير محلي الصيد وأنتم حرم فالصيد صيد البر حرام على المحرم إن الله يحكم ما يريد، إن الله يحكم ما يريد والإرادة هنا كونية قدرية تشمل يعني ما أراده شرعاً فوقع وما أراده فعلا سبحانه وتعالى فالله يحكم ما يريد .

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وهنا إثبات الإرادة لله عز وجل فمن يرد الله قدراً بفضله أن يهديه يشرح صدره للإسلام فينشرح صدره للإسلام وينشرح صدر المسلم للحق، فإذا أرد الله عزوجل كوناً وقدراً هداية عبدٍ رأيت صدره منشرحاً لدين الله عز وجل ورأيت صدره منشرحا للحق في دين الله عزوجل لأنه الحق الذي أراده الله عز وجل شرعاً , و من يرد أن يضله بعدله، من يرد أن يضله قدراً بعدله يجعل صدره ضيقاً لا يقبل الإسلام ويضيق عن الحق فإذا جلس مجلساً فسمع أهل الحق يتكلمون بالحق بقال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم انقبض قليه وضاق صدره ولم يطق أن يجلس ولم يطق أن يسمع وإذا

سمع شيخاً يتكلم في الإذاعة بالحق وما جاءت به النصوص انقبض صدره و اغلق المذيا ع، هذا أراد الله عزوجل قدراً بعدله أن يضله عن الحق وهذه هي الإرادة الكونية القدرية وقد دلت الأدلة على أن ربنا سبحانه وتعالى له إرادتان:

الأولى منهما الإرادة الكونية القدرية : وهي المرادفة للمشيئة كما تقدم معنا وهي شاملة لجميع الحوادث فما أراده الله عزوجل كان ولابد من وقوعه كما قال الله عزوجل : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس ٨٢] فإذا أراد الله عز وجل قدراً شيئا فإنه يقول له: كن فيكون فما أراده الله عز وجل قدراً فإنه لابد من وقوعه ولا يخرج عن هذه الإرادة شيء.

والنوع الثاني إرادةٌ شرعيةٌ دينيةٌ أمرية :وهي مرادفة للمحبة وتستلزم المحبة والرضا مثلا قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥] هذه الإرادة شرعية أمرية أي أن الله يريد بعباده شرعاً في شرعه اليسر ولا يريد بهم العسر فذلك قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء ٢٨] وقول الله عزوجل في الآية التي معنا ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام ١٢٥] هذه إرادة كونية قدرية وهاتان الإرادتان قد تجتمعان معاً وقد ترتفعان معاً وقد تنفرد الإرادة الكونية وقد تنفرد الإرادة الشرعية فتجتمعان معاً في الطاعات الواقعة، مجلسنا هذا أراده الله عز وجل كوناً والدليل على أن الله أراده كوناً أنه وقع، ما دام أنه وقع فإن نجزم أنه يقيناً أن الله أراده كوناً وأراده شرعاً لأن الله عز وجل أمرنا أن نطلب العلم وحثنا على طلب العلم بآيات كثيرة وأحاديث كثيرة فاجتمعت الإرادتان الكونية والشرعية، وترتفعان معاً في المعاصي غير الواقعة، هنا لم يرد الله عز وجل المعصية شرعاً لأنه ينهى عنها ولم يردها قدراً لأنها لم تقع لأنها لما تقع، يعني الآن ونحن جلوس بحمد لله لا نغتاب أحداً، فالغيبة لم تقع منا في مجلسنا هذا فهنا الغيبة لم يردها الله قدراً منا الآن بدليل عدم وقوعها ولم يردها منا شرعا لأن الله عز وجل نهانا عنها فارتفعت الإرادتان الكونية القدرية والأمرية الشرعية و تنفرد الإرادة القدرية الكونية في المعاصي الواقعة، في المعاصي الواقعة، الكذاب حين يكذب، الكذاب حين يكذب أراد الله قدراً أن يكذب أراد الله قدراً أن يكذب ولم يرد منه شرعاً أن يكذب بل نهاه عن الكذب وتنفرد الإرادة الشرعية في الطاعات غير الواقعة الطاعة أرادها الله عز وجل شرعاً لكن إذا لم تقع من المكلف فإنه لم يردها كوناً وقدراً، مثلا: بر الوالدين أراده الله عز وجل

شرعاً من الابن العاق أراده الله شرعاً من الابن العاق لكنه لم يرده قدراً منه ولذلك لم يبر والديه فالطاعات غير الواقعة فيها الإرادة الشرعية وليست فيها الإرادة الكونية القدرية.

والإرادتان لربنا سبحانه وتعالى بينهما فروق تعلم مما تقدم منها : أن الإرادة القدرية مرادفة للمشيئة كما تقدم معنا فالذي يساوي الإرادة الكونية القدرية هو المشيئة , أما الإرادة الأمرية الشرعية فهي مرادفة للمحبة والرضى فالله عزوجل يريد قدراً ما يحب وما لا يحب ولا يريد شرعاً إلا ما يحب .

طيب، يأتي أحدكم فيستشكل علي ويقول يا شيخ: الله عزوجل أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه إسماعيل وهذه إرادة شرعية أمرية, فهل الله كان يحب ذبح إسماعيل ؟ واضح ؟ لأن نقول الإرادة الأمرية ترادفها المحبة نقول: هذا عند أهل العلم يسمى بأمر الابتلاء والمراد منه الامتثال لا الفعل فحسنه في امتثال العبد له فالله أراد شرعا من إبراهيم عليه السلام أن يمتثل ولذلك لما امتثل إبراهيم لم يذبح إسماعيل بل فداه الله عزوجل بذبح عظيم, إذن انتبهوا هنا الله في أمر الابتلاء إنما أراد الامتثال من عبده ونبيه وخليله إبراهيم عليه السلام وأحب من نبيه أن يمتثل ومن نبيه إسماعيل أن يمتثل فلما امتثلا حصل المراد الشرعي ولم يقع الفعل.

أيضا من الفرق بين الإرادتين أن ما أراده الله عز وجل كونا وقدرا لابد من وقوعه واقع ولابد أما ما أراده الله عز وجل شرعا فقد يقع وقد لا يقع انتبهوا يا إخوة ما أراده الله عز وجل بنا شرعا فإنه واقع ولابد وما أراده منا شرعا قد يقع وقد لا يقع, ما أراده الله عز وجل بنا شرعا فإنه يقع ولابد ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥] والله العظيم قد وقع اليسر في شرع الله عز وجل بنا فشرع الله كله يسر, أما ما أراده الله منا شرعا فقد يقع وقد لا يقع, الله أراد من الأولاد البر بآبائهم و أمهاتهم شرعا لكن هل كل الأولاد يبرون آباءهم وأمهاتهم ؟

الجواب : لا، منهم من يبر والديه ومنهم من يعق والديه الله أراد شرعا من جميع الجن والإنس أن يؤمنوا أليس كذلك؟ هل آمن جميع الجن والإنس؟ لا, منهم من آمن ومنهم من كفر وهكذا فما أراده الله شرعا من عباده قد يقع وقد لا يقع.

أيضا من الفروق و هذا انتبهوا له وهو مهم ومفيد أن المراد شرعا مراد لذاته وأن المراد كونا وقدرا قد يكون مرادا لذاته وقد يكون مرادا لغيره يا إخوة كل ما أراده الله كونا أو شرعا ففيه حكمة ومصالح كل ما أراده الله كونا أو شرعا ففيه حكم عظيمة و مصالح كريمة لكن ما أراده الله شرعا فمصلحته في ذاته الله أراد منا أن نصلي فالصلاة مرادة لذاتها وفيها ثلاث حكم كلية:

الحكمة الأولى: أن الله يحبها وإذا علمت يا مؤمن أن الله يحب الصلاة كيف لا تحب الصلاة ؟ كيف لا تحب الصلاة محبة عظيمة؟ والله عز وجل أمرنا بصلاة الجماعة فهو يحبها وإذا علم الرجل أن الله سبحانه الذي خلقه و رباه بالنعم يحب صلاة الجماعة كيف لا يصلي مع الجماعة؟ كيف يجلس في بيته مع امرأته وبناته ويترك صلاة الجماعة فهذه الحكمة الكلية الأولى.

والحكمة الكلية الثانية : أن من فعل المأمور به عبد الله تحقيق عبودية العبد لربه فلو جاءنا رجل وقال: أنتم تقولون يجب على الرجل أن يعفي لحيته، نقول: لا ما نقول هذا الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نحبه جميعا قال: (اعفوا اللحى) فأمرنا بإعفاء اللحية قال: ما الحكمة ؟ أنا ما امتثل حتى أعرف الحكمة قلنا : الحكمة أن الله يحب أن تعفي لحيتك المؤمن إذا سمع هذا ينشرح صدره كيف ما ينشرح وقد علم أن الله يحب هذا؟ نزيدك؟ نقول :الحكمة أن تحقق عبوديتك لله أن تثبت أنك عبد لله إرادة وامتثالا أنت عبد لله شئت أم أبيت، لكن من باب العبودية الإرادية التي فيها الامتثال أن تثبت حقا أنك عبد الله , المسلم لو قلت له: أنت لست عبد الله يغضب يقول: أنا عبد الله أنا عبد لله, إثبات العبودية ألا تختار من أمر الله بل ما تستطيعه من أمر الله تفعله وكل أمر واجب فأنت مستطيع له إلا أن يعرض لك عارض يضعفك.

والحكمة الكلية الثالثة: أن فيها المصالح العاجلة والآجلة، نعم كل ما أراده الله شرعا لك فيه مصالح في دنياك ولك فيه مصالح في أخراك وهي كثيرة منها ما علمناه ومنها ما لم نعلمه لكنا نتيقن وجوده منها طمأنينة القلب وهو ما يسمى بالسعادة, السعادة في العبادة لأنك إذا عبدت الله وامتثلت ما أراده الله شرعا اطمأن قلبك ولابد وإذا لم يطمئن قلبك فهناك خلل في عبادتك إما في الإخلاص وإما في الاتباع فراجع نفسك والمصالح في العاجلة في الدنيا كثيرة وفي الآجلة أعظم و أكرم في الآخرة .

إذن ما أراده الله شرعا فهو مراد لذاته أما ما أراده الله كونا وقدرا فقد يكون مرادا لذاته وذلك فيما أراده شرعا , ما أراده شرعا ووقع فإنه مراد لذاته ما يحبه الله مما أراده كونا وقلنا إنما أراده كون مصلحته ومرادٌ لذاته، مصلحته في ذاته, وما لم يكن من الطاعات ما لم يكن مما يحبه الله لما أراده كونًا فإنه مرادٌ لغيره، انتبهوا يا إخوة، صدق الصادق أراده الله كوناً أم لم يرده ؟

أراده الله كونا، وهو مرادٌ لذاته فالحكم والمصالح متعلقة بذاته, كذب الكذاب أراده الله كونًا؟ نعم أراده الله كوناً, هل في مصلحة وحكمة ولكن لغيره وليس لذاته فالمراد القدري المراد منه لغيره, من ذلك مثلا أن يتميز الخير من الشر وكما تعرفون يقولون: وبضدها تتميزُ الأشياء, إذا رأى المؤمن الكذب وقبح الكذب، عرف الصدق وحسن الصدق. ومنها أن يتميز الأخيار من الأشرار فالخيِّر يبتعد عن الشر والشرير طبعه الشر، ويدور مع الشر .

ومنها ابتلاء العباد ليتميز الصادق من الكاذب, كل يقول :أنا أطيع الله، لكن إذا جاء الأمر يُبتلى العبد فيتميز الصادق من الكاذب لولا وجود المعصية ما تميز هذا من هذا .

ومنها التوبة من الذنب فإن الله يحب التوبة ويحب التواب .

إذا فهمت هذا ينحل عندك إشكال يقع في نفوس بعض ما لا علم عندهم يقول: كيف يريد الله المعاصي؟ كونًا وقدرًا؟ نقول: يريدها كوناً وقدرًا لأمر في غيرها وهذا فرق يعني عظيم.

وأهل السنة والجماعة أثبتوا هذه الإرادة لله عز وجل على ما ورد في النصوص بهذين النوعين المذكورين وخالفهم في ذلك طوائف من أهل البدع .

قال رحمه الله تعالى :

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] .

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧] .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤] .

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] .

هذه الآيات في إثبات المحبة لله عزوجل ، فالذي دلت عليه الأدلة أن ربنا سبحانه وتعالى يحِب ويحَب . والمحبة صفة فعلية اختيارية لربنا سبحانه وتعالى, وأهل السنة والجماعة يثبتون هذا على ما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى ,فالله سبحانه يحب نفسه وصفاته وآثار صفاته, كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله وتر يحب الوتر) متفق عليه. وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم إنك عفوا تحب العفو فاعف عني) رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني .

والله عزوجل يحب ما شاء فهو يحب من شاء من عباده فيحب المحسنين، ويحب المقسطين العادلين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب المجاهدين الصادقين, إذا أحب عبدا دعا جبريل عليه السلام فقال : إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض.

كما ثبت ذلك في الحديث عند الشيخين.

والله عزوجل يحب أعمالا، يحب أشخاصا، يحب أعمالا فالله يحب الإحسان, لأن الله يحب المحسنين لإحسانهم, فعلة المحبة هي الإحسان ,أو سبب المحبة هو الإحسان, والله يحب العدل, والله يحب التقوى, والله يحب التوبة, والله يحب التطهر, فالله عزوجل يحب أعمالا، الله عزوجل يحب أقوالا كقول النبي صلى الله عليه وسلم : (أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيّها بدأت). رواه مسلم في الصحيح, فدل هذا على أنه يحب كلاما وأن أحب الكلام إليه سبحانه هذه الأربع .

والله يحب أماكن كما في الحديث: (أحب البلاد إلى الله مساجدها). والحديث عند مسلم في الصحيح .

ومحبة الله عزوجل تتفاوت كما في الحديث الذي تقدم معنا قبل قليل :

أحب الكلام إلى الله أربع, أحب صيغة تفضيل تقتضي مزيد محبة وكما في قول النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال: (وما تقرب عبدي إلى بشيء أحب إلي مما افترضته عليه).

الله عز وجل يحب أن تتقرب إليه بالمستحبات، يحب أن تتنفل لكن تقربك بالفرض أحب، ومن هنا قال العلماء: الفرض يقدم على النفل، فإذا تعارض الفرض والنفل قدم الفرض، لأنه أحب إلى الله عز وجل، والحديث عند البخاري في الصحيح, كذلك ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن أحب الأعمال إلى الله ما دوم عليه) والحديث عند مسلم.

فالله يحب الأعمال الصالحة كلها، لكن ما داوم عليه صاحبه، فإنه أحب إلى الله، يعني: لو كنت تعمل عملين، تواظب على أحدهما، وتفعل أحدهما حينا وتتركه، كلاهما محبوب إلى الله، لكن الذي تداوم عليه أحب إلى الله سبحانه وتعالى.

كذلك أيضا ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام العشر) رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني. فدل ذلك على أن محبة الله عز وجل تتفاوت.

﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة ١٩٥] هذا يشمل الإحسان كله، الإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى خلق الله, الله يحب المحسنين، الذين يحسنون في عبادتهم، فيعبد أحدهم ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه يعلم ويعتقد أن الله يراه , يعبد الله كأنه يرى الله، فإن قصر عن هذه المرتبة عن الإحسان عبد الله وهو يعلم ويعتقد ويوقن أن الله يراه، فيؤثر هذا في عمله، وكذلك الإحسان إلى خلق الله من الإنس وغيرهم: الإحسان إلى الوالدين, الإحسان إلى الأقارب, الإحسان إلى طلاب العلم, الإحسان إلى الذبيحة عند ذبحها, الإحسان إلى البهيمة عند عطشها كله يدخل في هذا، إذا أردت أن يحبك الله فأحسن عبادتك لله، وأحسن إلى خلق الله.

﴿ وَأَقۡسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات ٩] يعني اعدلوا، إن الله يحب العادلين، وهذا يشمل كل عدل، والعدل فرض لازم من كل أحد لكل أحد، إذا أحببت فاعدل لا يجعلنك حبك تميل إلى من تحب فتحكم له مثلا، إذا أبغضت أحدا فاعدل لا يجعلنك بغضك لإنسان تظلمه، وهكذا.

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧] .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

أي: أن الله يحب المتطهرين معنا وحسا, فالمتطهرون معنا هم التوابون، يتطهرون من قذر الذنوب, والمتطهرون حسا: هم المتوضئون والمغتسلون عند وجود سبب الغسل الشرعي.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]، في هذا إثبات أن الله يحب من عباده، قل إن كنتم تحبون الله وأن الله يحب من شاء من عباده يحببكم الله.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة: ٥٤]، ولازم محبتهم لله، ثلاث أمور: تتحقق بهم محبتهم لله وتحصل بها محبة الله لهم، انتبهوا عليها واحرصوا أن تكونوا من أهلها.

أما الأمر الأول: فهو اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم, كلما كنت أحرص على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، دل ذلك على حبك الله سبحانه وتعالى، وحصلت به حب الله سبحانه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]

والأمر الثاني: التقرب إلى الله عز وجل بالطاعات, (وما تقرب عبدي إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).

والثالث: ذكر الله, فمن أحب أكثر الذكر، من أكثر الذكر كان ذكر الله على قلبه أبرد من الماء البارد على العطش، وألذ وأحلى من العسل واللبن لأنه يحب الله، فيأنس بذكر من يحب.

هذه الأمور الثلاثة لوازم محبة العبد لله، وتجلب للعبد محبة الله، فيحصل بها محبة الله سبحانه وتعالى.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤]، فالله يحب المجاهدين الصادقين الثابتين عند لقاء العدو.

عندي في نسختي، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج ١٤]

فالودود: اسم من أسماء الله عز وجل، والمودة هي: صفو المحبة. عندنا المحبة وعندنا الوُد أو المودة وعندنا الخلة كلها محبة لكن الود صفة المحبة, صفة المحبة هو الود، والخلة أعلى المحبة ومحمد صلى الله عليه وسلم وأبوه إبراهيم عليه السلام لهما من الله المحبة والود والخلة لهما من الله المحبة والود الذي هو صفة المحبة، والخلة التي هي أعلى المحبة (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا).

فالله عز وجل ودود يود عباده المؤمنين ويوده عباده المؤمنون فالمؤمنون يحبون الله عز وجل أصفى محبة فأصفى محبتهم هي محبتهم لربهم لا تدانيها في قلوبهم محبة أبدا ﴿ وَالَّذِينَ آمَنوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة ١٦٥] سبحانه وتعالى والله عز وجل ودود يحب عباده المؤمنين ويودهم سبحانه وتعالى وتلحظ هنا أيها المبارك أن الله قرن اسم الودود بالغفور وسيأتي إن شاء الله الكلام عن الغفور في موطنه لكن الذي أريد أن أنبه عليه هنا السر اللطيف الذي نبه عليه أهل العلم ومنهم ابن سعدي رحمه الله وسائر علماء المسلمين في القرن بين اسم الغفور والودود : وهو الإشارة إلى أن المذنب إذا تاب ورجع إلى الله فإن الله يغفر له ويحبه , ليس فقط يغفر له لا, يغفر له ويحبه فما الذي يحجز العاصي عن التوبة؟ إذا تاب غفر الله له وأحبه الله سبحانه وتعالى بتوبته فعندك سبب تحصل به محبة الله إذا كنت مذنبا ولابد للعبد من ذنب, كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون, فتش في نفسك، فتش في نفسك، ابحث في أحوالك ستجد ذنبا تب إلى الله منه عجل وأسرع وبادر تب إلى الله منه ماذا يكون؟ يغفر الله لك ويحبك سبحانه وتعالى وهذا سر لطيف في القرن بين الودود واللطيف نبه عليه أهل العلم .

قد تقرر في المجلس الماضي أن ربنا سبحانه وتعالى يُحَب ويُحِب سبحانه وتعالى، وأنه الودود الذي يَودُ من عباده من شاء ويَودُه عباده الموحدون, وعرفنا الوُد أو الوِد هو صفة المحبة، وأصفى المحبة، وأن الله عز وجل يتخذ من شاء من عباده خليلا وأن الخُلة هي أعلى المحبة, وعرفنا أن إبراهيم عليه السلام ومحمدًا صلى الله عليه وسلم يُحبهما الله، ويودهما الله، واتخذهما الله خليلين، فلهما المحبة، ولهما الوِدُ، ولهما الخلة, وعرفنا أن محبة العبد لربه تقتضي أمورا هي جالبة لمحبة الرب لعبده، أولها : التقرب إلى الله عز وجل بما يحب، وأعلى ذلك التقرب إلى الله عزوجل بالفرائض، وأعلى ذلك التقرب إلى الله عز وجل بالتوحيد، ثم يلي ذلك التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل، فمن أحب الله أحب التقرب إلى الله وأحب ما يحبه الله وفي

الحديث أن الله عز وجل قال :(مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)

وثانيها : اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فمقتضى محبة العبد لربه أن يُحسن اتباعه لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أحسن اتباعه لمحمد صلى الله عليه وسلم نال محبة الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران ٣١] .

وثالثها: كثرة ذكر الله عز وجل فإن من أحب الله أنس بذكره، وسعد بذكره، وكانت لذة مجلسه أن يذكر ربه سبحانه وتعالى، ومن ذكر الله ذكره الله أعظم من ذِكره إياه , فمن ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه وشتان بين الأمرين، ومن ذكر الله في ملأ ذكره الله في ملأ خير منه .

وإذا تقرر ذلك فإن المؤمن الذي عرف أن ربه ليس كمثله شيء، وقدر الله حق قدره يؤمن بصفة المحبة لله عز وجل بمعناها الظاهر الحقيقي على ما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى

أما من كان عنده نقص في قدر الله عز وجل قدره، وفي إدراك أنه سبحانه ليس كمثله شيء فإنه إذا سمع الصفة تمثل صفة المخلوق فاستعظمها، واستهولها، وأولها فنجد أن كثيرا ممن لم يعرفوا الأصول الشرعية في هذا الباب يأولون الصفات أو يأولون أكثر الصفات والخلل إنما جاءهم في هذا الباب من أمرين كليين ترجع إليهما أصولهما في هذا الباب :

أما الأمر الأول: فهو قياس الخالق بالمخلوق، فإذا سمعوا صفة لله عز وجل في الكتاب والسنة قاسوا الخالق سبحانه بالمخلوق فرأوا أن هذه الصفة لا تليق بالله بناء على هذا القياس وهذا من أفسد القياس فإن الله عز وجل ليس كمثله شيء فكيف يقاس بالمخلوق؟

وأما الأمر الثاني: فهو أنهم يحكمون بالجزء على الكل وهذا من أظلم الأحكام ألا ترى يا أخي أنه لو أن أحدا رأى مسلما يسرق فقال: المسلمون سراق ؛ أو رأى مسلما يقتل فقال : المسلمون قتلة؛ او رأى رجلا من دولة يكذب فقال: أهل الدولة الفلانية كذبة ، أو خونة. ألا ترى أن هذا من الظلم البين ؟

فمن خلل القوم أنهم يحكمون بالجزء على الكل , فمثلا في المحبة لما رأوا أن المحبة في المخلوق هي: ميل القلب إلى ما يستلذه ويشتهيه. حكموا بهذا الحكم على كل محبة ، فحكموا بالجزء على الكل وهذه طريقة فاسدة.

ولذلك أيها الإخوة من الطوائف المنحرفة في هذا الباب من أنكر أن الله يحب من شاء من عباده ويحبه عباده فأنكر الطرفين و أولوا الجهتين، وهؤلاء هم الجهمية فقد أولت الجهمية محبة العبد ربه بطاعته وامتثال أمره، أو محبة عباده الصالحين فقالوا: معنى أن العبد يحب الله ليس حقيقة أنه يحب ربه، لا وإنما معناها أنه يطيعه ويمتثل أمره ويحب عباده، ولا شك أن هذه من آثار محبة العبد لربه لكنها ليست محبة العبد لربه, لكن هكذا أولوا، وأولوا محبة الله تعالى لعبده بأنها الإحسان إليه أو إرادة الخير له فقالوا: الله لا يحب عبده حقيقة وإنما معنى محبة الله للعبد أنه يحسن إليه أو أنه يريد الخير له وهذه تأويلات فاسدة تخالف النصوص وما أجمع عليه السلف.

ومن الناس من أثبت محبة العباد لله لكن تأول محبة الله لمن شاء من عباده بأنها إرادة الإكرام أو الإثابة أو غير ذلك وكل هذا مخالف لنص الكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف ومبني على الأمرين الفاسدين المتقدم ذكرهما ومما ينبغي أن يعلمه المؤمن و أن يعتقده أن الله عز وجل كما يحب يبغض فيبغض أقواما ويبغض أفعالا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة ١٩٠], ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة ٢٧٦], ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان ١٨]، وفي الحديث عند مسلم: (وإذا أبغض عبدا نادى جبريل فيقول: إني أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء أن الله يبغض فلانا فأبغضوه فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض)، فعلى المؤمن كما يتطلب أن يحبه الله أن يحذر حذرا شديدا من عدم محبة الله ومن بغض الله سبحانه وتعالى وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله عز وجل في موضعه المناسب ثم نواصل التعليق على ما أورده الشيخ من كتاب ربنا مما تطابقه عقيدة أهل السنة والجماعة لفظا ومعنا من غير زيادة ولا نقص وقد علمتم أن الشيخ لا يذكر في هذا الكتاب من الكلام إلا ما لابد منه أعني من كلام الناس والعلماء وإنما يذكر فيه قال الله ؛ ثم يعقب ذلك في فصل بالأحاديث المتعلقة بما يذكره من المعتقد ولازلنا مع تفصيل عقيدة أهل السنة والجماعة المطابقة لما في الكتاب والسنة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في عقيدته الواسطية :

وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]

نعم، هذه صفة الرضى وهي في كثير من النسخ مقدمة هنا وفي بعض النسخ مؤخرة والتأخير أولى فأحسن سياق النسخ التي أخرت فيها صفة الرضى بعد صفة الرحمة وقبل الكلام عن صفة الغضب والسخط وما يتعلق بها، وأنا أسير على هذا النسق ولذلك نؤخر الكلام عن هذه الآية عند الموطن الذي في النسخ الأخرى أليق بالنسق والمعنى فنأتي بها في موضعها إن شاء الله عز وجل.

قال رحمه الله تعالى، وَقَوْلُهُ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [النمل: ٣٠] .

نعم، هنا بدأ المصنف رحمه الله عز وجل الكلام عن صفة الرحمة بذكر الآيات القاطعة بثبوت صفة الرحمة لربنا سبحانه وتعالى وفي هذه الآية بيان اسمي الله عز وجل الرحمن الرحيم واسم الرحمن ورد في القرآن مائة وستين مرة، و اسم الرحيم ورد في القرآن مِئةً وستاً وأربعين مرة، وقد تضمن هذان الاسمان إثبات صفة الرحمة لربنا سبحانه وتعالى، وقد تكلم العلماء في الفرق بين هذين الاسمين المتضمنين لإثبات صفة الرحمة لله عز وجل فقال بعض أهل العلم: الرحمن اسم دال على الصفة القائمة بربنا سبحانه وتعالى، والرحيم اسم دال على تعلق الرحمة بالمرحوم، فالرحمن للوصفِ والرحيم للفعل، فالرحمن دال دلالة أولية على صفة الرحمة لربنا سبحانه وتعالى والرحيم دال على فعل الله عز وجل برحمة عباده وأنه يرحم عباده سبحانه وتعالى.

ومن الفروق بينهما أيضا أن اسم الرحمن لا يسمى به أحد غير الله، فلا يقال لمخلوق: الرحمن, أما اسم الرحيم فيسمى به بعض عباده، ورحمته تناسبه كما في قول ربنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة ١٢٨].

ومن الفروق بينهما أيضا أن الرحمن أبلغ في الدلالة على الرحمة من الرحيم عند جمهور العلماء، ومن الفروق بينهما أيضا أن الرحمن يدل على رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، ووسعت كل مخلوقٍ، وكل معلوم، وأن الرحيم دال على الرحمة الواصلة لعباد الله المؤمنين، فالمؤمنون يشملهم الاسمان الرحمن الرحيم، ويختص المؤمنون بالرحيم وهذا على الغالب، وإلا فرحمة الله عز وجل

واصلة إلى كل الخلق، لكنها ليست كرحمة الله الواصلة للمؤمنين ،رحمة الله عز وجل واصلة إلى كل الخلق بما سخره لهم حيث جعل الأرض مِهادا، وجعل النهار معاشا ،وجعل الليل سباتا، وجعل لهم ما تتحقق به مصالحهم الدنيوية في أرضهم، وما تدفع عنهم به المفاسد، وهذا لكل الناس قال الله عزوجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة ١٤٣] فالله بما سخره في الأرض، وما يسره من وسائل النقل، وما حمى به الخلق والأرض، قد أوصل رحمته إلى الناس، فيتحصل من الفروق التي ذكرها العلماء أن اسم الرحمن خاص في لفظه وعام في معناه، وأن اسم الرحيم عام في لفظه، وخاص في معناه، فاسم الرحمن خاص في لفظه فلا يسمى به غير الله، وعام في معناه فهو على وزن فعلان الذي يدل على السعة، فهو يدل على سعة رحمة الله عز وجل، وأما الرحيم فهو عام في لفظه، حيث يسمى به غير الله، وخاص في معناه حيث يتعلق بالرحمة الواصلة، والرحمة الواصلة تكون للمؤمنين وهذه الرحمة الخاصة بالمؤمنين، وتكون واصلة لغير المؤمنين وهذه الرحمة الدنيوية التي يشترك فيها المؤمنون وغير المؤمنين، فالله عز وجل رحمن رحيم .

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] .

نعم هذا من قول الملائكة عليهم السلام الذين لا يقولون إلا بعلم فهم أهل الصدق الخالص ،والطاعة المطلقة ،وقولهم عن علم وحق، وهو يدل على سعة رحمه ربنا عز وجل من جهتين :

الجهة الأولى :من جهة كلمة كل، وكلمة كل تدل على العموم والشمول ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر: ٧] فرحمة الله وسعت كل شيء، وعمت كل حي .

وأما الجهة الثانية : فهي القرن بين سعة الرحمة وسعة العلم فدل ذلك على أن كل شيء وصله علم الله عز وجل وعلم الله لا يخرج عنه شيء، وسعته رحمة الله سبحانه وتعالى، فرحمة الله وصلت إلى ما وصل إليه علمه وخلقه، فلم يخلوا مخلوق ولا معلوم من رحمة الله سبحانه وتعالى.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] .

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ وهذا يدل علي الحصر أن الله عزوجل رحيم بالمؤمنين، فكيف نجمع بين هذه الآية والآية التي قبلها: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر: ٧] وبين قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة ١٤٣] .

والجواب : أن رحمة الله عزوجل بالمؤمنين هي رحمة خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم، فلهم في الدنيا الحياة الطيبة، وهذا من رحمة الله بالمؤمنين، الحياة يشترك فيها المؤمنون وغير المؤمنين، أما الحياة الطيبة فإنما هي للمؤمنين، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل ٩٧]، والحياة الطيبة هي التي يذل فيها المخلوق للخالق ويعز على المخلوقين وما ذاك إلا للمؤمن، أما الكافر فلو تنعم بلذائذ الدنيا فإنه لا يذل لله، ومن لا يذل لله لم تكن حياته طيبة وقلبه مغلف عن اللذة، فلذته ظاهرة أما في الباطن فخواء، ولذلك تجد الكفار يقبلون على شرب الخمور، ويقعون في إدمان المخدرات أكثر من غيرهم، وأن أغنياؤهم يقعون في هذا المستنقع أكثر من غيرهم، بسبب أن قلوبهم مغلفة عن اللذة فلا حياة طيبة لهم، إذن من رحمة الله الخاصة بالمؤمنين في الدنيا أن لهم الحياة الطيبة ولو كانوا فقراء، ولو كانوا لا يجدون ما يأكلون إلا قليلا، لهم الحياة الطيبة وأن لهم الرحمة يوم القيامة دون غيرهم، فلا يرحم الله يوم القيامة كافرا، وهذا الأصل وسيأتي الكلام عن بعض الأمور عندما نتحدث عن الشفاعة إن شاء الله فرق بين رحمة الله الواسعة التي تشمل كل شيء، وبين رحمة الله التي حصرها في المؤمن التي هي الرحمة الخاصة، فنحن يجب علينا أن نؤمن برحمة الله الواسعة وأن نؤمن برحمة الله الخاصة بالمؤمنين، وكلاهما من صفة الرحمة لله ربنا سبحانه وتعالى .

وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] .

مما في بعض النسخ قوله: ﴿ورَحْمَتِي وسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف ١٥٦] قال الله عز وجل: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف ١٥٥-١٥٧] فعذاب الله لا يصيب كل شيء، وإنما يصيب من يستحقه بمعصيته لربه والله يعفوا عن كثير، وأما رحمته سبحانه فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي في الدنيا، فهذه رحمة عامة وللمؤمنين رحمة خاصة، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ورَحْمَتِي وسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ

يَتَّقُونَ ﴾ أي: أن الرحمة الخاصة سيكتبها الله عزوجل لعباده المؤمنين بالهداية والأمن والحياة الطيبة في الدنيا، والرحمة يوم القيامة.

وفي هذه الآية أن رحمة الله ينالها العبد بفضل الله بهذه العبادات العظيمة بتقوى الله، إذا أردت أن يرحمك الله فاتق الله، إن اتقيت الله استجلبت رحمات الله أنت في ضيق وفي كرب وتريد أن يرحمك الله فعليك بتقوى الله تستجلب رحمة الله، وعليك بالصدقات فإن الصدقة تستجلب بها رحمة الله، وعليك بإتباع النبي صلى الله عليه وسلم حقق اتباعه وأحسن في اتباعه، هو الأصل واجعل إتباعك لغيره تابعا لاتباعك له، إتباعك للعالم في أحكامه في أقواله اجعله تبعا لاتباعك لمحمد صلى الله عليه وسلم لا لذاته، فإن تحقق عندك أن العالم في حكمه يوافق حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه، وإذا ظهر لك أن العالم أراد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو حكم الله، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، إذا ظهر لك أن العالم أراد حكم الله وهذا الذي يجب أن تعتقده في العالم الرباني وألا تتهمه في هذا الباب أبدا أنه إنما أراد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو حكم الله لكنه أخطأ، والعالم مهما كان فضله قد يخطئ، فإنك لا تتبعه في حكمه ولا تهدر فضله، أصل يجب ألا يغفل حتى لا يضيع نور العلم في ظلمة الفتن؛ فإنا نرى أصولا تأصل لا أصل لها في الكتاب والسنة، ولا وجود لها في كلام العلماء المتقدمين، تأصل وتفصل للفتنة وهذه تجتنب ويلزم الإنسان العتيق.

والحقيقة يا إخوة أن في هذه الفتنة التي يمر بها المؤمنون في هذه الأيام، لا تهمنا الأطراف إلا بتحقيق الحق، لكل أحد أحببناه أو أبغضناه في الله، وإنما الذي يهمنا الأصول الشرعية أن لا تغيب وأن لا توضع الأصول التي يسترق بها المؤمنون رقا علميا حكميا وهي غير صحيحة ولا سديدة، وإن من الجهاد أن تقابل الأصول غير الصحيحة ببيان الأصول الصحيحة لكي يبقى الحق قائما.

وإني بالمناسبة لأحذر طلاب العلم تحذيرا شديدا من لمز العلماء وإخراج بعض الناس ما تكنه نفوسهم من بغض للعلماء، لكنهم كانوا يكتمونه، فرأوا الفرصة مواتية، لإخراج شيء من ذلك السم، كاتهام، أو لمز، بعض العلماء الكبار، بأنهم كبروا في سنهم، فتأثرت عقولهم، أو أصبحوا ألعوبة في يد غيرهم، فإن هذا من اللمز الخبيث، والكذب البين، ويدرك الإنسان أن أولئك العلماء الذين يلمزون بهذا ما زادهم

كبر السن إلا اتقادا في أذهانهم وكمالا في عقولهم، وحسن فهمهم أما التخطئة والتصوبة فواردة على الجميع.

نعم أقول: إن مما تستجلب به رحمة الله، أن تحقق اتباعك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم هذا وما ألذه وإن كنت ستجد مشقة من الناس في هذا الباب، كثير من الناس، يدعون حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرضيهم أن تحقق اتباعك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن الخير لك أن تحقق اتباع النبي صلى الله عليه وسلم , سبق أن ذكرنا أن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم يحقق للعبد محبة الله، وهنا نقول: إن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم يجلب للعبد رحمة الله، كما أن رحمة الله، تستجلب برحمة خلق الله، فمن صفات المؤمن، أنه يرحم خلق الله، ومن صفات السلفي الصادق، أنه يرحم خلق الله، يرحمهم ويرفق بهم، ومن رحمته بهم أنه قد يغلظ أحيانا عليهم رحمة بهم , فقسى ليزدجروا، ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم، ورحمة الله عز وجل تستجلب برحمة المخلوقين قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من لا يرحم الناس، لا يرحمه الله) متفق عليه, وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ارحموا من في الأرض) رواه الترمذي وصححه الألباني, وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن), (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه أبو داوود وصححه الألباني.

ورحمة العبد للمخلوقات ولو كانت دوابا، تجلب له رحمة الله، قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والشاة إن رحمتها رحمك الله. رواه أحمد وصححه الألباني.

ومن أراد الله رحمته وفقه للرحمة، ومن أراد شقاءه نزع الرحمة من قلبه, قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تنزع الرحمة إلا من شقي). رواه أبو داوود والترمذي وصححه الألباني.

ومن اتصف بالرحمة في الدنيا رحم في الآخرة وكان من أهل الجنة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان، مقسط، متصدق موفق (ذو ولاية، عادل، موفق، متصدق) ورجل رحيم القلب لكل ذي قربى ومسلم هذا من أهل الجنة ومن أولى الناس بالجنة، وعفيف متعفف ذو عيال: عنده عيال وفقير، فهو ذو حاجة وفقير ومع ذلك متعفف وعفيف ولا يسأل الناس شيئا، فهو من أولى الناس بالجنة. وهذا الحديث رواه مسلم في الصحيح.

وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] .

نعم، الله عز وجل من فضله وإحسانه، أوجب على نفسه الرحمة، بل وجعلها سابقة غالبة لغضبه سبحانه وتعالى وهذا يدل على رحمة الله سبحانه وتعالى.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] .

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، المغفرة هي ستر الذنوب مع الوقاية من آثارها، ليست سترا مجردا هي ستر مع فضل، ستر الذنوب مع الوقاية من آثارها، فالمغفرة متضمنة للوقاية من شر الذنوب ولرضى الله سبحانه وتعالى فهي ستر مع فضل وسيأتي إن شاء الله قريبا الكلام عن العفو والمغفرة في كلام الشيخ وسأفرق هناك إن شاء الله لكم بين العفو والمغفرة والستر المجرد سيأتي هذا في موضع قريب فنتكلم عنه إن شاء الله والرحيم تقدم الكلام عليه .

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن عرفه فرجاه وخافه وأحسن سيره إليه وأسأل الله عز وجل أن يرزقنا بفضله محبته ورحمته وأن لا يعاملنا بما نحن أهله .

يا معاشر الفضلاء نواصل شرحنا لهذا الكتاب الصغير بحجمه العظيم في مضمونه ونفعه (العقيدة الواسطية) لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمة الله حيث يثبت شيخ الإسلام بالدليل المقنع والبرهان الساطع أن عقيدة أهل السنة والجماعة مطابقة لما في القرآن وصحيح أحاديث عن سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم وأنها عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم وعقيدة أبي بكرا وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة الأكارم وعقيدة سلف الأمة والمؤمن إذا علم هذا كيف لا يتعقد هذه العقيدة وكيف يتركها إلى غيرها ؟ لاشك أن المؤمن الذي يرجو ما عند الله ويخاف الله سبحانه وتعالى سيلزم هذه العقيدة ويعظ عليها بالنواجد وشيخ الإسلام في أول هذه العقيدة تكلم عن أصول أهل السنة والجماعة في الإيمان بالأسماء والصفات ثم عقب ذلك بتفصيل هذا بإيراد النصوص من القران التي تدل على مطابقة عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات لقول الله سبحانه وتعالى ثم سيعقب ذلك إن شاء الله عزوجل بالأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي تدل على ذلك ولا شك أن المؤمن يتلذذ ويتمتع بسماع الآيات التي فيها وصف ربه سبحانه وتعالى ولازلنا مع الآيات التي يوردها شيخ الإسلام رحمه الله عزوجل

في صفات ربنا سبحانه وتعالى وكان آخر ما تحدثنا عنه صفة الرحمة وكان آخر ما تحدثنا عنه صفة الرحمة لربنا سبحانه وتعالى وقد شرحنا أكثر الآيات التي أوردها المصنف رحمه الله عزوجل في هذه الصفة العظيمة وتبقى أظن آية لم نعلق عليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في عقيدته الواسطية :

وقوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] .

هذا من قول نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] وقد علم الأنبياء ذلك وتوسلوا إلى ربهم بذلك قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف ١٥١] وقال يوسف عليه السلام: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[يوسف ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء ٨٣] فالله عزوجل أرحم الراحمين ، فالراحمون كثر والله عزوجل أرحم الراحمين ولو جمعت رحمات الخلق كلهم إنسهم وجنهم وحيواهم وغير ذلك لكانت رحمة عزوجل أعظم وأكرم وأوسع بل رحمات الخلق كلهم إنما هي من آثار رحمة ربنا سبحانه وتعالى ،فالله عزوجل من رحمته أنه خلق لخلقه رحمات بها يتراحمون وبها يرحمون قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة) رواه البخاري , وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (جعل الرحمة مئة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) وقال صلى الله عليه وسلم: (إن لله مئة رحمة أنزل منها واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وادخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) ومن تلك الرحمات الجنة يرحم الله بها عباده ، قال الله عزوجل للجنة: (أنتِ رحمتي أرحم بكِ من أشأ من

عبادي)كما في الصحيحين، وأبلغ من تلك الرحمات المخلوقة رحمة الله عزوجل التي هي صفة الله سبحانه وتعالى وهي ليست مخلوقة ولا يعلم كنهها إلا الله ولا تحصر أبدا .

إذن انتبهوا أيها الأكارم رحمة الله عزوجل تطلق على أمرين:

الأمر الأول: رحمة التي هي وصف الله سبحانه وتعالى فهذه صفةً لله ليست مخلوقة ولا تحصر وقد وسعت كل شيء .

والأمر الثاني : رحمة الله المخلوقة التي خلقها وهذه قد تحصر، والله عز وجل يرحم عباده لأنه رحيمٌ، ويرحم عباده يوم القيامة برحمات خلقها الله عز وجل خلق الرحمة مئة جزء وأرسل بين الخلائق و أنزل بين الخلائق رحمة واحدة جزء واحد، فكل رحمات الخلائق هي جزء ،وادخر تسعاً وتسعين رحمة من هذه الرحمات التي خلقها يرحم بها عباده يوم القيامة وفوق هذا، وأعظم من هذا، وأكرم من هذا، أن الله سبحانه وتعالى متصف بصفة الرحمة فما أعظم رحمة الله، فإذا كانت رحمات الخلق التي علمناها والتي لم نعلمها، إنما هي جزء من الرحمات التي خلقها الله، يرحم بها عباده فكيف برحمته التي هي صفته سبحانه وتعالى .

وفي الآية صفة أخرى ،وهي صفة الحفظ ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَافِظًا﴾ [يوسف: ٦٤]، ﴿والله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] وقد قرئ بهذا وهذا في القراءات السبعية فالله سبحانه وتعالى خير الحافظين وهو على كل شيء حفيظ، وحفظ ربنا نوعان :

النوع الأول :حفظ ما اقتضت حكمة الله عز وجل حفظه، فالله عز وجل يحفظ السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما سبحانه وتعالى والله يحفظ عباده حفظا عاما بما خلقه لهم ،وما جعله لهم والله عز وجل يحفظ دينه ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر ٩] فالله يحفظ القرآن ولازم ذلك حفظ الدين، والله عز وجل يحفظ عباده المؤمنين، يحفظ لهم دينهم ويحفظهم بدينهم، وكل ما كان العبد لله أحفظ كان بحفظ الله أحظى ولذلك قال :النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما:

(احفظ الله يحفظك) كلما كان العبد لله أحفظ بفعل أوامره واجتناب نواهيه بفعل الطاعات واجتناب المعاصي كان بحفظ الله له أحظى من غيره .

والنوع الثاني: هو حفظ الأعمال، فالله يحفظ لعباده أعمالهم لا يضيع منها شيء ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة ٧-٨] فالله سبحانه وتعالى خيرٌ حافظا، وإذا علم المؤمن أن الله أرحم الراحمين فإنه لن ييأس من رحمة الله ولن يقنط من رحمة الله مهما اشتدت الكروب فإنه يوقن برحمة الله سبحانه وتعالى ومهما عظمت منه الذنوب فإنه يوقن برحمة الله عز وجل لكن إيقانه برحمة الله عز وجل يدعوه إلى التوبة وإلى الإقبال على الله عز وجل ولا يجعله يغتر بهذه الرحمة ويزداد عتوا، ويزداد ذنوبه لا وكلا بل إذا أيقن من أن ربه أرحم الراحمين فإنه يوقن أن الله سيتوب عليه إن تاب فيقبل على الله ويتوب توبة صادقة من ذنوبه، والمؤمن إذا علم أن الله أرحم الراحمين وأيقن من هذا فإنه سيسعى لنيل رحمة الله سبحانه وتعالى ويبذل ما يستطيع ليكون من أهل رحمة الله سبحانه وتعالى وإذا أيقن المؤمن أن الله حفيظ وأنه حافظ ،وحفيظ أبلغ من حافظ فإنه لن يتوكل إلا على الله، ولن يعلق قلب إلا بالله ،لن يعلق قلبه بمخلوق أبداً، وإنما يعلق قلبه بالله ،لأن الله عزوجل خَيْرٌ حافظا، ولأنه سبحانه وتعالى حفيظ فلا يلجأ إلا لله، ولا يعلق قلبه إلا بالله، لا يعلق قلبه بتميمةٍ يضعها ليحفظ بها، فيضع كفاً فيه خمسة، أو يضع خرزةً زرقاء في خاتمه، أو يضعها في عنقه، أو يضعها في سيارته، ولا يضع مصحفاً في سيارته لحفظها، ولا يكتب على سيارته ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فإن كل هذا من التمائم، ومن تعلق تميمةً وكل إليها، وإنما يتوكل على الله، ويرجو الحفظ من الله، ويعلم أنه إن ذكر الله حفظه الله وإن حفظ الله حفظه الله سبحانه وتعالى .

قال رحمه الله تعالى :

وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]

هذه الآية الكريمة فيها إثبات صفة الرضى لربنا وهي صفة فعلية اختيارية فالله سبحانه وتعالى يرضى ولا شك في هذا الله ،يرضى عن الأعمال ،ويرضى بها، كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[الزمر ٧] فالله عزوجل يرضى عن الشكر، ويرضى بالشكر، فالله رضي لكم الشكر يا عباد الله

ويرضى عنكم بالشكر، فمن الأسباب الجالبة لرضى الله شكر الله، أن تكون عبداً شكورا إذا أردته أن يرضى الله عنك فكن عبدا شكورا تقدر نعم الله قدرها وتحرص على شكرها إذن الله يرضى عن الشكر فرضي هذا العمل ويرضى بالشكر فيرضى عن الشاكر وقال سبحانه ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة ٣] فرضي الله الإسلام وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يرضى لكم ثلاثة أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) رواه مسلم في الصحيح، وجاء عند الإمام أحمد وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم , فالله عزوجل رضي توحيده ورضي جمع الكلمة على الحق على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي مناصحة ولاة الأمر وهذا أيضا كما قلنا يرضي الله فأعظم ما يرضي الله التوحيد أن تعبد الله, أن تجعل عبادتك كلها لله عزوجل وأن لا تشرك به شيئا ومما يرضى الله به عن العباد أن يجتمعوا الجماعة الدينية والجماعة البدنية , أما الجماعة الدينية فهي التمسك بما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم في الديانة وهذه جماعة لا تحدها حدود فمن تمسك بما في الكتاب والسنة وسار على طريقة السلف الصالح فهو على هذه الجماعة التي يرضاها الله ويرضى عن أهلها في بلد كان, والجماعة البدنية هي جماعة الأبدان تحت راية ولي الأمر المسلم والأصل أن تكون جماعة المسلمين البدنية واحدة لكن إذا تعذر هذا كما هو الحال في زماننا فإن أهل كل بلد جماعة تحت راية ولي أمرهم المسلم , الله يرضى الجماعة ويرضى عن الجماعة فإن أردت أن يرضى الله عنك فالزم الجماعة بنوعيها الزم الجماعة الدينية فكن على منهج السلف على طريقة السلف رضوان الله عليهم وإياك أن تخرج عن هذا والزم جماعة بلدك تحت راية ولي أمرك المسلم والله يرضى أن نناصح ولاة أمرنا ويرضى عن من يناصح ولي الأمر وينصح لولي الأمر فينصح له ويأمر الناس بأداء حقه الشرعي من غير إفراط ولا تفريط وينصح ولي الأمر بالطريقة الشرعية يناصحه سرا بما لا يهيج قلوب العامة عليه أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها) رواه مسلم فالله يرضى عن العبد الحامد وهذا نوع من الشكر فإذا أكل الأكلة حمد الله علم أولا أنها من الله فلولا الله ما كانت ولولا الله ما وصلت ولولا الله ما لانت فدخلت ولولا الله ما نفعت فإذا علم ذلك حمد الله وشكر الله فيرضى الله عزوجل عنه وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (رضا الله في رضا الوالد) رواه الترمذي وحسنه الألباني

فالله عزوجل يرضى رضي البر ويرضى عن البار فمن أراد أن يرضى الله عنه فليرضي والديه وليحرص على إرضاء والديه وهذه الأحاديث كما قلنا تتضمن الرضى عن العاملين فالله عزوجل يرضى والرضى صفته وليس رضى الله أمرا خارجا منفصلا , وليس رضى الله إرادة الثواب كما يقول بعض المؤولة , وليس رضى الله هو الثواب نفسه كما يقول بعض المؤولة, بل رضى الله عزوجل صفته وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ وهذا جزء من الآية الكريمة التي قال الله عزوجل فيها: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة ١١٩] فأهل الجنة من أعظم نعيمهم نيل الرضى أنهم يرضون عن ربهم الذي هداهم في الدنيا صراطه المستقيم ولولا الله ما اهتدوا كم من رجل أو امرأة يسمع القرآن ولكنه من المشركين ولكن الله اصطفى من شاء من عباده فهداهم إلى صراطه المستقيم , والله لولا الله ماصلينا والله لولا الله ما صمنا والله لولا الله ما قعدنا هذا المجلس نتعلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يرضون عن ربهم وهم في جنته حيث هداهم في الدنيا صراطه المستقيم وادخلهم بفضله ورحمته الجنة فإنه لا يدخل أحد الجنة بعمله وإنما الجنة تدخل بفضل الله والعمل سبب لنيل فضل الله فهم يرضون عن ربهم ، ويتنعمون برضى الله عنهم وهذا أفضل لهم من جميع النعيم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك يا ربنا وسعديك، الله أكبر ما أعظم هذا النعيم، الله يخاطبهم يأهل الجنة فيقولوا لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطي أحدا من خلقك فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، هذا النعيم الذي عشتوه ورأيتموه أعطيكم أفضل منه، قالوا يا ربي وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا) متفق عليه، فيتنعمون برضى الله عزوجل عليهم ورضوان الله عليهم في الجنة أكبر من كل نعيم كما قال الله عزوجل: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة ٧٢] وهذا الحديث يا أفاضل فيه رد على المؤولة الذين يقولون: إن رضا الله هو إرادة الثواب، يقولون أن الله لا يرضى حقيقة لكن رضوان الله أو رضى الله معناه إرادة الثواب، فإنا نقول : إن الله أراد ثواب أهل الجنة قبل أن يقول لهم: هذا القول أحل عليكم رضواني.

والذين يقولون: إن رضا الله هو ثواب الله، قلنا نعيم الجنة هو من ثواب الله ومع ذلك جعل الله عزوجل رضوانه أفضل من ذلك فهذا يدل على ربنا سبحانه وتعالى يرضى حقيقة .

وهذه الآية التي ذكرها الشيخ كما قلنا هي جزء من الآية التي ذكرناها وجاءت أيضا في آيات أخرى ،جاءت في قول الله عزوجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة ١٠٠] سبحان الله السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم قادة أهل الحق بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما يفضل من بعدهم باتباعهم بإحسان، فإذا أردت أن تكون من الفضلاء الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه فالزم غرز الأولين وإياك وما أحدثه المتأخرون فأولئك القوم هم الذين رضى الله عنهم جميعا أعني صحابة رسول الله صلى الله عليهم وسلم ومن تبعهم بإحسان فإن الله يرضى عنهم، وهم قد رضوا عن ربهم الذي هداهم وأكرمهم وأعد لهم الجنات.

قال رحمه الله تعالى :

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣] .

هذه الآية أوردها المصنف لإثبات صفة الغضب لله عز وجل، فإن الله عز وجل يغضب على من يستحق الغضب، وغضب الله عدل في ذاته وفي أثره، فالله لا يغضب الله إلا على من يستحق الغضب وإذا غضب وشاء أن يؤاخذ فإنه لا يؤاخذ إلا بعدل، إذًا غضب الله من عدل الله وهو عدل في ذاته لأن الله لا يغضب إلا على من يستحق أن يغضب عليه.

وهو عدل في أثره، لأن الله لا يظلم الناس شيئا وإنْ غضب سبحانه فإن شاء أنْ يؤاخذ من غضب عليه فإنه يأخذه بعدل ولا يظلمه شيئا، الله غضب على اليهود لكفرهم وقتلهم الأنبياء كما قال الله عز وجل: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة ٦١]، والله عز وجل يغضب على الكافرين الذين يكفرون بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ربنا سبحانه: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن

﴿يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾[البقرة ٩٠]، وكذلك يغضب الله على المؤمن إذا فرّ عند التحام الصفيْن من غير عذر فالله عزوجل يغضب.

وهذه الآية أيضا فيها أن الله يلعن فيطرد من استحق الطرد من رحمته، وهذه صفة أخرى لربنا سبحانه وتعالى.

يقول الله عزوجل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ﴾، من شرطية من يقتل مؤمنا هذا يخرج غير المؤمن، فالكفار لا يدخلون في الوعيد الوارد في هذه الآية, لكن لا يعني ذلك أنه قتل الكفار مطلقا جائز فإن الكافر المؤمن لا يجوز قتله, المؤمن بعهد أو أمان أو نحو ذلك لا يجوز قتله ، لكنه لا يدخل في هذه الآية .

فما يأتي مغفل يقول الله عزوجل فيقول ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ وأنا ما قتلت مؤمن قتلت يهوديا أو نصرانيا لأن قتل من أمن حرام ومن كبائر الذنوب ومن قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة لكن هذا القيد إنما هو لهذا الوعيد، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ أي بقصد وهذا يخرج من لم يقصد كمن ضربه بعصا لا تقتل غالبا فمات، هو لم يقصد قتله، قصد ضربه لكن مات! هذا شبه العمد، أو أطلق رصاصة على شيء فأخطأت مسارها فقتلت مسلما ،هذا لا يدخل في الوعيد وكذلك لا يدخل في الوعيد من لا قصد له كالمجنون، المجنون لو قتل مؤمنا فإنه لا يدخل في الوعيد لأنه لا يقال أنه متعمد لأنه لا قصد له.

وكذلك يقول العلماء : الصبي الصغير إذا قتل فإنه لا يدخل في الوعيد، طبعا يا إخوة نحن نتكلم عن الوعيد لا عن القتل. ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾: وهذا اسم من أسماء النار والعياذ بالله ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾: طيب خالدا فيها عقيدة أهل السنة والجماعة أن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان وأنه لا يخلد في النار فكيف يجاب عن هذه الآية أو كيف توجه هذه الآية؟ ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾ قال بعض أهل العلم: المقصود بهذه الآية الكافر يقتل مؤمنا قالوا في الآية لم يعين القاتل والمقصود هو الكافر يعني: والكافر إذا قتل مؤمنا متعمدا وهذا ضعيف لأن الكافر يخلد في النار بكفره ولأن الآية عامة وقال بعض أهل العلم : توجه الآية في ما إذا قتله مستحلا قتله والمستحل يكفر وهذا أيضا ضعيف، لأن المستحل يخلد في النار ولو لم يقتل لو أن شخصا اعتقد أنه يجوز قتل المؤمنين فإنه يكفر حتى لو قعد في بيته وقال بعض أهل العلم :هذه مقيدة بقيد إن جازاه يعني يخلد في النار إن جازاه الله بهذا وهذا أيضا بعيد فإن المؤمن لا يخلد في النار.

وقال بعض أهل العلم: هذا سبب للخلود في النار ويكون الإيمان مانعا من الخلود في النار فيوجد السبب لعظم الجرم ويقابل المانع فيمنع من الخلود واضح يا إخوة هذا الوجه؟ هذا الوجه جيد يقولون : هذا سبب للخلود في النار لعظم الجرم ولكن إذا كان القاتل مؤمنا فإنه يقابل السبب مانع وهو الإيمان فيمنع من خلوده في النيران.

وقال بعض أهل العلم: ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾ أي ماكثا فيعا مكثا طويلا ،فقالوا: الخلود معناه المكث الطويل, ثم هذا المكث قد يكون مؤمدا وقد يكون مؤبدا، قد يكون مؤمدا أي له حد ينتهي إليه كما في شأن القاتل عمدا وقد يكون مؤبدا كما في شأن الكفار والذي يدل على هذا الأدلة.

ثم قاعدة أهل السنة والجماعة : أن كل وعيد ورد على كبيرة دون الشرك مقيد بقول الله عز وجل: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء ٤٨] فإن الله قد يغفر, ولكن انتبهوا أهل السنة والجماعة إذا أوردوا نصوص الوعيد لا يريدون هذا القيد حتى لا تذهب فائدة الوعيد وهذا معنى قول بعض أهل العلم: أمروها كما جاءت أي اذكروا الوعيد للناس كما جاء مع أنك تعتقد أن هذا الوعيد مقيد بقول الله عز وجل: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء ٤٨] ، لكن إذا جئت تقرأ على الناس الآية ما تقول لهم: وهذا مقيد حتى لا تذهب فائدة الوعيد من نفوسهم .

﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾: أي طرده من رحمته وهذا عند أهل العلم مقيد بما إذا لم يتب أما إذا تاب صادقا فإن الله يتوب عليه، والتوبة تسقط حق الله من تاب، تاب الله عليه ولكنها لا تسقط حق المخلوقين فيبقى القصاص للأولياء وإن عفوا فذلك خير ويبقى حق المقتول لأنه حق للمخلوق وسيسأل ربه ويقول: يا ربي سل هذا لم قتلني؟ وقد يقتص للمخلوق من قاتله وقد يعف الله لكن ذهب جمع من العلماء إلى أنه إن تاب في الدنيا أرضى الله خصمه يوم القيامة.

بقي ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (إنّ القاتل عمدا لا توبة له) وقد جاء عنه رأيان في المسألة لكن على هذا الرأي فما توجيهه؟

قال بعض أهل العلم : مقصوده أنّه لا يوفّق للتوبة فالقتل العمد ورطة لا مخرج منها فلا يوفّق للتوبة ولو تاب لتاب الله عليه، وهذا مثل قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله حجب التّوبة عن كلّ صاحب

بدعة) أي أنّه لا يوفّق للتوبة، بل ذهب بعض أهل العلم : إلى أنّ القتل عمدا قد يؤول بصاحبه إلى الكفر فتضيق نفسه حتى يكفر وهذا أحد الوجوه التي وجّه بها بعض أهل العلم الآية ﴿خَالِدًا فِيهَا﴾ قالوا إنّه يقتل فتضيق نفسه ولا يتوب حتى يقع في الكفر بالله عزّ وجل، فيكون مخلّدا في النّار هذا وجه .

و الوجه الثاني: أنّ مراد ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ توبته لا تكون تامّة ومعنى لا تكون تامّة أنّها لا تسقط جميع الحقوق إذ يبقى حقّ الأولياء قائما فلهم حق القصاص و لو تاب و يبقى حقّ المقتول يوم القيامة قائما فكانت التّوبة ناقصة لنقص أثرها لأنّ الأصل أنّ التوبة تهدم الذّنب و تهدم جميع آثاره فمراد ابن عباس رضي الله عنهما أنّها ليست تامّة و ليس المقصود أنّها ليست مقبولة مطلقا و هذا لابدّ من توجيهه ليتّفق مع ما أجمع عليه أهل السّنة و الجماعة.

قال رحمه الله :

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨] .

﴿ذَلِكَ﴾ أي ذلك الحال السّيء من كون الملائكة عند الموت يضربون وجوههم و أدبارهم، فالكافر عند موته تضربه الملائكة على وجهه وتضربه على دبره و ذلك بسبب أنّهم اتّبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه، وفي هذه الآية إثبات صفة السّخط لله عزّ وجل وهو كالغضب صفة اختياريّة، والسّخط عند كثير من العلماء مرادف للغضب فهما بمعنى واحد يقال: سخط عليك ويقال: غضب عليك بمعنى واحد، وفرّق بينهما بعض العلماء فقال بعض العلماء: السّخط هو أوّل مراتب الغضب، وقالوا: أنّ الغضب ثلاث مراتب: سخط، وغضب، ومقت، السّخط أول مراتب الغضب ثمّ الغضب ثمّ المقت وهو أشدّ الغضب ، فقالوا : السّخط هو أول مراتب الغضب وفرّق بينهما بعض العلماء بأنّ الغضب يقع من الكبير على الصّغير ومن الصّغير على الكبير، فالكبير يغضب من الصّغير و الصّغير يغضب من الكبير أمّا السّخط فلا يكون إلاّ من الكبير على الصّغير فيقال للصّغير إذا غضب من أبيه :غضب ولا يقال: سخط، فالغضب يكون من الكبير على الصّغير و يكون من الصّغير على الكبير أمّا السّخط فإنّما يكون من الكبير على الصّغير ، إذن بعض أهل العلم بل أكثرهم يرون أنّ السخط هو الغضب و بعضهم يرون أنّ السخط أوّل مراتب الغضب فهو نوع من الغضب و بعضهم يرون أنّ الغضب أعمّ من السّخط

من جهة من يقع منه فالغضب يقع من الكبير على الصّغير ومن الصّغير على الكبير، أمّا السخط فلا يقع إلا من الكبير على الصّغير ، ولا مانع من كلّ هذه في هذه الصّفة ، فالسّخط غضب وهو نوع منه وهو واقع من الله عزّ وجل على من يستحقّ ذلك و المقصود إثبات صفة السّخط لله عزّ وجل .

نحن في هذا المجلس نشرح كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عز وجل ولا زلنا مع الآيات التي تبين صفات ربنا سبحانه وتعالى تزداد بها معرفتنا بربنا ونرجو الله عز وجل أن تزداد بمعرفتها إيمانا به سبحانه وتعالى وقربا منه وسعيا إلى إرضائه سبحانه وتعالى وقد تقدم معنا في المجلس الماضي أنا علمنا أن ربنا سبحانه وتعالى يرضى , فالله عز وجل يرضى عمن شاء ويرضى عما شاء فيرضى عن أقوام ولا يرض عن أقوام نسأل الله أن يرضى عنا جميعا , وقد علمنا أن أهل الجنة يرضون عن الله عز وجل ويرضى عنهم ربهم سبحانه وتعالى وأن رضوان الله عز وجل عليهم أكبر من النعم الذي أعده لهم في الجنة فأهل الجنة لهم نعيم أعده الله عز وجل لهم فيها وقد أعد الله لعباده الصالحين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة ١٧] يتنعمون بالزوجات المباركات ويتنعمون بالأشربة ويتنعمون بالطعام ويتنعمون بسائر النعيم المعد لهم وأكبر من هذا النعيم كله رضوان الله عز وجل عليهم فيحل الله عز وجل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا ويتنعمون فوق ذلك النعيم بالزيادة التي هي النظر إلى وجه ربهم الكريم سبحانه وتعالى فأهل الجنة يرضى عنهم الله عز وجل, وعلمنا أن ربنا سبحانه وتعالى يغضب نعوذ بالله من غضبه ومن ذلك غضبه على من يقتل مؤمنا متعمدا, وأن غضب ربنا سبحانه وتعالى درجات فغضب أشد من غضب, وعلمنا أن ربنا سبحانه وتعالى يسخط وعرفنا أن السخط والغضب بمعنى واحد عند كثير من العلماء وأن بعض أهل العلم فرقوا بينهما بأن السخط أول مراتب الغضب فهو المرتبة الأولى من مراتب الغضب وأن الله عز وجل يسخط على أقوام كما يرضى عن أقوام وأظن أنه وقفنا عند هذا المقام فنتم قراءة الآيات التي ذكرها الشيخ رحمه الله ونعلق عليها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] .

في قوله سبحان وتعالى ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ إثبات صفة الأسف لله عز وجل والأسف بمعنى الغضب هذا ما تدل عليه لغة العرب ونص عليه سلف الأمة قال ابن جرير الطبري :فلما آسفونا أي أغضبونا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : فلما آسفونا أغضبونا ونقل ذلك عن جمع من السلف وَمِمَّا ينبغي أن يعلم أن الأسف يأتي بمعنى الحزن ويأتي بمعنى الغضب وهو المراد هنا قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف ١٥٠] فوصف موسى عليه السلام حال رجوعه بأنه كان غضبان أسفا, فهنا قال بعض أهل العلم: أسفا يعني حزينا، فرجع عليه السلام وهو غضبان وحزين. وهذا فسره به بعض السلف، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسفا أي: حزينا، وقال بعض السلف: الأسف هنا مرتبة وراء الغضب، منزلة وراء الغضب فغضبه كان شديدا ولذلك كان غضبان أسفا، وهذا الذي قاله بعض السلف، ومنهم أبو الدرداء رضي الله عنه، قال: الأسف: منزلة وراء الغضب وأشد من الغضب.

شاهدوا أن الأسف يأتي بمعنى الحزن وهو غير مراد هنا يقينا، ويأتي بمعنى الغضب وقد فسره بعض أهل العلم: بأنه أشد مراتب الغضب، وهذا معنى قول أبي الدرداء منزلة وراء الغضب وأشد من الغضب فهي أشد مراتب الغضب، فلما أغضبونا وفي هذا إثبات صفة الأسف لله عز وجل، وهي بمعنى الغضب.

﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ قال العلماء الانتقام هو: الأخذ مع غضب، فتقول: انتقمت من فلان إذا آخذته بذنبه وأنت عليه غضبان وتقول: عاقبته: إذا آخذته بذنبه، يعني متى تقول انتقمت؟

إذا أخذته بذنبه حال كونك غضبانا، فالانتقام كما قال العلماء هو: الأخذ بغضب. فأخذهم الله عز وجل وهو عليهم غضبان فأغرقهم .

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] .

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ﴾ فهذه الآية إثبات صفة الكراهة لله، وإن شئت قل: إثبات صفة الكراهية لله عز وجل، وهي: أن الله عز وجل يكره، فهي مرتبة قريبة من الغضب والبغض، فالله عز وجل كما يحب، فإنه يبغض، ويكره، فالله عز وجل يكره أقواما، ويكره أفعالا، فصفة الكراهة لله عز وجل ثابتة، وهي كما

قلنا: قريبة من صفة البغض، وقد تقدم معنا أن الله كما يحب، فإنه يبغض، نسأله سبحانه وتعالى أن يحبنا، ونعوذ به سبحانه من بغضه.

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]

في هذه الآية إثبات صفة المقت لله عز وجل، والمقت هو: أشد الغضب، ويتضمن البغض، فهذا قدر زائد عن الغضب، إذن هو غضب مع بغض.

والله عز وجل له صفة المقت، وفي الحديث (إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب) ففي هذه الآية إثبات صفة المقت لربنا سبحانه وتعالى، وأن الله يمقت أفعالا، ويمقت أقواما، فيمقت هذه الصفة الذميمة، وهي القول الذي يخالفه الفعل، كحال المنافقين الذين يقولون آمنا، واعتقادهم وفعلهم يخالف ذلك.

فهذه الصفة الذميمة ينبغي أن يترفع عنها المؤمن، وأن يبتعد عنها المؤمن، أعني: أن يقول مالا يفعل، فهذه صفة من أقبح الصفات، والله عز وجل يمقتها.

في بعض النسخ قال الشيخ، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [غافر ١٠]

الكفار يوم القيامة يمقتون أنفسهم ويغضبون على أنفسهم أشد الغضب، مع البغض لكونهم لم يطيعوا الله عز وجل، إذا رأوا عذاب الله، وعاينوه فإنهم يمقتون أنفسهم، فينادون : لمقت الله وغضبه عليكم، وبغضه لكم أكبر من مقتكم أنفسكم، نعوذ بالله من سوء الحال .

قال رحمه الله:

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وَقوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

وَقوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا • وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢].

وَقوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] .

في هذه الآيات المباركات إثبات صفة المجيء والإتيان لربنا سبحانه وتعالى، وهاتان صفتان فعليتان اختياريتان، يفعلهما الله عز وجل متى شاء، وكيف شاء سبحانه وتعالى، فيأتي الله عز وجل يوم القيامة للفصل بين العباد.

أخبرنا الله عز وجل أنه يأتي، وأنه يجيء فنؤمن بذلك يقينا، ولكن الله لم يخبرنا عن كيفية ذلك، فلا نسأل عن الكيف، بل نؤمن بما أخبرنا الله عز وجل به، إيمانا يقينيا على ظاهره، وننزه ربنا عن أن يشبه شيئا من مخلوقاته ولا نسأل عن هذه الصفات ب كيف ولا نؤول مجيئه ونصرفه عن ظاهره كما فعل المؤولة.

والإتيان والمجيئ بمعنى واحد، ويستعمل هذا مكان هذا، وهذا مكان هذا، وفرق بينهما بعض علماء اللغة من حيث المعنى اللغوي، فقالوا : إن المجيئ أعم من الإتيان لأن الإتيان هو المجيئ بسهولة، فالمجيئ أعم والإتيان نوع، لكن لا يظهر والله أعلم أن هذا وارد هنا بل هما هنا بمعنى واحد، الله عز وجل يأتي يوم القيامة للفصل بين العباد ويأتي للمؤمنين الموحدين ليتبعوه فقد ثبت في الصحيحين أن الله عز وجل يقول لكل قوم: (اتبعوا ما كنتم تعبدون)، فيتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ويتساقطون في النار وتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيأتيهم ربهم سبحانه وتعالى فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فيأتيهم ربهم في الصورة التي يعرفون وبالعلامة التي يعرفون فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، فالله عز وجل يأتي لهذه الأمة يوم القيامة لأنها تعبده فتتبعه سبحانه وتعالى كما تتبع كل أمة ما تعبد ومن تبع الله نجا وسلم وكان من الفائزين.

قال رحمه الله وَقوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] .

﴿هَلْ﴾ سؤال بمعنى النفي وقد قال العلماء: إذا جاءت في سياق الاستفهام "إلا" فهذا يدل على أن الاستفهام بمعنى النفي، هل: بمعنى "ما"، ﴿يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون، يعني: ما ينتظر هؤلاء الذين يتبعون خطوات الشيطان ولا يطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ في: بمعنى مع أي أن يأتيهم الله مع ظلل من الغمام والظلل هي الطبقات الكبيرة والغمام هو السحاب الأبيض البارد، والسحاب الأبيض ينير. إذا استيقظت مثلا وجدت السماء مكسوة بالأبيض فإنك ترى كأنك في النهار من النور، والسحاب الأبيض البارد ينعش النفس، في ظلل من الغمام أي مع طبقات من السحاب الأبيض البارد، وهذا من تعظيم الله عز وجل وهذا معروف في الاستعمال، تقول مثلا: جاء الملك في موكب كبير، أي جاء الملك مع موكب كبير، ف "في" هنا بمعنى: مع

﴿إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي يأتي الله عز وجل مع طبقات من السحاب الأبيض البارد وتأتي الملائكة أيضا صفا، صفا وهذا لعظمة الله سبحانه وتعالى

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فيفصل الله بين العباد سبحانه وتعالى وفي هذا تهديد لأولئك العصاة في ذلك الموقف العظيم، فينبغي على المؤمن أن يتقي الله عز وجل، أن يتقي ذلك اليوم الذي يأتي الله عز وجل فيه ليفصل بين العباد ويوضع فيه الكتاب، على المؤمن أن يتذكر ذلك اليوم وأن لا ينساه أبدا وأن يتقي الله عز وجل وكل ما دعته نفسه إلى معصية فليتذكر هذه الآية، وأن الله عز وجل يأتي في ظلل من الغمام وصفوف من الملائكة العظام ليفصل بين العباد، ويقضى الأمر، فما فائدة لذة معصية زائلة تعقبها حسرة وضيق في الصدر في الدنيا والوعيد يوم القيامة، نعوذ بالله من سوء الحال.

قال رحمه الله، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] أي ما ينتظر هؤلاء المعرضون المكذبون إلا أن تأتيهم الملائكة عند موتهم، وإذا أتتهم الملائكة عند موتهم فإنهم يلاقون منهم أمرين عسيرين حال خروج الروح، الأول: أنهم يضربون وجوههم وأدبارهم.

والثاني: أنهم يبشرون بسوء الحال (أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج)، فتأتيهم الملائكة عند موتهم لا بالحسنى والبشرى وإنما بما يسوءهم والعياذ بالله من ضربهم وأمرهم بإخراج أنفسهم وتبشيرهم بسوء الحال والعياذ بالله بخلاف المؤمنين الذين يبشرون بخير حال فعند ذاك يحبون لقاء الله فيحب الله عز وجل لقاءهم , الموت يكرهه كل أحد لكن المؤمن حال موته يبشر (أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان) فإذا بشر المؤمن بهذا أحب لقاء الله فيحب الله عز وجل لقاءه ولذلك إذا غسل المؤمن وكفن وحمل على الأكتاف فإنه ينادي من يحملونه ويقول : قدموني، قدموني, أحب لقاء الله فيحب الله عز وجل لقاءه, لكن أولئك المعرضين المكذبين والعياذ بالله متوعدون بأن تأتيهم الملائكة عند موتهم ومجيء الملائكة مجيء حقيقي فإن الملائكة تنزل مع ملك الموت وتجلس من الميت مد بصره ويجلس عنده ملك الموت فإذا خرجت روح الميت لم يدعها الملائكة في يده أعني في يد ملك الموت في يد ملك الموت طرفة عين .

أو يأتي ربك أي يوم القيامة في ظلل من الغمام والملائكة ليفصل بين الخلائق نسيت أن أقول أنه في الآية السابقة في الملائكة قراءتان قراءة بالرفع والملائكة أي وتأتي الملائكة مع ربها وقراءة بالخفض والملائكة أي يأتي الله عز وجل مع ظلل من الغمام ومع الملائكة .

﴿يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: سبحان الله في الآية الأولى إلا أن يأتيهم الله وهذا لا يحتمل غير الله وفي الآية الثانية أو يأتي ربك ولا رب إلا الله سبحانه وتعالى رب محمد صلى الله عليه وسلم ورب العالمين

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ والمقصود ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها وهي آية عظمى من آيات الله عز وجل وإذا طلعت الشمس من مغربها لم تقبل التوبة وسد باب التوبة لأن الخلق جميعا إذا رأوا الشمس قد طلعت من مغربها أدركوا ما هم فيه وآمنوا لكن هذا الإيمان لا ينفع من كان لم يؤمن قبل لأن هذا الإيمان ليس إيمانا اختياريا فالله عز وجل يتوعد هؤلاء بهذه المواقف العظيمة أن يموت أحدهم وإذا مات أتته الملائكة على ما ذكرنا أو يبقى إلى آخر الزمان إن كان من أهل آخر الزمان فتطلع الشمس من مغربها فلا تقبل التوبة ولا يقبل الإيمان لمن لم يكن مؤمنا قبل ذلك , أو الحساب ولابد من إدراك هذا وهذا وعيد شديد تنخلع له القلوب وتخاف من الله خوفا شديدا والعجب أن المؤولة قد أولوا

هنا بتأويلات عجيبة جدا فلم يسهل عليهم أن يؤمنوا بقول الله كما قال الله فارتكبوا أنواعا من التأويلات فقال بعضهم : أو يأتي ربك يعني أو يأتي أمر ربك وهذا التأويل يرده مجموع الآيات الذي يدل دلالة بينة على أن الذي يأتي هو الله عز وجل ومن أعجب ما قرأت أن بعض أئمة التأويل أولوا هذه الآية بشيء عجيب قالوا معنى أو يأتي ربك أن يأتي ملك كان يربي محمدا فهو الملك الذي ربى محمدا فاخترعوا ملكا يربي محمدا صلى الله عليه وسلم وأولوا النص به والعقل إذا لم يضبط بالشرع يهيم بصاحبه في الأودية ولذلك من أجمل عبارات العلماء عبارة تنفع الإنسان في حياته كلها في اعتقاده في فهمه في دنياه العاقل يقيد عاطفته بعقله ويقيد عقله بالنقل إذا أردت أن ترتاح في كل شيء فقيد عاطفتك بعقلك العاطفة قد تدعوا الإنسان إلى أمور يندم عليها بعد ذلك فالعاقل لا يستجيب لاشتعال العاطفة ولكنه يقيدها بالعقل وينظر بعقله في مآلات الأمور ثم العاقل الموفق يقيد عقله بالنقل ويضبط عقله بالنقل فيصير على صراط مستقيم في حياته الدنيوية وأموره الدنيوية وفي عقيدته وفي جميع أموره وما من عبد يطلق لعاطفته العنان إلا ندم وما من عبد يكتفي بعقله عن النقل إلا هوى وغوى والعقل عند المؤمن مُقيد بالنقل ولا عكس، فالنقل لا يُقيد بالعقل، والعقل السليم لا يُعارض النقل الصحيح. هذا التقسيم يدل دلالة بينة على أن المقصود أن الله عز وجل يأتي إتيانا حقيقيا يليق بجلاله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا • وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢١-٢٢] .

﴿كَلَّا ﴾:للتنبيه، ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ فدكت جبالها، وسويت وأصبحت كالأديم الممدود لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، مستوية وذلك في يوم القيامة.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾: الملك هنا جنس وليس واحدا، فالملائكة تأتي صفا، صفا في ذلك اليوم من إجلال الله عز وجل، ومن هيبتها وخوفها من الله عز وجل فتقوم الملائكة في ذلك الموقف صفوفا لا يتكلمون، ففي هذه الآية دلالة بينة على مجيء الله عز وجل مجيء حقيقيا .

قال رحمه الله وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾[الفرقان٢٥]

الأرض تُدك والسماء تشقق ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾، تشقق تدل على أنها تنشق شيء فشيئا، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ تشقق السماء فيثور منها السحاب الأبيض طبقات، طبقات.

﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ تقول ما علاقة هذه الآية بالآيات السابقة، الآيات السابقة تتكلم عن إتيان الله ومجيء الله، وهذه الآية ليس فيها ذكر إتيان الله ومجيء الله فهل غفل شيخ الإسلام رحمه الله وذكر هذه الآية في غير موطنها ؟

الجواب : لا، اربط هذه الآية بالآية الأولى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وهذه الآية ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ هذه ضلل الغمام طبقات السحاب الأبيض البارد تثور ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ إذن مقصود هذه الآية إتيان الله عز وجل وأن الله عز وجل يأتي في ضلل من الغمام والملائكة، فهذه الآية تُربط بالآية الأولى , وإذا ربطناها بالآية الأولى عرفنا المراد، وتبين لنا المراد من هذه الآية، ومن إيراد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لهذه الآية

بهذا نعرف ونوقن أن ربنا سبحانه وتعالى يأتي ويجئ متى شاء كيف شاء، وهذا لا ينافي علوه سبحانه وتعالى كما سنتكلم عن هذا عندما نتكلم عن صفة النزول ونبسط هذا الكلام إن شاء الله هناك , ثم سيأتي في الأحاديث مزيد كلام عن مجيء الله عز وجل وإتيانه عندما يذكر شيخ الإسلام بعض الأحاديث التي تدل على صفات الله عز وجل

أسأل الله عز وجل أن يزيدنا إيمانا به ومعرفة به وأن يجعلنا من عباده الذين يخشونه .

مراد شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– أن يبين أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي عين ما ورد في الكتاب والسنة، فقول أهل السنة والجماعة هو قول الله–عز وجل– وقول رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة على ذلك، ولا نقصانٍ عن ذلك.

فالواجب على المؤمن أن يعتقد عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن يصدق بها، لأن في هذا تصديق قول لله–عز وجل– وتصديق قول رسوله– صلى الله عليه وسلم– كما أن في هذه الطريقة بيان أنّ من يعيبُ

عقيدة أهل السنة والجماعة، ويرمي أهل السنة والجماعة بالألقاب القبيحة من أجل عقيدتهم، فإنه في حقيقة الأمر إنما يعيبُ قول الله عز وجل، ويعيبُ قول رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولذا فحقيقة الأمر أن مخالفة عقيدة أهل السنة والجماعة كُفرٌ في ذاتها من جهة كون ذلك رداً وتكذيباً لما في الكتاب والسنة، وإن كان المخالف لا يحكم بكُفره بعينه وإن قال كُفراً أو اعتقد كُفراً

والتأويل مانعٌ من تكفير الأعيان، كما أن سبّ أهل السنة والجماعة، وشتم عقيدتهم كُفرٌ؛ لأنه سبٌّ وشتمٌ لما في كتاب الله، ولما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان لا يلزم من ذلك أن يكون الشاتم لعقيدة أهل السنة والجماعة كافراً، لأن القوم لايدركون هذه الحقيقة، وأن عقيدة أهل السنة والجماعة هي عين ما في الكتاب والسنة

وقد شرحنا جُزءاً من هذا الكتاب ولازلنا مع الآيات الكريمات الشريفات التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله عز وجل–لبيان أن عقيدة أهل السنة والجماعة، مطابقة تمام المطابقة لقول الله –عز وجل–ثم ستأتي أحاديث يوردها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– لبيان أن عقيدة أهل السنة والجماعة مطابقة تمام المطابقة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونواصل شرح هذا الكتاب والتعليق على ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من النصوص فليتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأُ لنا من حيث وقفنا،

وقوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]

هذه الآية العظيمة فيها إثبات الوجه لربنا سبحانه وتعالى حيث قال الله عز وجل: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ فأضاف الوجه إلى الله، والعلماء يقولون: إنّ الإضافة إلى الله نوعان:

- إضافة صفات؛ وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف
- وإضافة أعيانٍ قائمة بذاتها؛ وهذا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، مع تشريف ذلك المخلوق، فيقال: بيت الله، ويقال: ناقة الله، وهكذا...

والذي معنا هنا من النوع الأول وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو؛ بالرفع وهذه قراءة العامة

وهذا وصفٌ للوجه؛ فوجه ربنا سبحانه وتعالى موصوفٌ بأنه ذو الجلال والعظمة والهيبة والإكرام

فالله عز وجل يُكرم أهل الجنة بالنظر إلى وجهه الكريم؛ حيث يكشف الحجاب سبحانه وتعالى ويزيدهم على نعيمهم أعظم من نعيمهم ألا هو النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى، ولذة النظر إلى وجه ربنا لا يُدانيها لذة أبداً فهو نعيمٌ أعظم من نعيم أهل الجنة يزيده الله عز وجل لأهل الجنة، فوجه ربنا موصوفٌ بالجلال والإكرام، كما أنه موصوفٌ بالسُّبحات.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))، رواه مسلم في الصحيح

فوجه ربنا له حجابٌ من نور رحمةً من ربنا بخلقه ولخلقه، فإنه لو لم يكن لوجه ربنا حجابٌ لأحرقت عظمة وجه ربنا، وهيبة وجه ربنا، وبهاء وجه ربنا، ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبصر ربنا ينتهي إلى كل خلقه، فلو لم يكن ذلك الحجاب لاحترق جميع المخلوقات، ولكن الله رحم خلقه فجعل حجابًا لا يُكشف إلا إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأصبح أهل الجنة يطيقون النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

وهذه الآية لها دلالتان: دلالة مطابقة، ودلالة لزوم

- أما دلالة المطابقة فإنها تدل على أن كل شيءٍ يفنى إلا وجه الله سبحانه وتعالى فإن وجه الله باقٍ
- وأما دلالة اللزوم فإنها تدل على أن الله يبقى، تدل بالمطابقة على أن وجه الله يبقى ولا يفنى، وتدل باللزوم على أن الله يبقى ولا يفنى
- وذلك أيها الأحبة أن بقاء الصفة يلزم منه بقاء الموصوف؛ لأنه لا قيام للصفة إلا بالموصوف، فإذا ثبت أن الصفة تبقى، فإن لازم ذلك أن الذات الموصوفة بتلك الصفة تبقى، فدلت هذه الآية بمطابقتها على أن وجه ربنا الكريم يبقى ولا يفنى، ودلت بلزومها على أن ربنا الكريم سبحانه وتعالى يبقى ولا يفنى.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]

هذه الآية مثل الآية التي قبلها تدل على ثبوت الوجه لربنا سبحانه وتعالى، وأن كل شيءٍ يفنى، إلا وجه الله سبحانه وتعالى، وذلك عند الصَّعق؛ حيث يُصعق جميع المخلوقات ولا يبقى حيٌّ، وإنما يبقى وجه ربنا، وربنا سبحانه وتعالى، ثم يكون البعث كما تعلمون، وكما هو مقرَّرٌ في عقائد أهل السنة والجماعة.

وفي هاتين الآيتين إثباتُ الوجه لربنا سبحانه وتعالى؛ وثبوت الوجه لربنا قد جاء في نصوصٍ كثيرةٍ جدًا من الكتاب كما سمعنا في هاتين الآيتين، ومن السنة كقول النبي صلى الله عليه وسلم لسعدٍ رضي الله عنه: ((إنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تضعُ في فِيّ امرأتك)) متفقٌ عليه

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وأسألك لذة النظر إلى وجهك)) رواه النسائي وصححه الألباني.

وقد أجمع سف الأمة على إثبات الوجه لله عز وجل على ما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى، ولم يُنقل عنهم حرف في تأويل وجه ربنا سبحانه وتعالى، بل المنقول عنهم الإجماع على إثبات الوجه لله حقيقةً على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى مع التنزيه التام عن مشابهة المخلوقين

يقول ابن القطان: أجمعوا على أن لله وجهًا

ويقول الشافعي: وأن له وجهًا

ويقول ابن خزيمة بعد أن ذكر جملةً من النصوص في إثبات الوجه، قال: فنحنُ وجميع علمائنا نقرُّ بذلك بألسنتنا، ونصدِّق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبِّه وجه خالقنا بوجه أحدٍ من المخلوقين، عزَّ ربنا أن يشبه المخلوقين، وجلَّ ربنا عن مقالة المعطلين

وقال الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله: الوجه صفةٌ من صفات الله عزَّ وجل وصف بها نفسه، فعلينا أن نصدِّق ربنا، ونؤمن بما وصف به نفسه، مع التنزيه التام عن مشابهة صفة المخلوقين.

الوجه هو ما تكون به المواجهة، ويوصف به الله حقيقةً ولا يُشبَّه وجهه بوجه المخلوق، وهذا ليس بغريبٍ أيها الأخوة، فإن وجه الإنسان وجهٌ حقيقي، ووجه البقرة وجهٌ حقيقي، ولاشك أن كل عاقل يُدرك أن وجه البقرة لا يشبه وجه الإنسان، وأن وجه الإنسان لا يشبه وجه البقرة، ووجه البقرة وجهٌ حقيقي، ووجه الفيل وجهٌ حقيقي، وكل عاقلٍ يدرك أن وجه البقرة لا يشبه وجه الفيل إلا في المعنى الكلي.

والمقصود من هذا أن نتبين أيها الأخوة أنه لا يلزم من إثبات الحقيقة وجود التشبيه، وهذا ما لم يدركه المؤولة، فكلما سمعوا صفةً تصوروا التشبيه، فلما تصوروا التشبيه، أرادوا تنزيه الله عن التشبيه بالتأويل، ولو أدركوا هذه الحقيقة لسلموا من هذه الآفة؛ وهو أنه لا يلزم من إثبات الحقيقة وجود التشبيه أبدًا

وأهل السنة والجماعة كما ذكرت مطبقون على إثبات هذه الصفة على هذه الحقيقة من غير تشبيه لوجه ربنا سبحانه وتعالى. والمخالفون لأهل السنة والجماعة في هذا الباب طائفتان:

***طائفةٌ ضلت ضلالا مبينا**، بل قالت كفرًا بيّنا، فشبهت وجه الله بوجوه خلقه، وقالوا: لله وجهٌ كوجوهنا، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا.

***وطائفةٌ أوَّلت الوجه ولم تُثبت لربنا وجهًا**، فكأنهم يزعمون أنهم أعلم بالله من الله، فالله يثبت لنفسه وجهًا وهم يقولون: لا، يتنزه ربنا عن الوجه، والنبي صلى الله عليه وسلم يثبت لربنا وجهًا وهم يقولون: لا، نحن أعلم بربنا من نبيه صلى الله عليه وسلم، وتصور هذا كافٍ في رد التأويل، هذه الطائفة أولت الوجه بتأويلات كثيرة، أشهرها عندهم: أن الوجه هو الذات وأن المراد بالوجه في هذه الآيات الذات فيقولون: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾، وجه هنا: صلة زائدة؛ يعني ليس لها معنى، والمعنى : (ويبقى ربك ...) وهذا تأويل بارد؛ لأن ظاهر النص واضح جدا أن الإثبات للوجه، وما كان ربنا عاجزا أن يقول " ويبقى ربك" فلماذا هذا التطويل لو كان المراد: الرب، لماذا يذكر مع الرب الوجه والمراد هو الرب مباشرة لا شك أن هذا لا يليق بالفصاحة؛ لأنه لو كان المراد الذات لكانت الآية هكذا:

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ لأن الرب هنا مجرور فينبغي أن تكون صفاته مجرورة، فلو كان الأمر كما يقولون لكانت الآية على هذا:

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ لكن الآية هكذا:

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾والصفة تتبع الموصوف

فهذا وصفٌ للوجه فدل ذلك على أن المراد الوجه، وليس المراد الذات وهذا يكفي في الحقيقة في رد هذا التأويل.

وأما التأويل الثاني عندهم فقالوا: الوجه معناه الثواب، فوجه الله هو ثواب الله، وهذا في الحقيقة تأويل أبرد مما قبله فإنه مخالف لظاهر النص، ومخالف لإجماع السلف الصالح رضوان الله عليهم، وبعيد جدا.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعنا كان يقول "وأسألك لذة النظر إلى وجهك " فهل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله لذة النظر الى الثواب هذا لا يعقل ولا يكون.

وثبت بالنصوص الصريحة الصحيحة أن الله عز وجل يكشف الحجاب عن وجهه لأهل الجنة وينظرون الى وجهه فهل المراد هنا الثواب، وقد أثيبوا ودخلوا الجنة، أيضا ثبت في أحاديث كثيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بوجه الله: أعوذ بوجه الله الكريم، في أحاديث كثيرة.

فلو كان المراد الثواب لما استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بوجه الله، لأن الثواب مخلوق وبالإجماع الاستعاذة بالمخلوع كفر، فكيف ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما هو كفر " أعوذ بالله من سوء الحال ".

لو كان المراد بوجه الله الثواب لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أعوذ بوجه الله " فلما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة أنه استعاذ بوجه الله علمنا يقينا أنه ليس المراد بالوجه الثواب؛ فتعين تعينا واضحا إثبات الوجه لله عز وجل على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى من غير تشبيه لوجه ربنا بوجوه المخلوقين .

قال رحمه الله وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾

في هذه الآية إثبات اليد لله سبحانه وتعالى حيث يخاطب الله عز وجل إبليس الذي امتنع من السجود لآدم عليه السلام الذي أمر الله عز وجل بالسجود له بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي ما منعك أن تسجد لمخلوق أظهرت شرفه من بين المخلوقات، فالمخلوقات خلقتها بقولي كن، وهذا المخلوق مع عدد قليل من المخلوقات خلقته بيدي، إظهارا لشرفه وبيانا لمقامه، ثم أمرت الملائكة بالسجود له. فدل ذلك على أن لله يدين على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى من غير تشبيه ولا تعطيل.

وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]

قالت اليهود يد الله مغلولة؛ فكانت اليهود تثبت لله يدا ولكنهم ينسبون إلى الله القبائح – قبحهم الله حيثما كانوا – اليهود لا يأتون إلا بشر.

قالت اليهود يد الله مغلولة؛ – نعوذ بالله – يقولون الله بخيل ولو لم يكن الله بخيلا لكان جميع الناس أغنياء؛ لحبهم للمال وعبادتهم للمال يزِنون الأمور هكذا. قالوا الله بخيل – أعوذ بالله مما قالوا، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا

يقولون ولولا ذلك لكان جميع الناس أغنياء قلنا حكمة الله أن قسم الأرزاق بين الناس لتستقيم حياتهم لو كان جميع الناس أغنياء لما أطاقوا العيش فمن الذي يخدم، ومن الذي يعمل ، الكل غني، كيف تقوم الحياة؟ حكمة الله عظيمة ويد الله مبسوطة ما من إنسان إلا والله قد أعطاه وأعطاه ولو كان أفقر الناس، ولكنهم قوم يفترون.

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فحكم الله عليهم بما نسبوه إليه فكان اليهود أحرص الناس على جمع المال، وأبخل الناس بالمال؛ لأن الله حكم عليهم بهذا﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فهم يعذبون بجمع المال ولا يتمتعون به على وجه الحقيقة.

﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾؛ طردوا من رحمة الله سبحانه وتعالى.

﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ فيدا الله سبحانه وتعالى ملأى ينفق كيف يشاء ولا ينقص ذلك من ملكه شيئا سبحانه وتعالى.

ففي هاتين الآيتين إثبات اليدين لله عز وجل، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة ففي أحاديث كثيرة جاء إثبات اليدين لله عز وجل وأجمع على ذلك سلف الأمة

قال أبو الحسن الأشعري: وأجمعوا على أن الله عز وجل يسمع ويرى وأن له تعالى يدين مبسوطتين واليدان ثابتتان لله تعالى على وجه الحقيقة.

وقد جاء وصف الله باليد مفردة، ومثناة، ومجموعة ، كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ وكما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)) رواه مسلم في صحيحه.

وهذا لا ينفي أن لله يدين, فإن الاثنين يجوز أن يعبرا عنهما بالجزء باليد, فأقول لك يدك مع أن لك يدين, أيضا المفرد المضاف يعم فهنا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ﴾؛ يد مفرد مضاف إلى الضمير فتعم اليدين.

وجاء مثنى بالتثنية كما معنا هنا, وقد أجمع السلف أن لله يدين اثنتين, وكلتا يديه يمين له يدي يمين وله يد أخرى وكلاهما يمين شرفا وفضلا

ربنا الكريم سبحانه وتعالى له يدان يد يمنى ويد أخرى وكلتا اليدين يمنى شرفا وفضلا وإنفاقا سبحانه وتعالى، وجاءت مجموعة كما في قول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ فجاءت مجموعة والمقصود اليدان, وإطلاق الجمع على الاثنين مستعمل شرعا ولغة

يقول الله عز وجل: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾،﴿إِن تَتُوبَا﴾ اثنتان ﴿ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ جمع, فأطلق الجمع على القلبين وإلا فالمراد: فقد صغا قلباكما

أيضا قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ والمقصود لاشك أنه ليس قطع الأيدي الأربع وإنما قطع يدين, فإطلاق الجمع على الاثنين مستعمل في الشرع ومعروف في لغة العرب

فإلزام المؤولة لأهل السنة بأن وجود اليد المفردة والأيدي يلزم منها التأويل باطل لأن الكل يرجع إلى اليدين ولا نكارة في هذا, بل هذا أمر معلوم

فإن قال لنا قائل: لماذا لا تثبتون لله أيدي؟

قلنا: لأن النصوص المفصلة أثبتت يدين وذلك في مقام الامتنان فلو كان لله أكثر من يدين لذكر الله ذلك

فلما ذكر الله في مقام الامتنان في هاتين الآيتين المذكورتين هنا ذكر اليدين علمنا أن لديه يدين سبحانه وتعالى وأنها ليست أكثر من ذلك

كما أن السلف قد أجمعوا على أن لله يدين, فإثبات أيدي متعددة مخالف لما أجمع عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم

والله عز وجل يفعل بيديه ما شاء, ومن ذلك أنه خلق آدم بيديه كما في هذه الآية التي معنا ومن ذلك أنه كتب التوراة بيده، ففي صحيح مسلم أن آدم عليه السلام قال لموسى: ((أنت يا موسى قد اصطفاك الله بكلامه, وخط لك التوراة بيده))

وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ((خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش, والقلم, وآدم, وجنّة عدن)) ، [رواه الدارمي واللالكائي, قال الألباني: يسند صحيح على شرط مسلم]

وهذا يا إخوة مثال لما ذكرنا لكم الموقوف الذي له حكم الرفع فإن مثل هذا لا يقال بالرأي والاجتهاد فيكون مرفوعا حكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالله عز وجل خلق قليلا من المخلوقات بيده وخلق المخلوقات الأخرى بقوله كن.

فإن قال قائل فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾؟

قلنا: ﴿ بِأَيْدٍ﴾ يعني بقوة, يعني خلقنا السماء قويةً.

قال:ها، آ أوَّلتم فيلزمكم أن تؤولوا النصوص الأخرى

قلنا: إنما أصبت من جهة جهلك بلغة العرب فإن ﴿ بِأَيْدٍ﴾ ليست جمعا ليد وإنما الأيد هو القوة. يقال: رجلٌ أيدٌ يعني قوي, فالأيد غير الأيدي.

قال ابن خزيمة رحمه الله : "وزعم بعض الجهمية أنّ معنى(خلق الله آدم بيديه) أي بقوته, وهو جهلٌ بلغة العرب, والقوة إنّما تسمى الأيد في لغة العرب لا، الأيد وفرق بين اليد والأيد، هذا كلام ابن خزيمة اسمعوا ماذا يقول

يقول: " فمن لا يفرق بين الأيد والأيدي فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتاتيب أحوج"

معروف أن الكتاتيب يا إخوة هي التي يعلم فيها الصغار, يعني يقول الذي لا يعرف الفرق بين اليد والأيد لا يصلح أن يتكلم في العلم أصلا فضلا (..) ٣٨: ١٨أن يتكلم في أشرف العلوم وهو صفات الله سبحانه وتعالى وإنما هذا يحتاج أن ندخله الكتاتيب حتى يتعلم وحتى يعرف

فالشاهد أنّ أهل السنة والجماعة أثبتوا لله عز وجل يدين على ما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى من غير تشبيه ومن غير تعطيل. وهم بذلك طابقوا تمام المطابقة قول الله عز وجل وقول النبي صلى الله عليه وسلم

وأما من خالفوا أهل السنة والجماعة فإنّهم تأولوا اليدين بالقوة والحقيقة أنّ من نظر في هاتين الآيتين علم يقينا أنه ليس المراد باليدين: القوة والقدرة, فإنّه لو كان المراد باليدين القوة والقدرة هل لآدم مزية؟

كل المخلوقات قد خلقها الله بقوته وقدرته, فلو كان المراد باليدين أو باليد القوة والقدرة لما كان لآدم مزية على بقية المخلوقات, والله ذكر هذه الآية في مقام بيان مزية آدم على المخلوقات, وإقامة الحجة على إبليس, ولو كان المراد باليدين ما ذكره هؤلاء لما قامت الحجة على إبليس هم نصروا إبليس ما تقوم عليه الحجة؛ لأن لإبليس أن يقول وماذا في هذا؟ أنا خلقتني بيديك!

لأن إبليس خلقه الله بقدرته وقوته وأيضاً ٤٠: ١بقول الله عز وجل: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ كيف توصف القوة بالبسط﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾

وأيضاً ذكر العلماء أن إفراد اليد وتثنية اليد وجمع اليد في النصوص يأبى أن يكون المراد باليد القدرة والقوة فإن اليد لا تأتي بمعنى القوة والقدرة إلا مفردة فالشاهد أن بطلان التأويل واضح جداً وتدل عليه أدلة كثيرة جداً

نسأل الله عز وجل أن يفقهنا في دينه وأن يجعلنا ممن تعرَّف إلى ربه وقدر ربه قدره وآمن بما في كتاب الله وبما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلِم من التشبيه القبيح ومن التعطيل المنكر وكان على عقيدة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أخذوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن درسنا في مسجد نبينا صلى الله عليه و سلم في فجر السبت هو في شرح كتاب العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عز وجل ونحن في هذه الرسالة نتعرف على ربنا من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فنسمع كلام ربنا عن ربنا ثم في قادم الأيام إن شاء الله سنسمع كلام نبينا

صلى الله عليه وسلم عن ربنا فنتعرف إلى ربنا سبحانه وتعالى معرفة صحيحة سليمة ونعرف اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات ربنا سبحانه وتعالى وأن اعتقاد أهل السنة والجماعة مطابق تمام المطابقة لقول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم فهو الاعتقاد الذي يجب لزومه ويحرم ذمه وأن من ذم اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات الله عز وجل فقد ذم كلام الله سبحانه وتعالى وذم كلام رسوله صلى الله عليه وسلم من حيث لا يشعر وإنَّما أُتي من جهله بكلام الله وبكلام رسوله صلى الله عليه و سلم

وقد تقدم شرح عدد من الآيات التي أوردها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ليثبت إثباتا قاطعا أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي عين قول الله عز وجل في كتابه

ونواصل في هذا المجلس شرح بعض الآيات التي أوردها رحمه الله عز وجل ونقف مع المقصود منها ومع معانيها فيتفضل الابن نور الدين وفقه الله والسامعين يقرأ لنا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في عقيدته الواسطية وقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور ٤٨].

في هذه الآية العظيمة يأمر الله عز وجل عبده بالصبر لحكمه وحكم الله هنا يشمل الحكمين؛ الحكم القدري والحكم الشرعي فهو أمر بالصبر بأنواعه الثلاثة:

- أمر بالصبر على طاعة الله.
- وأمر بالصبر عن معصية الله وهذا يتعلق بالحكم الشرعي.
- وأمر بالصبر على أقدار الله وهذا يتعلق بالحكم القدري.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾والباء هنا للمصاحبة تقول لابنك أنت بعيني أي أن عيني مصاحبة لك أراقبك فلا أهملك فالباء هنا للمصاحبة.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾جمع عين وفي هذه الآية إثبات العين لله سبحانه وتعالى وهذه صفة ذاتية خبرية وإذا قيل في الصفة إنها ذاتية خبرية فمعنى كونها ذاتية أنها ملازمة لذات الله سبحانه وتعالى وإذا قيل عنها بأنها خبرية فإنها إنما تُؤخذ من الخبر المحض وقد أجمع السلف الصالح من الصحابة والأئمة الكبار على إثبات العين لله عز وجل وأجمعوا أن لله عز وجل عينين ينظر بهما حقيقة ويرى بهما حقيقة على الوجه اللائق لجلاله سبحانه وتعالى

وقد دل على أن لله عينين الحديث والإجماع ودليل الكمال أما الحديث فهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن ربكم ليس بأعور) والحديث في الصحيحين ومعلوم أن العور هو ذهاب ضوء إحدى العينين أو انخساف إحدى العينين فهذا الحديث يدل على أن لربنا سبحانه وتعالى عينين وقد أجمع السلف على هذا الأمر فأطبقوا على أن لله عينين أجمع على ذلك الصحابة ومن بعدهم من أئمة الإسلام ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع الحادثون المحدثون فلا التفات إلى اتفاقهم ولا اعتبار بخلافهم

وأما دليل الكمال فإن القاعدة وقد تقدمت مرارا وتكرارا معنا أن:

كل كمال لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه للمخلوق فالله أحق به

فمعطي الكمال أولى بالكمال كل كمال للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فان الله أولى به وكل نقص يتنزه عنه المخلوق فالله أولى أن ينزه عنه.

ولا شك أن العينين كمال في المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالله أولى بالاتصاف بذلك ولا شك أن العين الواحدة نقص في المخلوق يتنزه المخلوق عن أن يوصف بذلك فالله أحق أن يُنَزَّه عن ذلك ولا شك أن زيادة العيون عن العينين نقص في المخلوق فالله أحق أن يُنَزَّه عن ذلك.

وهذا الدليل إنما هو تابع للخبر ولو لم يثبت الخبر لم يكن لهذا الدليل مكان هنا؛ لأن قلنا إن هذه الصفة خبرية إنما تثبت بالخبر مطلقا.

فإن قال قائل: إن الله عز وجل قال في هذه الآية: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ وهذا جمع.

قلنا: إن الجمع لا ينافي التثنية لا ينافي أن لله عينين وذلك لوجوه:

الوجه الأول: أن نقول بالقول القائل: إن أقل الجمع اثنان فالاثنان فما فوقهما جماعة فيكون الجمع دالا عن الاثنين.

والوجه الثاني: أن نقول إن هذا المذكور هنا جارٍ على أسلوب عربي فصيح وهو التناسب بين المضاف والمضاف إليه فإذا كان المضاف إليه جمعا فيحسن جمع المضاف ما لم يكن هناك محظور فلما كان المضاف إليه هنا جمعا على سبيل التعظيم ناسب أن يكون المضاف جمعا إذ لا محظور هنا.

والوجه الثالث: أن نقول: إن المثنى قد يطلق عليه لفظ الجمع عند أمن اللبس كما في قول الله عز وجل: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] وهما قلبان وقول الله عز وجل: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] وهما يدان.

فلا إشكال في هذا بل هو جارٍ على الأساليب العربية الصحيحة.

وقوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٣-١٤]

﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي حملنا نوحا ومن معه.

﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾ أي السفينة.

﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ أي مسامير تُشَدُّ بها تلك الألواح.

﴿تَجْرِي﴾ في البحر

﴿ بِأَعْيُنِنَا﴾ كما في الآية السابقة الباء للمصاحبة وهي متضمنة معنى الحفظ والرعاية

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ كما تقدم في الآية السابقة.

﴿جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ فهذه الآية أيضا تدل على إثبات العين لله سبحانه وتعالى

وقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]

﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ أي لتربى

﴿عَلَىٰ عَيْنِي﴾ وفي هذا إثبات العين لله عز وجل وعين هنا مفرد فهل تنافي أن لله عينين؟

الجواب: لا؛ لأن عين هنا مفرد مضاف والمفرد المضاف يعم جميع أفراده فيدل على العينين وليس عينا واحدة.

فهذه الآيات تدل بدلالة المطابقة على أن لربنا سبحانه وتعالى عينا يرى بها ويبصر بها على وجه الحقيقة.

وقد أجمع السلف على أنهما عينان والواجب في مسائل الاعتقاد لزوم ما أجمع عليه السلف فلا يجوز الخروج عما أجمع عليه السلف بحججٍ تدل على عدم فهم.

فبعض الناس قد يأتي فيقول: نُثبت لله أعيننا؛ لأنها جاءت جمعا في الآيات.

فنقول: أخطأت مرتين أما:

المرة الأولى: فلأنك تركت ما أجمع عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم من إثبات العينين.

وأما المرة الثانية: فلأنك لم تفهم الجمع على الأساليب العربية الصحيحة.

فالواجب على المؤمن أن يثبت لخالقه سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه من العين وأن يلزم ما أجمع عليه السلف من أن لله عينين وقد دل على ذلك الحديث الصحيح الذي سمعناه.

ومما ينبغي أن تعلمه أيها العبد المبارك أن هذه الآيات لها دلالتان: دلالة مطابقة ودلالة لزوم.

أما دلالة المطابقة: فإنها تدل على العينين والرؤية بالمطابقة.

وأما دلالة اللزوم: فإنها تدل على الرعاية والحفظ والكلاءة.

فلازِمُ قول الله عز وجل: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ الحفظ والرعاية والكلاءة فهي تدل على هذا بدلالة اللزوم.

وأهل السنة والجماعة يثبتون الدلالتين فإذا وجدت عالما من علماء السلف فسر الآية بمعنى الحفظ الرعاية والكلاءة فاعلم أنه يتكلم عن دلالة اللزوم ودلالة المطابقة معلومة.

أما بعض أهل البدع فإنهم يتركون دلالة المطابقة ويحملون الآيات على دلالة اللزوم؛ وهذا تأويل مذموم لا يجوز اتباعه.

فلابد للمؤمن من أن يثبت دلالة المطابقة ثم يثبت دلالة اللزوم

- **قال رحمه الله: و قوله: ﴿قد سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]**

تقدمت آيات ذكرها المصنف رحمه الله عز و جل فيها أن الله سميع بصير وتكلمنا هناك عن صفة السمع وعن صفة البصر وبيَّنَّا أن السلف قد أجمعوا على أن الله عز وجل سميع وعلى أنه سبحانه يسمع سمعا يليق بجلاله سبحانه وعلى أنه سبحانه بصير وأنه يبصر بصرا يليق بجلاله سبحانه فهو سبحانه يبصر وينظر ويرى ويدرك المبصرات ويسمع سبحانه ويدرك الأصوات

وقد تقدم الكلام عن هذا مفصلا ولكن الشيخ رحمه الله أورد هنا آيات تدل دلالةً قطعية بينة على أن الله عز وجل يسمع الأصوات حين حدوثها ويرى الأشياء عند حدوثها فربنا سبحانه وسع سمعه

الأصوات لا يغيب عن سمعه صوت ووسعت رؤيته المبصَرات لا يغيب عنه منها شيء فهو سبحانه وتعالى يسمع الأقوال إذا وجدت مع كثرتها وتباينها ما بين مرتفع وخفي لا يغيب عن سمعه منها صوت ولا يختلط منها صوت بصوت

فعندما قمنا في صلاة الفجر فقلنا جميعا الله أكبر سمع الله قولنا جميعا عندما قلنا الله أكبر لم يختلط تكبير زيد منا بتكبير عمر ولم يخفَى عن ربنا تكبير شخص منا وهكذا عندما نقوم ندعو فإن ربنا يسمع صوتنا و كلامنا عندما ندعو لا يغيب عنه صوت ولا يختلط عليه صوت بصوت سبحانه تعالى وهو يرى ببصره الأشياء عند حدوثها يحيط بصره بها فلا يغيب عنه شيء صغير ولا كبير سبحانه وتعالى.

وشيخ الإسلام هنا يرد على طائفتين بهذه الآيات:

- طائفة تزعم أن سمع الله في الأزل وأن الله لا يسمع عند حدوث الأصوات فيقول نعم نقول إن الله سميع لكن سمع الله قديم في الأزل ولا نقول إنه يسمع صوت المتكلم عند كلامه وهذه الآيات ترد على هذه المقولة ردا بينا واضحا.
- والطائفة الثانية: تزعم أن معنى سِمع الله أسمع الله فيقولون معنى سِمع الله أن الله أسمع غيره لا أنه سبحانه قد سمع وأنه مسمع معنى سميع مسمع لغيره وهذه الآيات ترد على هذا الزعم الباطل ردًّا بينًا فالله عز وجل يقول في هذه الآية: ﴿قد سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾

قد؛ للتحقيق﴿قد سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي سمع قولها و سمع قولك

فتقول أمنا عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات رواه البخاري

وعند النسائي وابن ماجة و صححه الألباني؛ قالت: (الحمد الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول فأنزل الله﴿قد سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾)

ففي هذه الآية، دلالة بينة قاطعة على أن الله سمع شكواها عندما اشتكت وسمع رد النبي صلى الله عليه وسلم عندما رد عليها.

وقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]

هذه الآية أيضا فيها أن الله عز و جل سمع قولهم عندما قالوا هذا القول وبئس ما قالوا.

وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]

في هذه الآية إثبات سمع الله عز و جل للأصوات عند حدوثها ورؤية الله للمبصرات عند حدوثها﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ وهذه المعية بالسمع و البصر كما دلت عليه الآية﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ وهذه هي المعية خاصة التي تتضمن الحفظ والرعاية وهي لعباد الله المؤمنين فمعية الله لعباده نوعان:

معية عامة بسمعه وبصره لجميع خلقه وهي تتضمن الوعيد للفجار والحفظ والرعاية للأبرار فهذه الآية مراد شيخ الإسلام من إيرادها بيان ما ذكرناه وهو أن الله عز وجل يسمع الأصوات عند حدوثها ويبصر المبصرات عند حدوثها.

و قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]

هذه الآية فيها أن الله يسمع السر ويسمع النجوى فهو شاهد على العبد بما يقول والملائكة تكتب ما يقولون ففي هذا بيان أن الله عز وجل يسمع السر عند حدوثه ويسمع النجوى عند حدوثها.

قال رحمه الله: و قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]

ألم يعلم بأن الله يراه حينما يتهدد نبيه يريد أن يؤذي نبيه لكونه يصلي عند الكعبة فهذا يدل على المراد و هو أن الله يرى الأشياء عند حدوثها

قال: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ – ٢١٩]

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيُبصرك سبحانه حين قيامك فهذا دل على المقصود الذي ذكرناه ..و تقلبك في الساجدين

وقوله : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وهذا يدل على أن رؤية الله عز وجل رؤية حقيقية وأنه يراهم حين عملهم لأعمالهم ومما ينبغي أن نعلمه أمران:

الأمر الأول: أن الرؤية تأتي بمعنى العلم وتأتي بمعنى الإدراك بالبصر والذي يدل على هذا المعنى وهذا المعنى هو السياق مثلا: يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا* وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٦ – ٧]

الرؤيا هنا بمعنى العلم ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ يتوهمونه بعيدا وهم يظنون أنهم على علم فيستبعدون البعث ويوم القيامة ونراه قريبا نعلمه قريبا وقول الله عز وجل مثلا:﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨] الرؤيا بمعنى الإدراك بالبصر هذا الأمر الأول

والأمر الثاني: أن هذه الآيات التي سمعناها تدل بدلالة المطابقة على ما ذكرناه وهو أن الله عز وجل يسمع كل صوت عند حدوثه وأن سمعه محيط بالأصوات لا يغيب عنه صوت سبحانه وتعالى، وأن الله يرى الأشياء لا يغيب عن رؤيته شيء سبحانه وتعالى

وتدل بدلالة اللزوم على أن الله يجازي على الأقوال والأعمال فلازم سمع الله للأصوات ورؤيته للأفعال والأشياء انه يجازي عليها إن خيرا فخير و إن شرا فشر كما أنه يلزم من ذلك الوعيد لأعدائه والحفظ لأوليائه تدل الآيات بدلالة اللزوم على الوعيد لأعدائه فإنه يراهم و يسمع كلامهم ومادام أنه يراهم ويسمع كلامهم فإنهم معرضون؛ لأن يأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر وإن أمهلهم فلم يأخذهم في الدنيا فإنهم معاقبون بالعقاب الأليم يوم القيامة في الآخرة وأما أوليائه فإن لازم سمعه لكلامهم ورؤيته لأفعالهم أن يرضى عنهم وأن يجازيهم بالحسنى وأن يكرمهم في الدنيا ويرزقهم الفوز في الآخرة وأن يحفظهم و يكلأهم وهم في دنياهم.

قال رحمه الله وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد ١٣]

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ هنا للسلفي في هذه الآية تفسيران: التفسير الأول: أن معنى ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي و هو شديد الأخذ وقال بعضهم وهو شديد العقوبة وقال بعضهم وهو شديد القوة هذا التفسير الأول للمحال أنه العقوبة أو القوة أو الأخذ

والتفسير الثاني: أن﴿ٱلْمِحَالِ﴾ هو المكر و هذا ذهب اليه جمع من السلف و اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية و شيخ الاسلام ابن القيم أن معنى ﴿ٱلْمِحَالِ﴾ هنا المكر فمعنى و هو﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ وهو شديد المكر والكيد بمن يستحق ذلك وسنتكلم عن هذا بعد أن نفرغ من الكلام عن الآيات.

وقوله:﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل ٥٠]

الله عز و جل يقول: ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا﴾ أي مكرا عظيما أولئك الرهط التسعة الذين يفسدون في الارض و لا يصلحون مكروا بصالح و أهله مكرا عظيما ليقتلوه﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا﴾ اَي مكر الله بهم مكرا أعظم من مكرهم ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ فأخذهم الله بعقوبته ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا* وَأَكِيدُ كَيۡدًا﴾ [الطارق ١٥ – ١٦]

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا* وَأَكِيدُ كَيۡدًا﴾؟ أي أن الكفار المكذبين بالنبي صلى الله عليه و سلم يكيدون له و يمكرون به؛ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه و الله يكيد لأولئك الكفار كيدا أعظم من كيدهم و يملي لهم ليخزيهم في الدنيا و يعذبهم في الآخرة.

وقوله: ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا﴾

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤] أي و مكروا بعيسى عليه السلام ليقتلوه وأوجدوا خائناً من جلسائه ليدلهم عليه ليقتلوه عليه السلام ومكر الله بهم إحقاقا للحق ونصرة لأهل الحق ومجازاة لهم على مكرهم فرفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على ذلك الخائن الذي استعملوه فلما وجدوه أرادوا قتله فقال: إني لست عيسى فلم يصدقوه فقتلوه وظنوا أنهم قتلوا نبي الله عيسى عليه السلام وما قتلوه يقينا.

فهذه الآيات فيها إثبات المكر لله عز وجل والمكر هو: إيصال المكروه إلى الغير من حيث لا يشعر بطرق خفية والمكر من المخلوق قد يكون محمودا وقد يكون مذموما فيكون مذموما إذا كان على سبيل الخيانة والمخادعة والظلم ويكون محمودا إذا كان بحقٍّ على سبيل المقابلة كما يمكر جيش المسلمين بجيش الكفار فهذا مكر محمود؛ لأنه مكر بحق على سبيل مقابلة مكر الكفار

وأما مكر الله فكله محمود وكله عدل و فيه إحقاق الحق والعقوبة بالمثل فهو مكر بمن يستحقه. فيه الأمران الجليلان العظيمان: العدل بإحقاق الحق وإيقاع العقوبة بمن يستحقها

وهذه الصفات و ما يشبهها يُكتفى في إثباتها بما ورد به النص فلا تطلق على الله عز وجل مطلقا هكذا بلا قيد فلا يقال: إن الله تعالى يمكر أو يقال إن الله تعالى يكيد أو إن الله يخادع هكذا؛ لأنها إذا أُطلقت فإنها تحتمل المعنى الممدوح وتحتمل المعنى المذموم وهذا لا يجوز في جناب الله سبحانه وتعالى ولأنها أيضا لم ترد هكذا مطلقة وإنما وردت مقيدة ولا يُشتق منها أسماء لله فلا يقال إن الله عز وجل مخادع أو ماكر أو كائد كما ذهب إليه بعضهم في عدِّ أسماء الله وزعم أنه وصل إلى أشياء لم يصل إليها غيره من العلماء

فأسماء الله عز وجل كلها حسنى ولا تحتمل إلا الحُسن فالأشياء المنقسمة إلى ممدوح ومذموم لا يُسمى بها الله فتعلم بهذا أن الله يوصف بهذه الصفات مقيدةً؛ إما باللفظ و هذا هو الأكثر كما في هذه الآيات:﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ ، ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا* وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ أو مقيدة بالسياق تفهم من السياق كما في قول الله﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ وليست مطلقة وهذا منهج أهل السنة والجماعة في إثباتها

إذن تنبه لهذه الأمور الثلاثة هذه الصفات تُثبت لله على وجه الحقيقة على المعنى المحمود مقيدةً لفظاً أو سياقا هذه القضية الأولى.

القضية الثانية: هذه الأفعال لا تضاف إلى الله مطلقة لأمرين : الأمر الأول أنها لم ترد في النصوص مطلقة ، والأمر الثاني: أنها لو أُطلقت لاحتملت المعنيين: المحمودَ والمذموم .

القضية الثالثة: أن هذه الصفات لا يُشتق لله منها أسماء؛ لأن أسماء الله كلها حسنى لا تحتمل إلا الحُسن فما يحتمل المدح والذم لا يُشتق لله عز وجل منه اسم

تلحظون في الآيات أنه ورد المحال ففيه صفة المماحلة، والمكر والكيد بالنسبة للمحال علمنا أن بعض السلف فسروا المحال بأنه القوة أو الأخذ أو العقوبة فلا يكون ذلك داخلا معنا هنا

وبعض السلف فسروا المحال بالمكر والكيد فيكون المحال هو المكر والكيد وعندنا المكر والكيد والمكر والكيد لفظان بمعنى واحد والفرق بينهما عند أهل اللغة لغوي بحت ليس معنويا

قال بعض أهل اللغة المكر لا يتعدى إلا بالحرف والكيد يتعدى بنفسه ويتعدى بالحرف هذا فرق لغوي أما من حيث المعنى فلا فرق بينهما

وقد علمتَ فيما ذكرت لك أن المكر والكيد هو إيصال المكروه إلى الغير بطرق خفية من حيث لا يشعر وعلمتَ أنه اذا كان بحق ومقابلة فانه محمود وإذا كان بخديعة وظلم فانه مذموم ومكر ربنا سبحانه وتعالى كله محمود.

نواصل شرح العقيدة الواسطية هذا الكتاب الصغير في حجمه العظيم في رسمه الذي حوى أصول عقيدة السلف وبناه شيخ الإسلام رحمه الله على ستة مقاصد عظام:

المقصد الأول بيان مطابقة عقيدة أهل السنة والجماعة للقرآن لفظا ومعنى فألفاظ أهل السنة والجماعة في عقيدتهم هي الألفاظ في كلام الله في القرآن الكريم والمعاني التي يثبتونها هي ظواهر القرآن التي لا شك فيها

والمقصد الثاني: بيان أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي عقيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها اعتقد وبها نطق صلى الله عليه وسلم ولم يأتي عنه حرف واحد يدل على أنه يراد بها خلاف ظاهرها بل أقواله وأفعاله مؤكدات على أن ظاهرها هو المراد فأنت يا عبد الله إذا اعتقدت أن الله في السماء وأنه مستو على عرشه وأنه يتكلم سبحانه وأنه ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله فأنت تعتقد عقيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمقصد الثالث: بيان أن عقيدة أهل السنة والجماعة قد أجمع عليها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخرج حرف واحد منها عن إجماع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي عقيدة الجماعة وبها الاجتماع وما خالفها فرقة وافتراق، افتراق للجماعة وفرقة للحق والهدى.

والمقصد الرابع: بيان أن عقيدة أن أهل السنة والجماعة موافقة للمعقول الصحيح الصريح وكيف لا تكون كذلك وقد قبلها عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يأبى حرفا منها وهو أشرف العقول وقبلتها عقول الأنبياء عليهم السلام، فمن المعلوم أن دين الأنبياء الذي أوحي إليهم من الله واحد لا يختلفون فيه فهي من هذا الباب دين وليست أديانا، فالأنبياء جميعا نطقوا بما اعتقده السلف الصالح رضوان الله عليهم وقبلت عقولهم هذه العقيدة السليمة الصحيحة العظيمة.

للفائدة دين الأنبياء الذي أوحاه الله الأنبياء واحد هو الإسلام هو الحنيفية وإنما اختلف الأنبياء في الشرائع بحسب ما يصلح زمانهم ومكانهم والله عليم حكيم لكن بالنسبة لما يضاف إلى الأنبياء اليوم بعدما دخله التحريف حاشا دين الإسلام فهي أديان بهذا الاعتبار لا بالاعتبار الأول.

أعود فأقول: إن عقول الأنبياء قد رضيت هذه العقيدة وقبلت هذه العقيدة وقبلتها عقول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم أشرف الأمة وأكمل الأمة في كل شيء بل هم أكمل البشر وأشرف البشر بعد الأنبياء عليهم السلام فكيف لا تكون هذه العقيدة موافقة للعقول الصحيحة الصريحة؟.

والمقصود الخامس: بيان أن عقيدة السلف موافقة للفطرة السليمة، فهي سهلة لا حيرة فيها، ولا اضطراب فيها؛ لأنها موافقة لفطرة الإنسان، وإن شئت فخذ مثالا واحدا: إن العبد إذا أصابه كرب، أو أصابه هم وجد قلبه يتجه إلى السماء، يتجه إلى أعلى، إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن هذه هي الفطرة، وهكذا في سائر هذه العقيدة.

والمقصود السادس العظيم بيان أن أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق، فعقيدة أهل السنة والجماعة فيها الوسطية المحمودة شرعا، المحمود فاعلها، التي من تمسك بها عاش على الوسطية، ومات على الوسطية، وبعث على الوسطية.

ومن قرأ هذا الكتاب بتجرد وإنصاف تيقن من هذه الأمور الستة، وعلم صدقها ومطابقتها للواقع، وتيقن أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي العقيدة الصحيحة التي لا يحوز اعتقاد غيرها، ولا يجوز التشنيع

على أهلها، ولا يجوز تقبيحها، بل أيقن أن المشنع على أهلها والمقبح لها على خطر عظيم، وذلك لما تقدم من موافقتها لهذه الأصول الستة العظيمة في شرعنا.

ولازلنا مع المقصد الأول من مقاصد الكتاب، وهو بيان مطابقة عقيدة أهل السنة والجماعة للقرآن لفظا ومعنى، وقد تقدم شرح جزء كبير مما يتعلق بهذا المقصود، ونواصل الشرح لما أورده المصنف رحمه الله وبيان لطائف ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية: وقوله: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾

وقوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

في هاتين الآيتين العظيمتين إثبات صفة العفو والمغفرة لربنا سبحانه وتعالى، فالله سبحانه عفو غفور. والعفو أصله المحو والطمس، ومعناه: محو أثر الذنب، ودفع عقوبته، أو رفع العقوبة بعد وقوعها.

(العفو معناه: محو أثر الذنب)؛ الذنب له آثار، فالعفو من الله معناه: محو أثر هذا الذنب.

(ودفع العقوبة قبل وقوعها)؛ الذنوب لها عقوبات عامة فإذا عفا الله دفع العقوبة عن المذنب وقد تقع العقوبة ثم يرفعها الله بعفوه سبحانه وتعالى والعفوّ صيغة مبالغة تدل على الكثرة فالله سبحانه وتعالى كثير العفو وعفوه سبحانه وتعالى عن قدرة وكرم منه سبحانه وتعالى وعفو الله عام يشمل العباد كلهم وخاص بالمؤمنين هناك عفو عام يشمل جميع العباد، وهناك عفو خاص بالمؤمنين والعفو العام في الدنيا بأن لا يؤاخذ الله العباد بكل ما كسبوا بل يعفو سبحانه وتعالى عن كثير ولو آخذ الله الناس بما كسبوا لما استقرت لهم نعمة ولكانوا في مصائب عظيمة لأن المصائب التي تصيب الناس إنما هي بسبب ذنوبهم لكن الله من رحمته يعفو عن كثير ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾ الشورى: ٣٠

والعفو الخاص بالمؤمنين في الدنيا والآخرة فالله يعفو عن المؤمنين في الدنيا ويعفو عنهم في الآخرة وربنا سبحانه عفوٌّ يحب العفو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل عفو يحب العفو) كما عند الإمام أحمد وفي الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأمنا عائشة (اللهم إنك عفوّ تحب

الغفو فاعف عني) رواه الترمذي وأبو ماجه وصححه الألباني. فالله سبحانه وتعالى عفو ويحب العفو ويأمر سبحانه بالعفو كما قال الله: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ﴾ النور: ٢٢

والمطلوب من المؤمن في هذا الاسم العفوّ أن يعتقد اعتقادا جازما أن الله سبحانه وتعالى عفو وأن يحب العفو وكيف لا يحب العبد ما يحبه الله سبحانه وتعالى وما أمر الله به وأن يتوسل إلى الله بعفوه ويسأله العفو والعافية وهذا خير الدعاء أن يسأل العبد ربه العفو والعافية وأن يعامل الناس بالعفو والجزاء من جنس العمل هكذا سنة الله فمن عفا عن الخلق عفا عنه الخالق إذن مطلوب منك يا مؤمن أن تعتقد اعتقادا جازما أن ربك عفوّ وأن تحب العفو، وأن تتوسل إلى الله بهذا الإسم، وأن تسأل الله العفو، وأن تعامل العباد بالعفو ومعنى هذه الآية الأولى ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ١٤٩﴾ أي إن تظهروا يامعاشر المسلمين جميل القول وجميل الكلام للناس جزاء إحسانهم لكم أوتخفوه فلا تظهره ولكنه في قلوبكم فإن الله يعلمه ويشكركم فمن شكر الناس شكره الله ومن شكر الناس شكر الله من شكر الله أن تشكر الناس المحسنين وإذا شكرت الناس شكرك الله سبحانه وتعالى أو تصفحوا عمن أساء إليكم بالقول فلا تجهر له بالقول كما أُذن لكم فأنتم قادرون على أن تجهروا له بالسوء من القول شرعا وطبعا ولكنكم تتركون ذلك لله فإن الله يعلمه وعفوكم خير لكم فإن ربكم كثير العفو عن خلقه مع قدرته على عقابهم.

فتخلقوا أنتم يا معاشر المسلمين بهذه الصفة واعفوا عمن أساء إليكم مع قدرتكم على عقوبته فذلك خير لكم وتلحظون أن هؤلاء العلماء قصروا الآية على القول في إظهار جميل القول والصفح عن سيئ القول وذهب بعض العلماء إلى أن الآية عامة في الخير كله سواء كان فعلا أو قولا فمعناه إن تفعلوا خيرا وتظهروه للناس لا بقصد حمدهم أو تخفوه عن الناس فإن الله يعلمه ويجازيكم عليه وإن تتجاوزوا عمن أساء إليكم بقوله أو بفعله فإن الله يعلمه ويعفو عنكم فمن عفا عمن في الأرض عفا الله عنه في السماء والله سبحانه وتعالى غفور غفار وكلاهما من صيغ المبالغة التي تدل على الكثرة. قال العلماء: صيغة المبالغة هنا تدل على كثرة الَمغفرة وعلى كبر الَمغفرة فمهما كان الذنب كبيرا فمغفرة الله أكبر منه حتى الشرك إذا تاب الإنسان منه غفر الله له.

والمغفرة يا إخوة هي ستر الذنب مع الوقاية من شره ستر الذنب مع الوقاية من شره ويقول بعض أهل العلم المغفرة ستر الذنب ظاهرا وباطنا. ستر الذنب ظاهرا بأن لا يفضح الله العبد يذنب فيستره الله، وباطنا بأن لا يؤاخذ الله العبد بالذنب؛ فالمغفرة ستر الذنب ودفع العقوبة أما العفو كما تقدم فهو محو أثر الذنب ودفع العقوبة أو رفعها؛ يعني المغفرة يا إخوة ما توجد مع العقوبة المغفرة تدفع بها العقوبة، أما العفو فتدفع به العقوبة أحيانا وتوجد العقوبة أحيانا ثم ترفع هذا من الفرق بين العفو والمغفرة.

والعفو أبلغ من المغفرة لأنه محو لا يوجد الذنب محو إزالة، أما المغفرة فستر تغطية. وقال بعض أهل العلم: إن الغالب في العفو أن يكون في ترك الواجبات والغالب في المغفرة أن تكون في فعل المحرمات؛ فإذا أساء العبد فترك الواجب عفا الله عنه، وإذا أساء ففعل الحرام غفر الله له.

وهذان الاسمان العفو والغفور مما قال فيهم العلماء: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا؛ فإذا اجتمعا يكون هناك فرق بين العفو والمغفرة، وإذا افترقا فذكرت المغفرة فقط تضمنت معنى العفو أو ذكر العفو فقط تضمن معنى المغفرة فهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

والذي ينبغي على العبد والمطلوب من العبد في هذا الاسم الغفور الغفار أن يعتقد اعتقادا جازما أن ربه غفور غفار، وأن يثبت هذا الاسم لله عز وجل وأن يكثر الاستغفار.

يا إخوة إذا اعتقد المؤمن أنه مذنب فكل بني آدم خطاء واعتقد أن ربه غفور فكيف لا يكثر الاستغفار ؟

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠﴾، كذلك مطلوب من المؤمن أن يكون توابا كثير التوبة حريصا على الأعمال الصالحة حريصا على الاستقامة لأن الله عز وجل قال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ٨٢﴾ طه: ٨٢

أيضا على المؤمن في هذا الاسم أن يرجو مغفرة الله من غير اغترار وأن يخاف عذاب الله من غير يأس أن يرجو رحمة الله ومغفرة الله وعفو الله من غير اغترار فإن الزلل في الاغترار بعض الناس يفعل الذنب فتقول له: يا أخي اتق الله هذا حرام قال: الله غفور رحيم، الله أرحم بي منك. هذا اغترار اغتر بمغفرة الله حتى جرؤ على شعائر الله هذا زلل، وبعض الناس إذا أذنب أدبر وقال: أنا كثير الذنوب كيف أذهب إلى

حلق العلم وأنا أفعل ذنوب يعلمها الله كيف أصلي الليل وأنا أفعل ذنوب يعلمها الله؟ فيدبر وهذا على خطأ عظيم المؤمن يرجو عفو الله ومغفرة الله من غير اغترار ويخاف عذاب الله من غير يأس فإن الله قال ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ الحجر: ٥٠

بعض الناس يقف عند الغفور الرحيم وبعض الناس لا يدرك من الآية إلا العذاب الأليم والمؤمن يدرك هذا وهذا فيرجو عفو الله ومغفرة الله مهما أذنب فإن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يحول بين العبد ومغفرة الله شيء إلا أن يشرك ويموت على الشرك.

وهناك أمور خطيرة دون الشرك تؤخر المغفرة مثل التهاجر بين المؤمنين فوق ثلاث من أجل الدنيا فإنها تؤخر المغفرة نعوذ بالله من الحرمان ومعنى الآية الثانية ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ النور: ٢٢

أي وليتجاوز أهل الفضل و الخير عمن أساء إليهم وليزيلوا تلك الإساءة من قلوبهم الله أكبر ما هذا العلو في التعامل ليس فقط العفو العفو معناه أن لا تؤاخذ بالذنب لكن قد يبقى في القلب قد يخطئ عليك أخوك يسيء إليك فتعفو عنه ما تؤاخذه في ذنبه لكن يبقى في قلبك لكن التعامل أعلى من هذا عفو وصفح فلا تؤاخذ من أساء إليك بذنبه ولا تبقي ذنبه في قلبك بل تمحوه كأنه ما فعل شيئا تسمع أن أخاك قد اغتابك في مجلس فتلقاه وقد أزلت هذا من قلبك ولم تؤاخذه بذنبه فليتجاوز أهل الفضل والخير عمن أساء إليهم بترك عقوبتهم على الإساءة وليمحوا ذلك الذنب من نفوسهم وليؤدوا إليهم من فضلهم سبحان الله عفو وصفح وإحسان هذه أخلاق المؤمنين وهذه مقتضى الأخوة عفو وصفح وإحسان فإن كان عندك فضل فإنك لا تحرم أخاك الذي أساء إليك من هذا الفضل فإن العفو والصفح والإحسان لمن أساء من المؤمنين سبب لمغفرة الله والمؤمن يحب أن يغفر الله له فإذا كان يحب أن يغفر الله له فليعف عن خلق الله وليصفح وليتجاوز وليحسن إلى من أساء إليه والله غفور رحيم فخير للمؤمن أن يغفر ويرحم.

قال رحمه الله وقوله ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾
وقوله ﴿فبعِزَّتِك لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين﴾

قول الله عز وجل ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذه الآية إثبات العزة لله؛ فَلَلَّه عز وجل عزة

القدر فلا أعز منه ولا نظير له وله سبحانه وتعالى عزة القهر فهو الغالب الذي لا يغلبه شيء الغالب لكل شيء الذي لا يغلبه شيء سبحانه وتعالى، وعزة الامتناع عن كل سوء ونقص فهو القوي الذي لا يلحقه نقص، وهو المعز لأوليائه شديد الانتقام من أعدائه هذه العزة المثبتة لله عز وجل عزة القدر وعزة القهر وعزة الامتناع وإعزاز الأولياء والانتقام من الأعداء فَلِلَّه سبحانه وتعالى العزة.

وأصل العزة الشدة والقوة والغلبة والامتناع فالله هو العزيز ولا ينال أحد من خلقه العزة إلا بإعزازه له سبحانه وتعالى ولذا كانت العزة للرسول صلّى الله عليه وسلم وللمؤمنين ولكن عزة الله عزة ذاتية، وعزة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بإعزاز الله لهم وهي عزة يلحقها نقص؛ عزة الرسول صلى الله عليه وسلم لحكمة وعزة المؤمنين يلحقها نقص لحكمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى وقد قال إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ ص: ٨٢

فبعزتك لأغوينهم أجمعين أي بغلبتك وقدرتك وسلطانك فأقسم إبليس بعزة الله؛ لأن المقام مقام مغالبة هو يغالب بني آدم فأقسم بعزة الله عز وجل أن يضل بني آدم كلهم؟

لا استثنى، استثنى العباد المخلَصين المخلِصين، لمِ؟ لأن الله أعزهم فلا يستطيع أن يغلبهم فمن أعزه الله لا غالب له.

والمطلوب من المؤمن في هذا الاسم العظيم أن يعتقد اعتقادا جازما أن العزة لله سبحانه وتعالى، ويثبت اسم الله العزيز، وأن يكون موقنا أنه لا يعز إلا الله ولا يذل إلا الله فالعزيز من أعزه الله لا تعزه جيوشه ولا تعزه قوته ولا تعزه أمواله وإنما العزيز حقا من أعزه الله والذليل من أذله ولن يكون عزيزا أبدا فالله يعز من يشاء ومن أعزه الله لا مذل له ويذل من يشاء ومن أذله الله فلا عزة له، ولن يعز العبد إلا بالتذلل لله وكلما عظم تذلل العبد لربه كلما عظمت عزته. ولذلك أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد لأن هذا أبلغ ما يكون في التذلل أن يضع الإنسان جبهته وأنفه على الأرض بهذه الهيئة هيئة السجود هذا أبلغ ما يكون في التذلل لله سبحانه وتعالى فيكون أقرب ما يكون إلى الله سبحانه وتعالى.

وكلما عظم تذللك لله زادت عزتك والله والتذلل لله يكون بالطاعة وترك المعصية وكذلك تنال العزة من الله للعبد بالتواضع لخلق الله تواضع من غير ذلة وكلما زاد العبد تواضعا زاده الله عزا كلما زاد العبد تواضعا فتواضع للضعفة وعفا عن الضعيفة مع أنه لا يرجو منهم شيئا زاده الله عزا فهذا ما ينبغي للمؤمن وما يشرع له مع هذا الاسم العظيم.

قال رحمه الله وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

في هذه الآية الكريمة العظيمة إثبات أن لله الأسماء الحسنى فاسم هنا هو جنس يشمل الأسماء جميعا وأنها مباركة، وأن البركة تنال بها فمع اسم الله البركة فباسم الله يكثر الخير وينمو وباسم الله يحفظ العبد من الشر فإذا سمى الإنسان على طعامه باركه الله وصار طعام الواحد يكفي الاثنين ويكفي الثلاثة وإذا سمى على ذبيحته حلت وبوركت وإذا سمى الإنسان عند الجماع إن كتب الله ولدا من هذا الجماع حفظ من الشيطان وإن سمى الإنسان ثلاثا: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) عند صباحه ومسائه حفظ في يومه ذلك من الشر وهكذا، فالبركة مع اسم الله سبحانه وتعالى وفي هذه الآية إثبات الجلال والإكرام لله وأن الله سبحانه وتعالى صاحب الجلال والإكرام **والجلال** هو: العظمة، **والإكرام** أي: الذي يُكرَمُ ويُكرِم، فالله يُكرم عن كل نقص ويُكرِم من هو أهل للإكرام من عباده وهذا يستلزم إثبات صفات الكمال لله ونفي النقص عن الله وسيأتي إن شاء الله في الدرس القادم ما يتعلق بنفي النقص، **والإجلال يستلزم التعظيم** فإذا كان الله صاحب العظمة فإن هذا يستلزم أن يعظمة العبد والإكرام يستلزم الحب والحمد فإن الكامل يحب ويحمد وإن المكرم يحب ويحمد، فالله ذو الجلال والإكرام، لكن هل من أسماء الله الجليل؟

بعض أهل العلم يذكرون هذا وتسمعون في الخطب لبعض العلماء الكبار أنه مثلا يقول: الجليل، اذكروا الله الجليل يذكركم وقد ثبت تسمي بعض السلف بعبد الجليل مما يدل على أن ذلك كان شائعا عندهم ولم يرد إنكاره لكن لم يثبت في نص صحيح اسم الجليل والأسماء كما هو متقرر توقيفية، أسماء الله توقيفية تؤخذ عن التلقي فنحن نثبت لله الجلال والإكرام وأنه ذو الجلال والإكرام أما اسم الجليل فهذا لم يرد في نص صحيح.

ثم يا معاشر الفضلاء نواصل شرح كتاب الواسطية؛ هذا الكتاب الصغير في حجمه العظيم في نفعه والذي ينبغي على طالب العلم أن يدرسه ويكرر دراسته فله مقاصد عظام بيناها فيما مضى، وأول هذه المقاصد بيان مطابقة عقيدة أهل السنة والجماعة للقرآن لفظا ومعنًى ومنهجا فعقيدة أهل السنة والجماعة مطابقة لما في كتاب الله عز وجل في ألفاظها فأهل السنة والجماعة يذكرون الألفاظ التي في القرآن وفي معانيها فالمعاني التي يثبتها أهل السنة والجماعة هي ظواهر معاني القرآن التي يجب القول بها والطريقة التي يسير عليها أهل السنة والجماعة في عقيدتهم هي ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، لازلنا مع هذا المقصد الأول حيث ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عز وجل ما يتعلق بشيء من الإثبات في صفات ربنا سبحانه وتعالى ونواصل قراءة ما سطره الشيخ –رحمه الله تعالى– والتعليق على ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى ورضي عنه–:

وقوله ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾

طريقة القرآن في شأن الرحمن سبحانه وتعالى، الإثبات المفصل وقد يأتي أحيانا مجملا لفائدة والنفي المجمل وقد يأتي أحيانا مفصلا لفائدة، كما أن النفي في شأن الرحمن لا يأتي نفيا محضا فقط للنفي لأن النفي المحض عدم وإنما يأتي لتنزيه ربنا سبحانه وتعالى عمّا لا يليق بجلاله، مع إثبات الضد من الكمالات لله سبحانه وتعالى، فمثلاً جاء نفي الشريك عن ربنا سبحانه وتعالى وذلك لتنزيه ربنا سبحانه وتعالى عن أن يكون له شريك ولإثبات العظمة والألوهية لربنا سبحانه وتعالى، وجاء نفي المِثل لربنا سبحانه وتعالى لإثبات العظمة لربنا سبحانه وتعالى والتّفرُّد بصفات الكمال مع تنزيهه سبحانه عمّا لا يليق بجلاله، وجاء نفي العجز لتنزيه ربنا سبحانه وتعالى عن النقص ولإثبات كمال القدرة، وهكذا، وقد تقدّم في هذا الكتاب العظيم الجليل شيء ممّا يتعلّق بالإثبات المفصّل وهو كثير جدًا وهنا يورد الشيخ رحمه الله عزوجل بعض الآيات المتعلّقة بالنّفي في شأن ربنا سبحانه وتعالى، ويبدؤها بهذه الآية العظيمة في قول ربنا سبحانه وتعالى ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [مريم : ٦٥]

الخطاب إمّا أنه للنبي ﷺ والناس تبعٌ له في ذلك، وإما أنه خطاب لكل من يصلح لذلك، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ أي الزم طاعته، وذُلَّ لأمره ونهيه محبةً وتعظيمًا وصابر على ذلك صبرًا عظيمًا واعلم أنك ستجد مشقّةً في ذلك، لكن جاهد نفسك وصابر على طاعة الله عزوجل، فقول الله عز وجل ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ يفيد هذا، يفيد المجاهدة على الصبر، وأنك ستلقى مشقّةً في هذا، لأن العلماء يقولون:(الزيادة في المبنى زيادة في المعنى)، فعندما نقول{واصبر} هذا مبنى وعندما نقول ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ فهذا مبنى فيه زيادة، يفيد تأكيد الصبر، ثم يقول العلماء: ثِقَل المبنى دليل على ثِقَل المعنى، ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ المبنى ثقيل في النطق فأفاد وجود مشقّةٍ في هذا الصبر وأن الصبر على طاعة الله فيه مشقة لأن العوائق كثيرة من دواعي النفس و دواعي الأصدقاء ودواعي شياطين الإنس ودواعي شياطين الجن، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ هل تعلم له شبيهًا مطلقًا؟ هل تجد له شبيهًا في كرمه وجوده؟ هل تعلم له شبيهًا في رحمته وإحسانه؟ هل تعلم له مساميًا يساميه ويساويه؟ هل تعلم من يستحق مثل اسمه على وجه الكمال؟ وهذا الاستفهام يا إخوة استفهام انكاري مضمَّنٌ للنفي والتّحدي استفاهم إنكاري مضمن للنفي فكأنه بمعنى لا تعلم له سميا لا تجد له سميا وللتحدي المعجز فإن الإنسان مهما حاول لن يجد لربه سميا مهما حاول لن يجد لربه سبحانه وتعالى سميا وهذا النفي لإثبات كمال الله سبحانه وتعالى المطلق فله الكمال المطلق سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله وقوله ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾

ما كان ولا يكون ولن يكون لله عز وجل مكافئ أي مساوي له سبحانه وتعالى وأحد: نكرة في سياق النفي فتعم فليس لله عز وجل من يساويه وهذا فيه إثبات الكمال لله سبحانه وتعالى

وقوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾

ربكم سبحانه وتعالى ليس له شبيه ولا مثيل فلا تجعلوا لله أشباها وأمثالا تصرفون لها شيئا مما لله سبحانه وتعالى فالله سبحانه وتعالى ليس له ندٌ يساويه ولا ضد يناويه سبحانه وتعالى فلا يستحق العبادة إلا هو سبحانه وتعالى فلا تصرفوا شيئا من أنواع العبادة لله عز وجل وأنتم تعلمون أنه لا ند له سبحانه وتعالى

فأنتم كما أنكم لا تجعلون لله ندا في ربوبيته كما تقدم في أول الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ فأنتم ما تقولون إن هناك خالقا غير الله ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ﴾ وكل هذا تؤمنون به ولا تجعلون لله فيه ندا ما دام ذلك كذلك ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ فلا تجعلوا لله أنداد في ألوهيته وأنتم تعلمون أنه لا ند لربكم سبحانه وتعالى.

وقوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾

أي أن الله عز وجل ليس له شريك ولا مثل سبحانه وتعالى ولكن بعض الناس من ظلمهم واعتدائهم يجعلون لله أندادا يحبونهم كحب الله

بعض أهل العلم قال معنى الآية يحبون آلهتهم كحبهم الله فهم يشركون في المحبة فيحبون الله ويحبون الآلهة ويشركون في هذه المحبة

وبعض أهل العلم قال يحبون آلهتهم كحب المسلمين لله فالله عز وجل يحبه المسلمون. المشركون يحبون آلهتهم كحب المسلمين لله سبحانه وتعالى وهذا فيه وقوع هذا الظلم، من هؤلاء الظلمة الجهلة وهذه الآية مرتبطة بالتي قبلها فمع أن البرهان بيّن قاطع على أنه لا ند لله فإن من الناس من وقع في هذا الظلم العظيم وجعل لله أندادا يحبهم كحب الله سبحانه وتعالى.

وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾

﴿وَقُلِ﴾ بعض أهل العلم قالوا الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم والأمة تبع له

وبعض أهل العلم قال: لا الخطاب لكل من يصلح له فكل من يصلح له يدخل أصالة في الخطاب.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ فله سبحانه وتعالى جميع الكمالات ومنزه سبحانه وتعالى عن النقائص فله الحمد المطلق على كل حال ولا يستحق الحمد المطلق على كل حال إلا الله سبحانه وتعالى ولذلك العلماء يقولون اللام هنا للاستحقاق والاختصاص، للاستحقاق بمعنى لا يستحق الحمد المطلق إلا الله، والاختصاص أن هذا خاص بالله سبحانه وتعالى وذلك لكماله سبحانه وتعالى وهو المستحق للعبادة

الذي لم يتخذ ولدا وذلك لكماله سبحانه وتعالى فهو الغني القوي ولو اتخذ ولدا لكان له شيء مما لله، تعالى الله عن ذلك سبحانه وتعالى.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ ولم يكن له شريك في ملكه بل هو المالك المتفرد في ملكه سبحانه وتعالى لكمال غناه وقوته سبحانه وتعالى ولم يكن له حليف أو وزير أو مُشير أو معين لحاجته إليه لأن المحتاج إلى غيره ذليلٌ بالنسبة إليه، عند الحاجة يكون ذليلاً فلم يكن لله عزوجل وليٌ من الذل، نعم الله له أولياء لعزه سبحانه وتعالى فالله أولياؤه المؤمنون المتقون لعزه سبحانه وتعالى يعزهم وينصرهم ويحفظهم سبحانه وتعالى لكنه سبحانه ليس له وليٌ من ذل، ليس له وليٌ لحاجة سبحانه وتعالى.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ وكبره تكبيرا أي عظمه تعظيما مستمرا، بلفظك وحالك بمقالك وحالك عظمه اعتقادا وعظمه أفعالا وعظمه ألفاظا وكبره تكبيرا سبحانه وتعالى ومن تعظيمه وتكبيره أن تنزهه عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله وقوله ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

هذه الآية مرتبطة بالآية التي قبلها فالله الذي له الملك بلا شريك يسبح له كل شيء في السماوات والأرض وينزهه عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى وهذا التسبيح يا إخوة قد يكون بالحال وقد يكون بالمقال بالحال يا إخوة بما في القلوب والأحوال ظاهرها وهذا عام ما من شيء إلا وهو يسبح الله ويسبح لله سبحانه وتعالى حتى الكافر في حاله يسبح الله وفي قلبه يوجد هذا وإن كان ينكر ويكابر وهو يعلم بهذه النعم التي يعيشها أن الله عز وجل يسبَّح.

أما بالمقال فالكل يسبح الله ولكن لا نفقه تسبيح أكثر خلق الله إلا المكابر وهو الكافر فإنه لا يسبح الله بمقاله ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ بلا شريك ا﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ﴾ وله الحمد من كل الخلق على كل حال لأنه لا يصل إلى الخلق خير إلا منه ولا يُدفع عنهم شر إلا به سبحانه وتعالى وتفضل عليهم فلا يفعل إلا لحكمة ولا يَشرع إلا لحكمة

ولذلك هو سبحانه محمود على كل حال محمود على النعماء مشكور عليها ومحمود على البلوى لأنها عن حكمة سبحانه وتعالى.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ وهو على كل شيء قدير له القدرة التامة التي ليس معها عجز عن شيء سبحانه وتعالى وهذه الآية فيها تنزيه الله عما لا يليق بجلاله في قوله سبحانه ﴿يُسَبِّحُ﴾ يسبح لأن التسبيح هو التنزيه عما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى.

قال رحمه الله وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ٢﴾

يعني تنزه عن كل سوء ودام خيره وكثر الذي نزّل القرآن الذي فيه الفصل بين الحق والباطل والتمييز بين الخير والشر، أنزله سورة وآيات آيات بحسب المناسبات على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو عبدٌ يعبد ربه ولا يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى شرفه الله بكونه عبدا وشهد له بالعبودية ونزل عليه القرآن فجمع الله له بين الشرفين بين كونه عبدا لربه آمرا بعبادة ربه لا يُعبد من دون ربه وبين كونه نزّل عليه القرآن فشرفه بالرسالة صلى الله عليه وسلم ليكون لجميع الإنس والجن نذيرا يُنْذرهم عقاب الله ويخوفهم عذابه وهو سبحانه الذي له الملك التام لكل شيء فلا يخرج عن ملكه شيء ولا يشاركه في ملكه شيء سبحانه وتعالى فملكه تام وسلطانه غالب وقضاؤه ماضٍ ولم يتخذ ولدا لكماله سبحانه وتعالى فهو الإله المستحق للعبادة وما سواه سبحانه مخلوق يسبحه ويعبده سبحانه وتعالى ولا يستحق أن يعبد.

ولا شك يا إخوة أن على المخلوق أن يَذِل لخالقه وأن يعبد خالقه سبحانه وتعالى وهو سبحانه قد خلق الخلق في أحسن تقويم وآتى كل خلق ما يصلحه وأتمَّ خِلقة خلقة بني آدم كل مخلوق خلقه الله على ما يصلحه وأتم خلقة خلقة بني آدم ولا شك أن في هذا تنزيه الله عن ما لا يليق بجلاله وإثبات أنه سبحانه وتعالى المستحق للعبادة.

قال رحمه الله وقوله ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٩٢﴾

أي ما اتخذ الله من ولد وهذا يقتضي النفي التام العام هذا تأكيد وذلك لكماله سبحانه وتعالى وما كان معه سبحانه وتعالى من إله يستحق أن يُعبد فإن كل ما سوى الله مخلوق والمخلوق لا يستحق أن يُعبد ولو كان في السماوات أو في الأرض آلهة تستحق العبادة لذهب كل إله بما خلق لأنه لا يستحق العبادة إلا الخالق فلو كان هناك آلهة خَلَقت يعني آلهة في السماوات أو في الأرض غير الله خَلقت لذهب كل إله بما خلق واختص به، و لتنازعت تلك الآلهة ووقع بينها النزاع في التدبير واختل نظام الكون؛ ولكن هذا لم يكن أو لغلب بعض الآلهة بعضا فقهر واحد منها البقية والمقهور لا يستحق أن يكون إله فتعين أن الإله واحد هو الله سبحانه وتعالى وهذا برهان عقلي محسوس لو كان هناك آلهة بحق مع الله في الأرض أو في السماوات لابد أن تكون قد خَلقت وإذا خَلقت لابد أن يذهب كل إله بما خلق ويدبر مخلوقاته كما يشاء فيضطرب الكون ولاترى هذا النظام العجيب البديع في الكون ولكنك لم ترى هذا الاضطراب بل ترى هذا النظام البديع الذي يدل دلالة قطعية على أن الإله واحد.

أو الاحتمال الثاني أن يتنازع هؤلاء الآلهة ويريد واحد منهم أن يقهرهم حتى يقهر الجميع والمقهور لا يصلح أن يكون إله فبطل كونه إله أصلا فتعين أن يكون الإله واحدا هو الله سبحانه وتعالى.

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ٩١﴾ تنزيه لله سبحانه وتعالى عما يصفه به الظالمون من صفات النقص كزعم بعضهم أن له ولدا أو أن معه آلهة أخرى ونحو ذلك

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ قال عالم الغيب والشهادة هو سبحانه وتعالى العليم الذي أحاط علمه بكل شيء فهو يعلم ما يغيب عن المخلوقات ويجهلونه وما تشاهده المخلوقات ويعلمونه فهو سبحانه وتعالى الذي لا يغيب عن علمه شيء فتعالى وتبارك وتنزه وتقدس عما يشركون

قال رحمه الله وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

الله عز وجل ليس كمثله شيء لا مثل له في ذاته ولا في صفاته ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ﴾ لا في أذهانكم ولا في أقوالكم ومن ذلك إذا سمعتم صفات ربكم فأثبتوها كما أثبتها ربكم سبحانه وتعالى على معانيها الظاهرة على ما يليق بجلال الله عز وجل من غير أن يخطر ببالكم تشبيه ربكم بخلقه أبدا فإنه ليس كمثله شيء.

وهو سبحانه وتعالى ﴿يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إلا أن يعلمكم الله، الناس إما أنهم لا يعلمون أصلا وهذا الأصل فيهم أنهم ولدوا من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا.

وإما أنهم يعلمون شيئا علمهم الله إياه ولكنهم لا يعلمون إلا قليلا إذا الناس الأصل فيهم عدم العلم وما يتعلمونه إنما هو مكتسب بتعليم الله لهم وما يجهلونه أكثر مما يعلمون ولذلك صح نفي العلم عنهم.

والمعلوم يا إخوة أن من لا يعلم يُسَلِّم لمن يعلم فتحصل الهداية ويحصل الخير وتحصل الاستقامة أما لو حصل العكس فلم يُسلِّم من لا يعلم لمن يعلم حصل الضلال وفُتحت أبواب الشر على الناس.

إذن الواجب عليكم أن تُسلِّموا لله فتثبتوا ما أثبته الله سبحانه و تعالى ولذلك قال بعض أهل العلم هذه الجملة كالتعليل لما قبلها ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ﴾لأن ﴿اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعلم وأنتم لا تعلمون من أجل أن الله يعلم وأنتم لا تعلمون لا تضربوا لله الأمثال لأن ذلك من القول على الله بلا علم.

وتقدم معنا يا إخوة أن القياس الذي فيه ضرب المثل يَمتنع في حق الله فلا يُستعمل في حق الله قياس الشمول وقياس الشمول يا إخوة هو الاشتراك في الجنس يكون الجامع هو الجنس وهذا لا يجوز استعماله في حق الله لا في الإثبات ولا في النفي فما يأتي إنسان يقول: الله عز وجل حي والإنسان حي، فيشتركان في جنس الحياة فحياة الله كحياة الإنسان. نقول هذا باطل. الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ﴾ أو يأتي آخر في النفي فيقول: الله حي والإنسان حي فتكون حياة الله كحياة الإنسان. وهذا باطل فنؤوِّل الحياة بغير ظاهرها نقول ما دعاك إلى هذا التأويل إلا أنك ضربت لله المثل وقست بقياس الشمول أو قياس التمثيل الذي يكون الجامع فيه العلة التسوية بين الفرع والأصل بعلة واحدة وهذا أيضا لا يجوز استعماله في حق الله هو من ضرب الأمثال لله؛ فيأتي إنسان في الإثبات فيقول: لله يد لها أصابع

وللإنسان يد لها أصابع فيد الله كيد الإنسان بجامع الأصابع في كلٍ نقول: هذا ضلال ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ ، أو يأتي إنسان فيقول: النصوص تدل على أن لله يدا وللإنسان يد فيد الله كيد الإنسان فوجب أن نُؤَوِل اليد بالقدرة نقول: هذا ضلال لأنك أولا شبهت ثم بجهلك ظننت أنك نزهت فأثبت ما لم يثبت ونزهت على غير الوجه الصحيح لأنك في أول شيء في ذهنك أثبت اليد التي هي مثل يد الناس ثم نزهت الله عن ذلك والله عز وجل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ سبحانه وتعالى وإنما يستعمل في حق الله قياس يعني الأوْلى وهذا القياس له كلية عند أهل العلم المخلوق لا يكون أكمل من الخالق، الخالق أكمل من المخلوق ولذلك يستخدم قياس الأولى في الإثبات والنفي فكل كمال لا يعد نقصا بوجه من الوجوه وَهَبهُ الخالق للمخلوق؛ فالله أولى به على وجه الكمال؛ لأنه لو لم يكن ذلك كذلك لكان المخلوق أكمل من الخالق وكل نقص ينزه عنه المخلوق لا لنقصه فالله أولى أن ينزه عنه كل نقص ينزه عنه المخلوق لا لنقصه لأنه قد يعد الشيء نقصا في المخلوق لنقصه. مثل أن يكون الرجل بلا ولد هذا يعد نقصا لأن الإنسان بحاجة إلى الولد هذا ما يدخل معنا كل نقص ينزه عنه المخلوق لا لنقصه فالله أولى أن ينزه عنه سبحانه وتعالى .

قال رحمه الله وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

أي قل يا محمد: ما حرم ربي عليكم شيئا ليحْرِمكم منه وإنما حرم عليكم ما فيه الشر والسوء؛ فحرم ربي الفواحش التي تعاظم فحشها وهي كبائر الذنوب ما ظهر منها وما بطن. بعض أهل العلم قال: ما ظهر منها أي ما يجاهر به وما بطن أي ما يسر به فالفواحش قد تكون أمورا سرية وقد تكون أموراً ظاهرة، وبعض أهل العلم قال: ما ظهر فحشه وبان وعرفه العقلاء وما خفي عليهم فحشه.

﴿وَالْإِثْمَ﴾ قال أكثر أهل العلم كل ذنب كل معصية وكل معصية ضارة وقال بعض أهل العلم: الإثم هو الخمر لأن الخمر مجمع الآثام إذا شرب الإنسان الخمر ذهب عقله فلا يقف عند حد لكن الأول أولى أن الإثم هو كل ذنب.

﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ الظلم والاعتداء بغير حق إلا أن تقتصّوا بإذن الله على ما شرع الله فإنه ليس ظلما بل عدل. بغير الحق يا إخوة لا يوجد ظلم بحق إلا في الصورة فقد تكون الصورة صورة ظلم واعتداء وهي في الحقيقة عدل وذلك في مقام الاقتصاص الذي أذن الله به على وفق شرعه فهذا عدل وليس ظلما

﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ هذا من عطف الخاص على العام لأن هذا يا إخوة من الفواحش أكبر الكبائر وخصّ بالذكر لأنه أكبر الكبائر ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ ما لم ينزل به سلطانا قال العلماء هذا قيد لبيان الواقع وليس لإخراج شيء كل الشرك لم ينزل الله به سلطانا ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهذا مما حرمه الله عز وجل أن تقولوا على الله ما لا تعلمون في ذاته في صفاته في دينه في شرعه فالتمثيل والتشبيه في الصفات قول على الله بلا علم حرمه الله والتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل قول على الله بغير علم والعلم هو ما عليه أهل السنة والجماعة الذي يطابق القرآن لفظا ومعنى كما تقدم معنا.

ثم بعد ذلك سيبدأ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بذكر المسائل الكبار المتعلقة بالصفات أو مسائل الصفات الكبار التي وقع فيها النزاع من الفرق ونازعوا أهل السنة والجماعة سيتكلم عن الاستواء وعن علو الله سبحانه وتعالى وعن كلام الله سبحانه وتعالى وسنستعرض هذه المسائل إن شاء الله عز وجل شيخ الإسلام يسير على طريقة علمية بديعة كما قلت لكم بدأ بالمقصد الأول وهو المتعلق بالقرآن وبيان أن عقيدة أهل السنة والجماعة مطابقة للقرآن في كل شئ ثم ذكر طريقة أهل السنة والجماعة في الإثبات وبين ذلك بالآيات ثم ذكر طريقة أهل السنة والجماعة في النفي وبين ذلك بالآيات ثم سيعود إلى المسائل الكبرى في الصفات التي وقع فيها نزاع من الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة ثم ينتقل إلى المقصد الثاني وهو بيان أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي عقيدة رسول الله صلى الله عليه وسلم